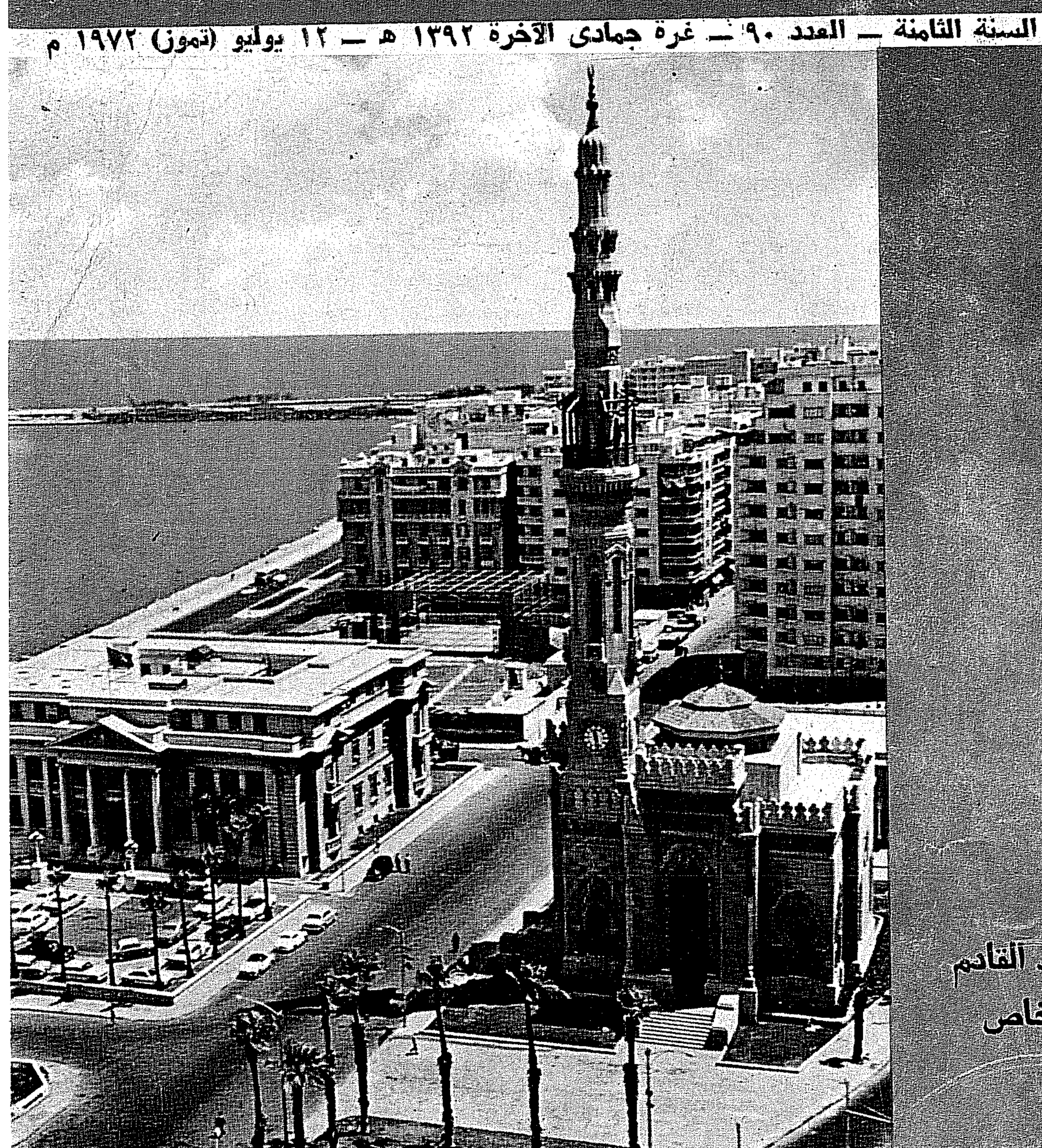
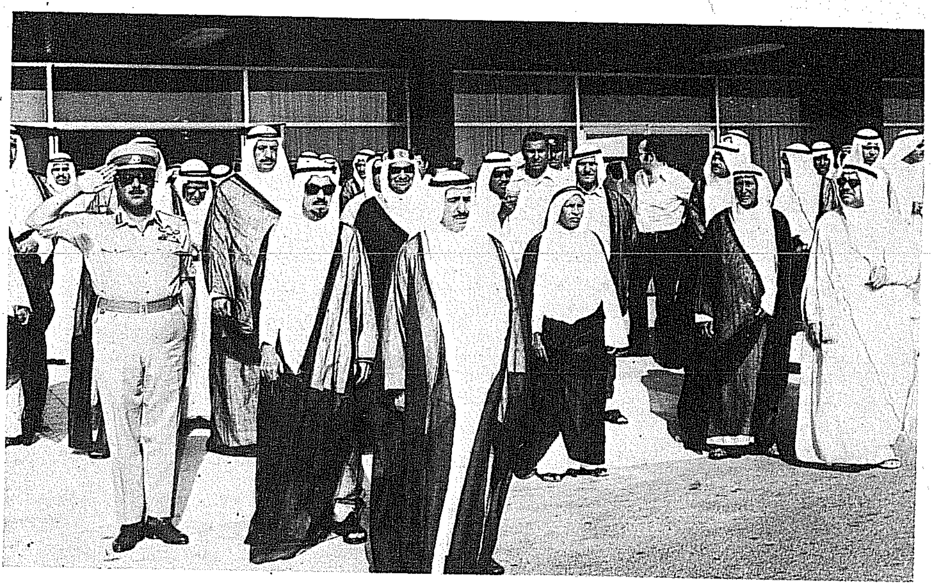
الوعي الإسلامي

إسلامية ثقافية شهرية

السنة الثامنة ـ العدد ٩٠ ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ ـ ١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م



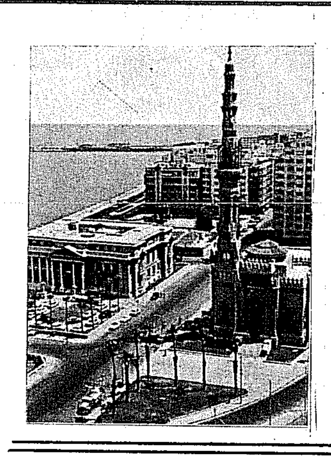
العدد القادم
خاص



حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم لدى مغادرته أرض الوطن الى لبنان وكان فى وداعه جمهور غفير من المودعين في مقدمتهم سمو الشيخ جابر الأحمد الجابر نائب الامير المعظم وولى العهد وسعادة رئيس مجلس الأمة وسعادة المستشار الخاص لسمو الامير المعظم وأصحاب السعادة الشيوخ والوزراء وجمع من كبار المسئولين ٠



سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء يوزع الشهادات على الدفعـــة الثانية من كلية الشرطـــة ٠٠



جامع القائد ابراهيم
بالاسكندرية

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة الثامنة

العدد التسعون

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ

١٢ يوليو (تموز) ١٩٧٢ م

تصدرها وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
بالكويت فى غرة كل شهر عربى

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

الثمن

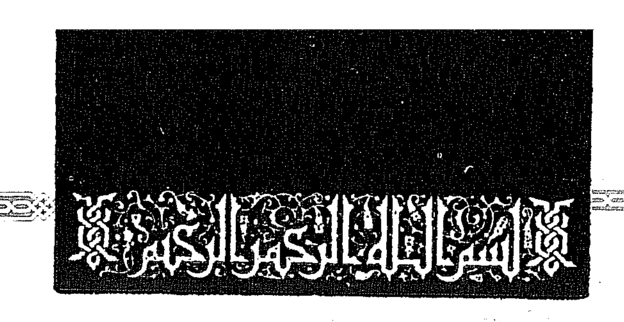
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	١ روبية
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

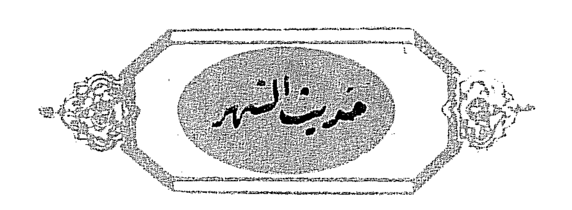
الاشتراك السنوى للهيآت فقط

فى الكويت ١ دينار
فى الخارج ٢ ديناران
(او ما يعادلهما بالاسترلينى)
اما الافراد فيشتركون راسا
مع متعهد التوزيع كل فى قطره

عنوان المراسلات

مدير ادارة الدعوة والارشاد
وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية
ص.ب ١٣ هاتف : ٤٢٢٠٨٨ — كويت





ما أشبه الليلة بالبارحة

عرف المسلمون من قديم أساليب أعداء الاسلام فى الخداع والتضليل وتشويه الحقائق ، وقد تصدى القرآن الكريم لكشف زيف الذين يتخذون الغيرة على الحرمات متاريس لهتك تلك الحرمات ، وما أشبه الليلة بالبارحة ، فقد استغل اليهود حادثة الهجوم على مطار اللد لاظهار العرب بمظهر المعتدين ، وراحوا يتباكون على الضحايا ليشغلوا العالم عن جريمتهم الكبرى فى القضاء على شعب بأكمله واخراجه من أرضه ، وليفتوا فى عضد المجاهدين، ويوقعوا البلبلة فى نفوسهم والفرقة فى صفوفهم .

وقد وقع فى صدر الاسلام حادثة تلقى الضوء على ما حدث اليوم ، ونزلت فيها آيات بينات نقدمها مع ما قيل فى تفسيرها وسبب نزولها ليشدد المجاهدون من هجماتهم ، ويسلبوا أعداءهم والمساندين لهم الامن والطمأنينة ..

أما الآيات فهى قول الله عز وجل فى أمر القتال فى الشهر الحرام « يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير . وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله . والفتنة أكبر من القتل . ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا . ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم

فى الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » .

واما تفسيرها وسبب نزولها ، والكلام لمفسر كبير — أنها نزلت فى سرية (عبد الله ابن جحش) رضى الله عنه — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم — قد بعثه مع ثمانية من المهاجرين ، ومعه كتاب مغلق ، وكلفه الا يفتحه حتى يمضى ليلتين ، فلما فتحه وجد به « اذا نظرت فى كتابى هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة — بين مكة والطائف — ترصد بها قريشا ، وتعلم لنا من أخبارهم ، ولا تكرهن أحدا على المسير معك من اصحابك » وكان هذا قبل غزوة بدر الكبرى ، فلما نظر عبد الله بن جحش فى الكتاب قال : سمعا وطاعة ، ثم قال لاصحابه قد أمرنى رسول الله ان امضى الى بطن نخلة أرصد بها قريشا حتى آتيه منها بخبر ، وقد نهى أن استكره أحدا منكم ، فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ، فأنا ماض لأمر رسول الله، فمضى ومعه اصحابه لم يتخلف منهم احد حتى اذا كانت السرية ببطن نخلة مرت عير لقريش تحمل تجارة ، فيها عمرو بن الحضرمى وثلاثة آخرون ، فقتلت السرية عمرا ، واسرت اثنين وفر الرابع ، وغنمت البعير ، وكانت تحسب أنها فىاليوم الاخير من جمادى الآخرة ، فاذا هى فى اليوم الأول من رجب وقد دخلت الاشهر الحرم التى لفظها العرب ، وقد عظمها الاسلام واقر حرمتها ، فلما قدمت السرية بالعير والاسيرين على رسول الله . قال : ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام ، فظن القوم أنهم قد هلكوا ، وعنفهم اخوانهم من المسلمين ، واستغلت قريش هذه الفرصة ، وقالوا قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام ، وسفكوا فيه الدم واخذوا فيه الاموال واسروا الرجال ، وقالت اليهود : تفاءلوا بذلك على محمد .. عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله .. عمرو : عمرت الحرب، والحضرمى : حضرت الحرب ، وواقد : وقدت الحرب .

وانطلقت الدعاية المضللة على هذا النحو بشتى الاساليب الماكرة التى تروج فى البيئة العربية ، وتظهر محمدا واصحابه بمظهر المعتدى الذى يدوس المقدسات حتى نزلت هذه الآية ، فقطعت كل قول ، وفصلت فى الموقف بالحق ، فقبض رسول الله الاسيرين والغنيمة .

« يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه . قل قتال فيه كبير » .

نعم .. للشهر الحرام حرمته ، ونعم القتال فيه كبير .. ولكن :
« وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل » .

يقول المفسر الكبير : ان المسلمين لم يبدأوا القتال ، ولم يبدأوا العدوان .. انما هم المشركون . هم الذين وقع منهم الصد عن سبيل الله والكفر به وبالمسجد الحرام .. لقد

صنعوا كل كبيرة لصد الناس عن سبيل الله ، ولقد كفروا بالله ، وجعلوا الناس يكفرون به ، ولقد كفروا بالمسجد الحرام . انتهكوا حرمته ، فآذوا المسلمين فيه ، وفتنوهم عن دينهم طوال ثلاثة عشر عاما واخرجوا أهله منه ، وهو الحرم الذى جعله الله آمنا ، فلم يأخذوا بحرمته وقدسيته ..

واخراج أهله منه أكبر عند اللهمن القتل فى الشهر الحرام ، وفتنة الناس عن دينهم اكبر عند الله من القتل .. وقد ارتكب المشركون هاتين الكبيرتين فسقطت حجتهم فى التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام ، ووضح موقف المسلمين فى دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات الذين يتخذون منها ستارا حين يريدون ، وينتهكون قداستها حين يريدون ، وكان على المسلمين أن يقاتلوهم أنى وجدوهم لأنهم عادون باغون أشرار . لا يرقبون حرمة ، ولا يتحرجون أمام قداسة ، وكان على المسلمين الا يدعوهم يحتمون بستار زائف من الحرمات التي لا احترام لها فى نفوسهم ولا قداسة .

لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل، وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه لتشويه موقف المسلمين واظهارهم بمظهر المعتدى ، وهم المعتدون ابتداء ، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداء .

ان الاسلام لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة فى قوالب نظرية ،انه يواجه الحياة البشرية كما هى .. يواجهها بحلول عملية .

هؤلاء قوم طغاة بغاة معتدون ، لا يقيمون للمقدسات وزنا ، ولا يتحرجون أمام الحرمات ، ويدوسون كل ما تواضع المجتمع على احترامه من خلق ودين وعقيدة يقفون دون الحق ، فيصدون الناس عنه ، ويفتنون المؤمنين ، ويؤذونهم أشد الايذاء ، ويخرجونهم من البلد الحرام الذى يأمن فيه كل حى ، ثم بعد ذلك يتسترون وراء الشهر الحرام ، ويقيمون الدنيا ويقعدونها باسم الحرمات والمقدسات .

كيف يواجههم الاسلام ؟ .. يواجههم بحلول مثالية نظرية طائرة .. انه ان يفعل يجرد المسلمين الاخيار من السلاح بينما خصومهم البغاة الاشرار يستخدمون كل سلاح ، ولا يتورعون عن سلاح .
كلا ان الاسلام لا يفعل هذا لأنه يريد مواجهة الواقع لدفعه ورفعه .. يريد أن يزيل البغى والشر ، وأن يقلم أظافر الباطل والضلال ويريد أن يسلم الارض للقوة الخيرة ، ويسلم القيادة للجماعة الطيبة ، ومن ثم لا يجعل الحرمات متاريس يقف خلفها المفسدون البغاة الطغاة ليرموا الطيبين الصالحين وهم فى مأمن من رد الهجمات .

—●—

ان الاسلام يرعى حرمات من يرعون الحرمات ، ويشدد فى هذا

المبدا ويصونه ، ولكنه لا يسمح بأن تتخذ الحرمات متاريس لمن ينتهكون الحرمات ويؤذون الطيبين ، ويقتلون الصـــالحين ، ويفتنون المؤمنين ويرتكبون كل منكر وهم فى منجاة من القصاص تحت ستار الحرمات التى يجب أن تصان .

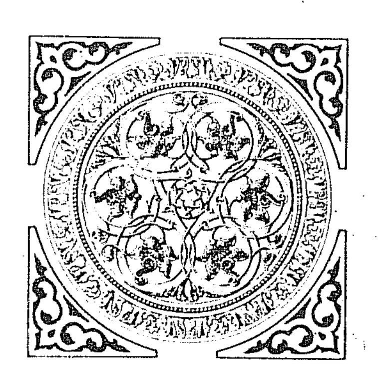
ان الاســلام يصـــون الحرمات ويحمى الفضائل ، ولــكن لا حرمة لمعتد أثيم ولا حماية لفاجر داعر .. انه يحرم الغيبة ، ولكن لا غيبـــة لفاسق ، فالفاسق الذى يشـــتهر بفسقه لا حرمة له يعف عنها الذين يكتوون بفسقه ، وهو يحرم الجهر بالسوء من القول ولكن من ظلم له ان يجهر فى حق ظالمه بالسوء من القول لأنه حق .. ان الاسلام يحمى الامن امن النـــــاس على دمائهم واموالهم واعراضهم ، ولكن لا أمن لقاتل ولا لغاصب ..

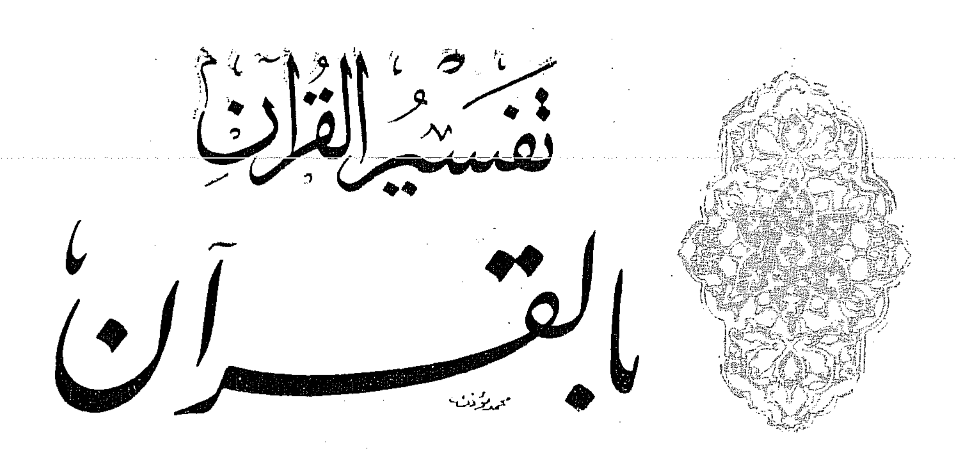
ان الاسلام لا يتدنى الى مستوى الاشرار ولا الى أسـلحتهم الخبيثة ووسائلهم الخسيسة ، ولكنه يدفع المسلمين الى قتالهم وقتلهم والـى تطهير الحياة منهم .

هذا هو الاسلام صريحا واضـحا قويا دافعا لا يلف ولا يدور ، ولا يدع الفرصة كذلك لمن يريد أن يلف ويدور .

.. هذا هو القرآن يقف بالمســلمين على أرض صــلبة لا تتأرجح تحت اقدامهم وهم يمضون فى سبيل الله لتطهير الارض من الشر والفساد ، ولا يدع ضــمائرهم قلقة متحرجة تأكلها الهواجس وتؤذيها الوساوس .. هذا شر وفساد وبغى وعدوان ، فلا حرمة له اذن ، ولا يجـــوز أن يتترس بالحرمات ليضرب من ورائها الحرمات .

على المجاهدين أن يمضـــوا فى طريقهم فى يقين وثقة ، والله معهم .





للدكتور : عبد العال سالم مكرم

معنى التفسـير :

التفسير فى اللغة يرجع الى معنى الاظهار والكشف ، واصله كما يقول الزركشى فى كتابه : « البرهان » مأخوذ من التفسرة .

والتفسرة كما يقول صاحب « اللسان » : هى البـول يستدل به على المرض ، وينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على علة العليل ، وكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية ، وقصصها ، ومعناها ، والسبب الذى أنزلت فيه ، وكأنه تسمية بالمصدر ، لأن مصدر فعّل جاء أيضا على تفعلة نحو : جرب تجربة ، أو كرم تكرمـة .

وفى رأى ابن الأنبارى أن أصل التفسير مأخوذ من قول العرب : فَسَرْتُ الدابة ، وفسَّرتها اذا ركضتها وهى محصورة لينطلق حصرها ، وعلى هذا المعنى يصير معناه الى الكشف أيضا .

ومعنى التفسير على هـذا الرأى : كشف المغلق من المراد بلفظه ، والفعل منه يأتى مزيدا وغير مزيد ، يقال : فسرت الشىء أفسره تفسيرا ، وفسرته أفسره فسرا ، وقد سمى ابن جنى كتبه الشارحة الفسر وهى مصدر فسر .

والرأى الذى أميل اليه ، لانه أوضح فى مجال الدلالات ، وعلاقات المعانى أن التفسير أصله ، سفر لا فسر ، وضعت الفاء موضع السين على أساس القلب

المكاني ، والقلب المكانى باب معترف به فى مجال اللغة ، وسفر معناها : الكشف، يقال : سفرت المراة سفورا اذا القت خمارها عن وجهها وهى سافرة ، واسفر الصبح : اذا اضاء .

وإنما بنوه على التفعيل فقالوا : التفسير ، لأنه للتكثير كقوله تعالى : « يذبحون ابناءكم » ، « وغلقت الأبواب » فكأنه يتبع فى تفسيره سورة بعد سورة ، وآية بعد أخرى .

والتفسير معناه فى اصطلاح المفسرين : علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها ، والاشارات النازلة فيها ، وترتيب مكيها ومدنيها ، ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها ، وعامها ، ومطلقها ، ومقيدها ، ومجملها ، ومفسرها .

متى بدأ التفسير ؟

مما لا ريب فيه أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب ، ولغة العرب فى هذه الفترة من التاريخ كانت مضرب المثل فى رصانة الالفاظ ، وبلاغة المعانى وقوة التراكيب ، وقد برزت خصائصها كاملة فى الشعر العربى مما جعل بعض العلماء يقول : « ولو وجد أرسطو فى شعر اليونان ما يوجد فى شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال ، والاستدلالات ، واختلاف ضروب الابداع فى فنون الكلام لفظا ومعنى ، وتبحرهم فى أصناف المعانى وحسن تصرفهم فى وضعها ، ووضع الالفاظ بإزائها ، وحسن مآخذهم وتلاعبهم بالاقاويل المخيلة كيف شاءوا — لزاد على ما وضع من قوانين الشعر » ومع قوة اقتدارهم فى فنون القول تحداهم القرآن الكريم ان يأتوا بمثله ، أو بعشر آيات منه ، أو بأقصر سورة من سوره ، فعجزوا بعد أن حاولوا ، وصدق الله العظيم حين يقول : « قل لئن اجتمعت الإنس والجن على ان يأتوا بمثل هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومما لا شك فيه ان هـذا يدل على ان كلام الله لا يشبهه كلام فى مجال الفصاحة والغرابة ، والتصرف البديع ، والمعانى اللطيفة ، والفوائد الغزيرة ، والحكم الكثيرة ، والتناسب فى البلاغة ، والتشابه فى البراعة .

ولنا أن نتساءل : هل القرآن الكريم الذي بلغ هذه الذروة فى فصاحة الكلمة وبلاغة المعنى يفهمه العرب جميعا ، ولا يحتاجون فى مجاله الى بيان أو تفسير ؟ وللاجابة عن هذا السؤال أقول : ان من المفكرين العرب من يرى هذا الرأى كابن خلدون الذى نص فى مقدمته على : « أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه فى مفرداته وتراكيبه » .
وفى رأيى أن ابن خلدون تجاوز الحقيقة فى هذا الرأى ، وذلك للأمور الآتية :

١ — لغة العرب لم تكن ممثلة فى لهجة واحدة ، حقا قال الرواة : ان

القرآن الكريم نزل بلهجـــة قريش لان قريشا ـــ كما يقول ابو نصر الفارابى فى كتابه : المسمى (بالالفاظ والحروف) ـــ كانت أجود العرب انتقاء للأفصح من الالفاظ واسهلها على اللسان عند النطق .

أو كما يقول أبو حاتم الرازى فى كتابه : « الزينة » بصدد لهجة قريش : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى نزل القرآن الكريم على قلبه لينذر قومه أفصح العرب ، وهو مـــن قريش ، وقريش من ولـــد اسماعيل ، وولد اسماعيل أفصح من اليمن الذين هم من ولد يعرب بن قحطان » .

ولكنى مع هذه النصوص لا أميل الى أن القرآن الكريم نزل بلهجة قريش وحدها ، بل نزل بها وبغيرها من اللهجات العربية الاخرى لان هنالك نصوصا تؤكد أن القرآن الكريم نزل بسبعة أحرف ليبسر للعرب جميعا الانتفاع به ، ومعنى ذلك أن هذه الاحرف تشتمل على كثير من اللهجات العربية ، وحوادث اختلاف القراءات بين الصحابة عديدة سجلتها كتب الرواة والتاريخ . واذا كان الامر كذلك فان كثيرا من الاحرف التى نزل بها القرآن لا يعرفها العرب جميعا ، وتحتاج الى بيان وتوضيح ، وتفسير لمعانيها ، والامثلة على اختلاف مدلولات الكلمات باختلاف اللهجات عديدة ، والى القارىء طائفة منها لتكون دليلا على ما أقول :

ذكر اسماعيل بن عمرو المقرىء فى كتابه الشهير (اللغات فى القرآن) الأمثلة الآتية من سورة البقرة :

« رغدا » آية ٣٥ = الخصب بلغة طيىء .
« فأخذتكم الصاعقة » آية ٥٥ = الموت بلغة عمان .
« رجزا » آية ٥٩ = العذاب بلغة طيىء .
« اشتروا » آية ١٦ = باعوا بلغة هذيل .
« فلا رفث » آية ١٩٧ = الجماع بلغة مذحج .

الا يدل هـــذا على اختلاف المدلولات بين اللهجات مما يؤكد أن العرب جميعا لم يكونوا على مستوى واحد فى فهم مدلولات القرآن الكريم .

٢ ـــ ذكر ابن قتيبة فى كتابه (المسائل) أن العرب لا تستوى فى المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب والمتشابه ، بل لبعضها الفضل فى ذلك على بعض ، والدليل عليه قوله تعالى : « وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به » ، ثم قال ابن قتيبة ويدل عليه قول بعضهم : يا رسول الله إنك لتأتينا بالكلام من كلام العـــرب ما نعرفه ، ونحن العرب حقا ؟ قال : إن ربى علمنى فتعلمت » .

٣ ـــ وقد ذكر ابن تيمية فى مقدمته « أصول التفسير » : انه يجب أن يعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم بين لاصحابه معانى القرآن كما بين لهم الفاظـــه فقوله تعالى : « لتبين للناس ما نزل اليهم » يتناول هذا ، وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السلمى : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن كعثمان بن عفان ،

وعبد الله بن مسعود ، وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبى صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم ، والعمل ، قالوا فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعا » .

فهذه النصوص التى قدمتها ترد قول ابن خلدون السابق ، وتشير الى أن العرب لم يكونوا على درجة واحدة فى ادراك معانى القرآن ، بل لبعضهم الفضل فى ذلك على بعض ، وأن الذين لا يدركون هذه المعانى من حقهم أن يدركوها فالنبى عليه الصلاة والسلام بينهم يبيئن ما غمض عليهم ، ويوضح ما خفى عنهم .

= الخطوة الاولى لتفسير القرآن الكريم :

وكان بيان النبى عليه السلام لما غمض ، وتوضيح ما خفى ، هو الخطوة الاولى لتفسير القرآن ، واليك الدليل :

١ ــ لما نزل قوله تعالى : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن » قال بعض الصحابة : واينا لم يظلم نفسه ؟ ففسر النبى عليه الصلاة والسلام الظلم بالشرك ، واستدل عليه بقوله تعالى : « ان الشرك لظلم عظيم » .

٢ ــ سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحساب اليسير فى قوله تعالى : « فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا » فبين لها النبى عليه الصلاة والسلام أنه العرض يوم القيامة .

٣ ــ حديث عدى بن حاتم قال : لما نزلت : « حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » عمدت الى عقال أسود ، والى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى ، فجعلت أنظر فى الليل ، فلا يستبين لى ، فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » . وهذه الخطوة الأولى من التفسير التى تمت على يد النبى عليه الصلاة والسلام موضع اتفاق بين العلماء جميعا ، ذلك لان السنة هى الضوء الكاشف لما أجمله القرآن ولم يفصله ، والسنة هى التى حددت لنا عدد الصلوات ، وعدد الركعات والسجدات فى الصلاة ، وهى التى بينت لنا مقدار النصاب فى الزكاة ، ولذلك رد عمران بن حصين على كل رجل كان يرى أن القرآن حوى كل شىء ، فقال له : انك رجل أحمق ، أتجد الظهر فى كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة ؟ ثم عدد عليه الصلاة ، والزكاة ، ونحو ذلك ثم قال : اتجد هذا فى كتاب الله لنا مفسرا ؟ ان كتاب الله تعالى ابهم هذا ، وان السنة تفسر هذا .

هذا وقد ثار الجدل بين العلماء حول تفسير النبى صلى الله عليه وسلم للقرآن هل فسر القرآن الكريم كله أو فسرجزءا منه ، أو فسر فقط ما أشكل من آياته ؟

فى رأيى ان النبى عليه السلام لم يفسر القرآن كله متتبعا سوره ليفسر آياتها آية آية كما يفعل ذلك المفسرون ، لانه لو فعل ذلك لاغلق باب التفسير ..

ووقف الفكر عند هذا الحد ، وبذلك يتعطل الاجتهاد ويتجمد الفكر ، والاسـلام من أخص خصائصه أن يتيح الطريق للافكار المطشى أن تنهل من معين القرآن ما شاء لها أن تنهل ، بشرط أن تكون أدوات التفكير متكاملة ، ومن ثم ازدهر التفسير وتعددت مناهجه عبر القـرون الى يومنا هذا .

ولكن الذى يمكن أن يقال : ان النبى عليه الصـلاة والسلام تنـاول فى تفسيره التى تحتاج الى بيـان فى العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك ، وما كان فى إطار غير هذا الاطار تركه النبى صلى الله عليه وسلم للعرب يفهمونه بلغتهم ، وعلى مقتضى أساليبهم فى فنون القول . ولا أستطيع فى هذا البحث الموجز أن أبين مناهج التفسير المختلفة فى عصر الصحابة أو التابعين ، ومن جاء بعدهم ، ولكن الذى أستطيع أن اتبينه هنا أن من اهم مصادر التفسير ومناهجه تفسير القرآن بالقرآن .

تفسير القرآن بالقرآن :

وتفسير القرآن بالقرآن يتوقف على الادراك الواسـع ، والفهم الدقيق لآياته ، والنظر الى الآيـات المتكررة وربطها بعضها ببعض ، وجمعها فى إطار واحد لينظر اليها فى صورتها المتكاملة ، وان الاشعاعات الفكرية التى تعطيها هذه الصورة المتكاملة تزيل التناقضات، والاختلافات التى يرمى بها الجهلة كتاب الله ، وكتاب الله منها برىء لانه كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، وفهم القرآن ليس سهلاً ، لانه يحتاج الى تصـفية النفس من أكدارها ، والعقل من شبهاته ، والقلب من خطراته ، ولا أدل على ذلك من كلمة على كرم الله وجهه ، وقد سئل : هل خصكم يا أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء ؟ فقال : ما عندنا غير ما فى هذه الصحيفة ، أو فهم يؤتاه الرجل فى كتاب الله . والزبيدى يبين أن مرتبة فهم كتاب الله مرتبة عظيمة ويستدل لذلك بقوله تعالى : « ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما » فانه تعالى خصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على العلم والحكم ، فهذه الامـور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ، ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه .

وتفسير القرآن بالقرآن يتمثل فى صور عديدة أذكر منها ما يأتى :
١ ـــ المعانى العديدة للكلمة الواحدة .

ذلك لان الكلمة الواحدة فى القرآن الكريم قد تتصرف الى عشرين وجها أو أكثر أو أقل ، ولا يوجد ذلك فى كلام البشر ـــ من ذلك كلمة الهدى فهى :

= بمعنى البيان فى قوله تعالى : « أولئك على هدى من ربهم » .
= وبمعنى الدين فى قوله تعالى : « قل ان هدى الله هو الهدى » .
= وبمعنى الايمان فى قوله تعالى « ويزيد الله الذين اهتدوا هدى » .
= وبمعنى الداعى فى قوله تعالى « ولكل قوم هاد » .
= وبمعنى الرسل أو الكتب فى قوله تعالى : « فإما يأتينكم منى هدى » .

= وبمعنى الرشاد فى قوله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم » .
= وبمعنى التوراة فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الهدى » .
= وبمعنى الحجة فى قوله تعالى : « والله لا يهدى القوم الظالمين » .
بعد قوله تعالى : « الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه » .
= وبمعنى التوحيد فى قوله تعالى : « ان نتبع الهدى معك نتخطف » .
= وبمعنى السنة فى قوله تعالى : « وإنا على آثارهم مهتدون » .
= وبمعنى الالهام فى قوله تعالى : « اعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .. الخ

٢ — التكـــرار :

والتكرار تفسير وتوضيح ، فقصة موسى عليه السلام ذكرهـا الله تعالى — كما قال بعضهم — فى مائة وعشرين موضعا فى كتابه ، ومع ذلك التكرار فان الصورة لا تهتز ، لانه تفنن فى القول ، وابداع فى التصوير ، واساليب مختلفة تساق لقصة واحـدة ، وفى هذا من البلاغة ما فيه .

على أن التكرار لا يخلو من زيادة مفيدة ، ففى قصة موسى مثلا نجد ان الله تعالى صور العصا فى سورة طه آية (٢٠) بأنها حية تسعى ، وذكرها فى الاعراف آية (١٠٧) بأنها ثعبان مبين ، وفى موضع آخر — تهتز كأنها جان ولى مدبرا — :

ويعقب السيوطى فى الاتقان على صور العصا المختلفة بقوله : « ان خلقها خلق الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها كاهتزاز الجان وخفته » .
ويبين الزركشى بعض الاسباب التى من اجلها كررت القصة فى القرآن فيقول :

١ — إن الرجل كان يسمع القصة من القرآن ثم يعود الى أهله ، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون عنه ما نزل ، فلولا تكرار القصة لوقعت قصة موسى الى قوم ، وقصة عيسى الى آخرين ، وكذلك سائر القصص ، فأراد الله سبحانه وتعالى اشتراك الجميع فيها فيكون فيه إفادة لقوم ، وزيادة تأكيد وتبصرة لآخرين ، وهم الحاضرون .

٢ — ومن الاسباب تسلية النبى عليه الصلاة والسلام ، وتكرار هذه التسلية ليثبت قلبه دائما فى مجال دعوته الى الحق كما قال تعالى : « وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك » .

٣ — إن الدواعى لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الاحكام فلهـذا كررت القصة ، دون الاحكام .

وانى اميل الى رأى ابن فارس فى قوله : إن تكرار القصة نوع من الاعجاز

القرآنى لبلغاء العرب وفصحائهم ، فبعد أن عجزوا عن الاتيان بمثل آية ، بين لهم وأوضح الامر فى عجزهم ، بأن كرر ذكر القصة فى مواضع إعــلاما بأنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأى نظم جاءوا ، وبأى عبارة عبروا . ويؤيد هذه الفكرة الامام الباقلانى فى إعجاز القرآن فيقول :

« ونظرنا القرآن فيما يعاد ذكره من القصة الواحدة فرأيناه غير مختلف ولا متفاوت ، بل هو على نهاية البلاغة ، وغاية البراعة ، فعلمنا بذلك أنه مما لا يقدر عليه البشر ، لان الذى يقدرون عليه قد بينا فيه التفــاوت الكثير عند التكرار ، وعند تباين الوجوه » .

على أن الناظر الى قصص القرآن يجد أن الهدف من التكرار هو الهداية والعبرة ، وكأن هذا التكرار يذكر الامم دائمـــا بالمصير الوبيل الذى حل على هؤلاء الناس الذين وقفوا من دعوات أنبيائهم موقف التحــدى والنكران .

٣ ــ توضيح الفكرة بضروب من الاستدلالات المختلفة :

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن الفكرة تتضح أبعادها ، وتنكشف جوانبها ، اذا تعددت الاستدلالات عليها من واقع الحياة ، وبذلك يطمئن القلب اليهـــا . وتستريح النفس لها ، ويؤمن العقل بها ، والمثال على ذلك قصة البعث والاعادة :

وقد سلك القرآن الكريم لتفسير قصة البعث طرقا مختلفة :

١ ــ قياس الاعادة على الابتداء بقوله تعالى : « كما بدأكم تعودون » .

٢ ــ قياس الاعادة على إحياء الارض بعد موتها بالمطر والنبات بقوله تعالى : « ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون » .

٣ ــ قياس قدرة الاعادة على قدرة إخراج النار من الشجر الأخضر ، وقد ورد فى هذا أن أبى بن خلف لما جاء بعظام بالية ففتها وذرها فى الهواء ، وقال يا محمد : « من يحيى العظام وهى رميم » فأنزل الله تعالى : « قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » ثم زاد الحجاج بقوله : « الذى جعل لكم مــن الشجر الاخضر نارا » .

٤ ــ احتمال اللفظ معنيين فى موضع ، وتعيين واحد منهما فى موضع آخر :

ومن تفسير القرآن بالقرآن أن اللفظة أو الكلمة تحتمل معنيين فى موضع ثم يعين أحد المعنيين فى موضع آخر وذلك كقوله تعالى : « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة » ، فيحتمل أن يكون السمع معطوفا على « قلوبهم » ، ويحتمل الوقف على « قلوبهم » ، والابتداء بقوله : (وعلى سمعهم) والاحتمال الاول أولى لقوله تعالى فى سورة الجاثية : « وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة » .

وكقوله تعالى : « ويستغفرون لمن فى الارض » والمراد بهم المؤمنون بدليل قوله تعالى فى موضع آخر : « ويستغفرون للذين آمنوا » .

٥ ــ الاستنباط مع ضميمة اخرى تعين عليه :

وذلك كاستنباط على وابن عباس رضى الله عنهما أن اقل الحمل ستة اشهر من قوله تعالى : « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا » مع قوله تعالى « وفصاله فى عامين » ، وعلى هذا الاستنباط جرى الامام الشافعى .

وكاستنباط بعض المتكلمين أن الله خالق لافعال العباد من قوله تعالى : « وما تشاءون الا أن يشاء الله » مع قوله تعالى : « وربك يخلق ما يشاء ويختار » فاذا ثبت أنه يخلق ما يشاء ، وأن مشيئة العبد لا تحصل الا اذا شاء الله أنتج أنه تعالى خالق لمشيئة العبد .

٦ ــ رفع التناقض وإزالة الاختلاف :

وذلك كقوله تعالى : « اتقوا الله حق تقاته » مع قوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » .

جمع بينهما بعض العلماء ، فحمل الاول على التوحيد بدليل قوله تعالى بعدها : « ولا تموتن الا وانتم مسلمون » ، وحمل الثانية على الأعمال .

ومثله قوله تعالى : « وإذ واعدنا موسى اربعين ليلة » مع قوله تعالى : « وواعدنا موسى ثلاثــين ليلة واتممناها بعشر » .

قيل : إن آية الاعراف تجرى على الظاهر من أن الوعد كان ثلاثين ثم أتم بالعشر ، فاستقرت الاربعون ، ثم أخبر فى آية البقرة بما استقر .

وقد سأل رجل بعض العلماء عن قوله تعالى : « لا أقسم بهذا البلد » ، فأخبر أنه لا يقسم ، ثم اقسم فى قوله : « وهذا البلد الأمين » فقال له : اعلم ان هذا القرآن نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضرة رجال ، وبين ظهرانى قوم ، وكانوا أحرص الخلق على أن يجدو فيه مغمزا ، وعليه مطعنا ، فلو كان هذا عندهم تناقض لتعلقوا بــه ، واسرعوا بالرد عليه ، ولكن القوم علموا وجهلت ، فلم ينكروا منه ما أنكر ت، ثم قال له : إن العرب قد تدخــل لا فى اثناء الكلام وتلغى معناها ، وانشد عليه أبياتا .

٧ ــ علم المبهمــــات :

ومن تفسير القرآن بالقرآن علم المبهمات ، هكذا أطلق عليه علماء التفسير ، والمراد بــه أن يبهم فى موضع استغناء ببيانه فى موضع آخر فى سياق الآية ، ويمثلون لــه بقوله تعالى :

« مالك يوم الدين » فقد بين يوم الدين بقوله فى موضع آخر فى سياق الآية : « ثم ما أدراك ما يوم الدين . يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ للــه » .

وكقوله تعالى : « صراط الذين انعمت عليهم » فقد بينه بقوله : « فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين » .

٨ ــ تفسير الألفاظ الغريبة :

وهو ضرب من تفسير القرآن بالقرآن ، وتفسيرها بالسياق القرآنى نفسه ، ويمثلــون له بقوله تعالى : « إن الانسان خلق هلوعا » وقد فسر السياق القرآنى نفسه هــذا الهلوع بقوله بعد ذلك : « اذا مسه الشر جزوعــا . واذا مسه الخير منوعا » .

٩ ــ تفسير المراد بنص صريح يبين خفاءه :

لما نزل قوله تعالى : « وان تبدوا ما فى أنفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله» اضطرب الصحابة ، لانهم اعتقدوا انهم سيحاسبون على كل شىء حتى خواطر انفسهم ، وحركات قلوبهم . فقالوا يا رسول الله : نزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها . فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم : اتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا سمعنا واطعنا ، غفرانك ربنا واليك المصير . فأخذوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى انزل الله بيانها فى نص صريح وهو قوله : « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » الى آخر السورة ، وبعد نزولها علموا انهم لا يحاسبون على خطرات النفس ، وهواجس القلب .

ولما توفى عبد الله بن ابى ، كبير المنافقين ، كفنه النبى عليه الصلاة والسلام فى ثوبه ، وأراد أن يستغفر له ، ويصلى عليه ، فقال عمر رضى الله عنه : أتصلى عليه وقد نهاك ربك ؟ فقال صــلى الله عليه وسلم : إنمــا خيرنى ربى فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مــرة .... » .. وسأزيد على السبعين وصلى عليه بناء على هذا الفهم الانسانى ، ولكن القرآن وضع النقاط على الحروف ليزيل خفاء المعنى ، ويمنع اللبس ، حيث قال تعالى بعد ذلك : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » .

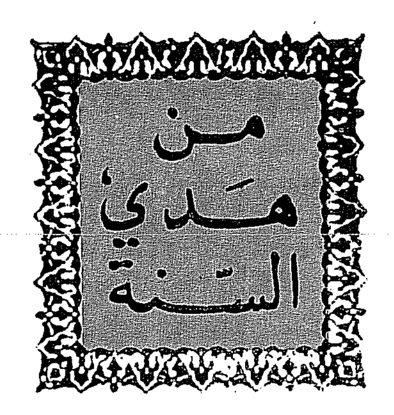
١٠ ــ الاجمال والتفصيل :

هناك آيات قرآنية وردت مجملة موجزة ، واخرى موضحة مفصلة فــى موضوع واحد ، ونحن بإزاء هذه الآيات يجب الا نقف عند المجمل وحده من غير نظر الى الآيات التى فسرته وفصلته ، ولو فعلنا ذلك لوقعنا فى الخطأ لاننا اخذنا الحقيقة مغلفة ولا ندرى ما بداخلها .

ويمثلون لهذا النوع من التفسير بقوله تعالى : « واحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم » ولكن ما الذى يتلى علينا ، ويحرم علينا أكله ؟ لم تبينه هــذه الآية ، ولكنها اجملت ما يتلى فى هذا الموقف ، وتعود الآيات بعد ذلك لتوضح هذا الذى يتلى فيقول تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » الى آخر الآيــة .

وقوله تعالى : « لا تدركه الأبصار » فسرتها آية « وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة » .

وبعد ، فان المنهج السليم لتفسير القرآن الكريم يجب أن يتناول أولا وقبل كل شىء هذه الآيات العديدة التى يفسر بعضها بعضا ، ولا يستطيع المفسر المنصف أن يبنى حكما ، أو يقــرر رأيــا أو يكشف معنى الا بعد استيعابه الكامل لهــذا اللــون من التفسير ، الا وهو تفسير القرآن بالقرآن .



بين الخطأ والإكراه

دكتور على عبد المنعم عبد الحميد

عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان الله تعالى تجاوز عن امتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه »

(رواه ابن ماجة والبيهقى)

نستعين الله جلت قدرته ، ونجول قليلا مع سادتنا العلماء الذين سبقونا باحسان ، ولم تعج دنياهم بما يملأ دنيانا من مساوىء ومخاطر ، وملهيات ودافعات الى الشرور ، فعاشوا باعصاب هادئة ، ولم يلووا رءوسهم عن نداء ربهم ، واخلصوا الله تعالى عملهم ، وحمدوه على توفيقه ، فادوا للعلم خدمات لا يمكن ان تؤدى فى نفس المجال الآن ، واقول : لا يمكن ان تؤدى ، وان لا ! فاين صاحب الهمة العالية ، والعزيمة الماضية ، التى لا تضعفها الملاحقات المعاصرة المنبثة فى كل مكان ، ليسير على درب البحث الخالص لله وحده ، والرغبة الاكيدة فى عمل يرضيه ، وان كان ما نرى ، فيما أرى مرض يلاحق دورة الفلك ، ولا يستطيع الثبات دائما اذا واجه الطبيب النطاسى ، وامتدت اليه يد الاخلاص مع التوفيق الالهى ، وما دام سليل آدم يدرج على البسيطة فالامل مرجو ، والشفاء مدرك ، وسبحان من يبدىء ويعيد ، دون معقب أو رقيب .

بعد هذا : أورد مقالة الاقدمين فى هذا الحديث الشريف ، بادئا بلغوياته ومعقبا بمعنوياته ، فقد قالوا — رحمهم الله تعالى — وحسنا ما قالوا : **الخطأ** : هو نقيض الصواب ، ومن المشكل توضيح الواضح ، ومعلوم منطقيا : أن النقيضين هما الامران الوجوديان اللذان لا يجتمعان ولا يرتفعان ، فاما خطأ ، واما صواب ، وقالوا : من اراد الصواب فصار الى غيره فهو المخطىء ، ومن فعل مالا ينبغى فهو الخاطىء ، وفى حديث شريف (لا يحتكر الا خاطىء) . **والنسيان** : هو عدم الذكر للشىء ذهولا ، أو غفلة ، وهما (الخطأ والنسيان) من ملازمات الانسان ، فهو كانسان لا بد وأن يخطىء ويصيب ، وأن يتذكر وينسى ، وقد كلف الله جلت عظمته ، عباده أن يسألوه رفع المؤاخذة عنهم لدى الخطأ والنسيان ، فقال سبحانه فى محكم كتابه العزيز « **.. لا يكلف الله نفسا الا وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ..** » الآية الكريمة (٢٨٦) من سورة البقرة ، **وما استكرهوا عليه** : وما قهروا عليه قهرا أورد له علماء الفقه شروطا كثيرة ووضحوا الحد الذى يحمل المسلم على الظهور بما يخالف اعتقاده تطبيقا لقوله تعالى : « الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان » ..

هذه لمحات يسيرة من آثار الاقدمين رضوان الله تعالى عليهم نعرج بعدها على واقع عصرنا فندرس فيه — على ضوء هذا الحديث الشريف — ظاهرتين تلويان اليهما الاعناق ، وتثيران التساؤل ، اولاهما : موقف أولئك الذين وسدت اليهم أمور لبها وجوهرها خدمة الانسانية ، ومنفذها الايمان العميق بخالق القوى والقدر حيث يتلاشى الاكراه ويختفى الخوف ، ولكنهم خرجوا من أعمالهم أقل ايمانا منهم حين دخلوها ، ثم لما انصرم العصر ، وانسأ الله لهم فى الاجل بدأوا ينقدون ما اشتركوا فى تنفيذه ، ويحملون غيرهم تبعاتها ، دون حياء من الله أو خجل من الناس ، **والظاهرة الثانية** : قد تكون ضاربة فى القدم والزمان يعيدها ، وقد تكون من ملابسات العصر ، الا وهى : المحاكاة دون وعى ، أو ادراك لشؤم عواقبها ..

وعن الاولى : قد حيرنى كثيرا حديث (متابع) التقى به صباح مساء ، يعيد الى ذاكرتى صورة مجلس حملته اليه مناسبة لا يد له فيها ، يردد ما دار فيه ، ويضع تحت بصر القارىء ، وسمع المنصت ، رسما لواقعة حية لا مدخل للخيال فيها ، وليست صنو رؤى أو وليدة احلام .. قريبا من التاسعة مساء يوم من شهر يناير حيث يتكاثر زوار بلدنا ، دلفت مع الصحب الى رحاب مبنى لا أستطيع وصف مشتملاته من الاشياء والناس ، تعددت طبقاته سامقة فى جو المدينة ، حيث وجدت المصاعد فيها مجالا للغدو والرواح ، فهى لا تصعد الا لتهبط ، ولا تمس الارض الا لتجافيها ، وفى أحد أروقة هذا المبنى الشامخ كبرياء المدل بجناته ، تكشفت لنا غرفة فسيحة ، صفت فيها الارائك الغربية الصنع الى جانب الطنافس الشرقية الابداع ، وتصدر المجلس شيخ جاوز السبعين وقارب المدى الذى دعا الشاعر الجاهلى لصاحبه أن يبلغه ، وان كان قد أحوج سمعه الى ترجمان ، تنم هيئة الشيخ عن خلجات قلبه ، وتحمل أشلاؤه مياسم الصراع العنيف الذى

اعتمل ويعتمل فى جوانحه ، والذى لم يجد منفذا سليما مباحا فاصطدم بأحد أركان الهيكل العام فهدمها ، وتركها صريعة تحمل ولا تحمل (الاولى بضم التاء المثناة والثانية بفتحها) فهى كلة على سيدها ، وعبء على أقرانها ، وما كان لها من ذنب فيما كان من ضياع قوتها ، الا انها اختيرت ولم تختر لتصرف غير معتاد ولا منتظر ..

سلمنا ، ورد الشيخ الذى وجدت فيه شخصا كانت تربطنى به صلات عمل منذ أمد هو فى عمر الزمان قصير ، وفى حساب عاد الايام طويل ، وجرى الحديث متخذا مداخل ومخارج شتى والحديث ذو شجون ، وكان من شجونه وان شئت فقل من أشجانه حديث مؤسسات ضاربة فى أغوار الماضى ، ماضى الانسانية البعيد ، قد نالتها يد العابثين فصارت الى الاسوأ قصدا وعمدا مع سبق اصرار الفاعل كما يقول رجال فقه القانون الجنائى حين يقفون أمام قضية تلطخ جبين الانسانية بالعار ، وراح شيخ السبعين يكيل اللوم ويستنزل لعنات السماء على العاملين والمشاركين فى أعمال أخرت سير القافلة ، واهاضتها ، وحطمت جوانحها ، ونشرت الرعب فى آفاق حداتها ، ولم يفته أن يطلب الى الملائكة المقربين أن ينقضوا على من دوخوا الحرية بل قتلوها ، وهدموا أركان الفضيلة بل أبادوها ، ومنعوا افعال الخير ، وعاقبوا عليها ، وكانت النتيجة أن وصل المجتمع الذى اظلتهم سماؤه واقلتهم أرضه ، ونعموا منفردين بخيراته ، الى الحد الذى انبتت فيه روابط البر (كما وردت فى احدى سور القرآن الكريم) وتباعدت القربى فلا رحم ، ولا أخوة ، ومن نجا بنفسه ان استطاع فقد نجا ، ومن رام أن يمد يده لغيره سقط وكبا ، وهكذا يمضى الشيخ فى حديثه والحضور منصتون ، وهذا أمر لا غبار عليه لولا أن المتحدث نفسه بعقله الالمعى ، وفكره الذكى ، وادراكه العبقرى ، لم يكن عضوا فعالا فى كل ما حدث كما يحدّث ، فهل كان ما صدر عنه من مشاركة فعلية ، لا بالصمت فقط ، تنفيذا لما ورد فى الذكر الحكيم « الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان » ؟! أم أن وراء الأكمة ما لا يستطيع أحد ادراك كنهه الا هذا اللوذعى الفطين ، ألم تسنح له فرصة الحديث الى من تسنم غارب الامر والنهى ليقف منه موقف امرأة من عمر ، أم أن جاه الوظيفة ، وبريق السلطان المؤقت قد غشى عينيه وأنساه التاريخ الذى لا يرحم ولا يستر ، واليوم الثقيل الذى ينتظره هناك يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون ؟! .. لعمرك لا أدرى ، ولا المنجم يدرى .. !!

لعلك يا سيدى القارىء أدركتها شخصية شرقية معاصرة ، والحقيقة انها لا شرقية ولا غربية ، فليست مختصة باقليم أو قارة ، ولكنها قدر مشترك فى الانسان ولا تستثنى الا من رحم الله ، فالمرء اذا ابتعد عن ساحة ربه وهدايته تخبط يمينا وشمالا ، وتلمس الطريق فى احساس شهوانى مريب عجيب ، لا شهوة الجنس نقصد ، وانما هى أخفها اذا قيست بملازمات لا تنفك بل لا تفارق ولو عمر الشيخ قرونا .

وهنا : لا بد من الافصاح عن الذى حمل (المتابع) على اثارة مثل هذا الحديث المؤلم الدامى ، وجوابه ثورة اعتملت فى نفسه حين أهاجه استعراض اجراه تلفاز باريس على مرحلتين فى شهر مايو المنصرم ، وترك القول فى

المرحلة الاولى لسكان تلك الارض الطيبة ، وأعطى الجولة الثانية ، للذين خرجوا على أشلاء مليون شهيد ، والذين كانوا دائما فى حوارهم لا يرددون كلمة (عرب) أبدا ولو على سبيل الخطأ ، وانما تمسكوا بأن محاربيهم (هم المسلمون) والمسلمون فقط ، وجاء دور العسكريين الغاصبين فتباكى أحدهم وقد كان قائد الدمار حينذاك ، على الجزائر الفرنسية ، وسب ولعن فى أسلوب سياسى مقنع أولئك الذين زجوا به فى السجن ، ولم يدعوه يقتل الابرياء المطالبين بحق مشروع حين بلغوا الحلم وارادوا رفع الوصاية عنهم ، وبرز فى الميدان شيخ ويا ليته ما كان ، قد انحاز الى الشيطان يوم كان له السلطان ، وتباكى مع الراعى يوم أمن أنياب الذئب العاوى ، الوالغ فى الدم ، يقول أكرهنا وعَلاَمَ اكرهوا ؟ على المناداة بدوام الاستعباد والكف عن الجهاد ، وكانت لحظة ثقيلة على نفس (المتابع) ذكرته بمواقف كثيرة مثيرة لعديد من رجال الاسلام خاصة « على حد تعبير العسكريين الفرنسيين عن الجزائريين » وبالأخص قادة الفكر منهم ، فلهم مواقف لا يقرها قانون ولا يعترف بها اسلام ، فقد عالجوا الآيات الكريمة والاحاديث الشريفة حسب أهواء سادتهم ، وقالوا للعامة عذرنا مقبول (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ..

ولصاحبى مقياس لهذا الاكراه لا يتقيد فيه بحديث الفقهاء ولا غيرهم ، فهو لا يرى أى مجال لتطبيق هذا الاكراه ، ويقول : لو اتخذنا مقولات البعض مقياسا ، لما دافع أحد عن حق ، ولما وصل مظلوم الى انصاف ، وعلى سبيل المثال : لو أن الخوف من الموت والفناء ، وضياع المال والولد جعل أساسا ، لما مضى رسل الله فى دعواتهم ، ولما حققوا رسالات ربهم ، ولما هدوا الى صراط مستقيم ، فقد أخرجوا من ديارهم وأوذوا فى أنفسهم وأموالهم ، واهيجوا عن حماهم ، بل وانتهى الامر ببعضهم الى القتل الفعلى ولقى ربه أشخب دما يشهد بقسوة الانسان على أخيه ، وما يدعوه الا الى هدى وخير ، وليس هذا حديثا مبتدعا أو القاء للقول على عواهنه دون دليل .

فاليك سيدى القارىء قول الله تبارك وتعالى « .. الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار ، قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم **فلم قتلتموهم** ان كنتم صادقين » الآية ١٨٣ من سورة الاعراف : اذا هم قد قتلوا الانبياء الذين لم يتوقفوا عن التبليغ وهم على منصة الاعدام ، فالمقصود بالاكراه الذى يتجاوز الله عنه لأمة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاكراه الذى يشق على النفس ولا يترتب عليه مهما كان ضياع شىء من مقومات الدين ، أو مساس بالايمان ، والحياة ماضية مهما حرصنا عليها ، فمن يستطيع ايقاف سير الفلك ، أو التصدى لعجلة الزمان ، فاذا أدى الامر الى وضع تهان فيه حدود الله تعالى فالموت خير من الحياة ، والبقاء على الضيم هو والموت سواء ، ومن حرص على الموت فى سبيل عقيدته فقد أحرز الحياة التى تليق به كانسان حريص على انسانيته وبالتالى على عقيدته . ومن حرص على عقيدته وافتداها بالنفس والمال حرص على تراب أرضه ومثوى أجداده ..

وأما الخطأ كما أسلفنا فكثير الوقوع وهو عمل غير متعمد ، وطبيعة الانسان أنه خطّاء ، والله لا يوصد باب رحمته أمام الخطائين التوابين أبدا ، والنسيان أصل متمكن من ابن آدم وقديما قيل :

وما سمى الانســان الا لنســيه ولا القلــب الا انـــه يتقلــب

وعلى هذا فالله سبحانه عفو غفور يغفر لمن نسى أو أخطأ ، ولكن باب الاكراه له حد مقبول ، وآخر موصد ، لو فتح كما يريد الذين شـــاركوا ويشاركون المفسدين فى الارض ويساعدونهم بالفتيا والتأويلات البعيدة عن الاسلام ، لبادت الفضائل ، وسادت الرذائل ، وعفت آثار الخير ، وخلا الجو للشر ليبيض ويفرخ ..

ونختم القول بتوجيه الحديث الى الذين قاربوا الفناء جريا على المعتاد ، وحان موعد لقائهم مع رب السموات والارض ، فلعلهم يكونون أكثر تعقلا ، وأشد احساسا بالحاجة الى رضى لله وحده وأكثر علما وتجربة بأن الخسران المبين فى اغتنام عاجلة زائلة واطراح آجلة باقيـــة ، وما عند الله خير للابرار ، عندئذ يحركون أقلامهم ويجرونها بما يرضى الله ، ولا يمهدون لشر قد فتح له غيرهم الابواب على مصاريعها ، وعرف أكثر مما يعرفون كيف يصل الى تثبيت أركانه وتقويض عمد الخير فى أرضنا لينفذ من ذلك الى ما يريد من اغتيال مصادر خيراتنا ، وليكونوا عوامل دفاع عن ما دافع عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن منح علما وفضلا وعرفه النـــاس بالمعرفة خير له أن يتحرى قبل أن يكتب ، وأن يدقق قبل أن ينطق ، حتى يبعده الله عن غضبه ، ويتلقاه بواسع رحمته وسبحانه القائل « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » .

وأما عن المحاكاة فالحديث يطول ، ولنا معه لقاء فى غد قريب اذا لم تسبق المنايا الامانى ..

وان غدا لناظره قريب .. وكل شىء عنده بمقدار جل ربى وعلا .





للشيخ محمد حسين الذهبى

أما الفريق المعتدل الـــذى لم يشأ أن يحمل القـــرآن كل علـــوم الأولين والآخرين ، ولا أن يخضعه للنظريات العلمية ، فأبرز علمائه الأقدمين : الفقيه الأصولى أبو اسحق الشاطبى المتوفى سنة ٧٩٠ هـ ، فقد حمل لواء المعارضة ، وتوجه باللوم الى من حملوا القرآن كل علوم الدنيا والدين ، وبين أنهم قـــد تجاوزوا الحد فى دعواهم على القرآن فقال :

« ما تقرر من أمية الشريعة ، وأنها جارية على مذاهب أهلها ـــ وهم العرب ـــ ينبنى عليه قواعد : **منها** أن كثيراً من الناس تجاوزوا فى الدعوى على القرآن الحد ، فأضافوا اليه كل علم يذكر للمتقدمين والمتأخرين من عـــلوم الطبيعيات والتعاليم : كالهندسة وغيرها من الرياضيات ، والمنطق ، وعـــلم الحروف ، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها ، وهـــذا اذا عرضناه على ما تقـــدم لم يصح » (١) ..

ثم يصحح الشاطبى رأيه هذا ، ويحتج له بما عرف عن السلف من نظرهم فى القــرآن ، فيقــول :

« إن السلف الصالح ـــ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـــ كانوا أعرف بالقرآن وعلومه وما أودع فيه ، ولم يبلغنا انه تكلم أحد منهم فى هـــذا المدعى سوى ما تقدم (٢) ، وما ثبت من أحكام التكاليف ، وأحكام الآخــرة ، وما يلى ذلك ، ولو كان لهم فى ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة ، الا أن ذلـــك لم يكن ، فدل على أنه غير موجود عندهم ، وذلـــك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشىء مما زعموا » (٣) .

ويمضى الشاطبى فينقض أدلة الغلاة التى استندوا اليها من نحو قوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقوله : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » بحملها على ما يتعـــلق بحال التكليف والتعبد . ثم ينهى الشاطبى كلامه بقولـــه :

« .. فليس من الجائز أن يضاف الى القرآن ما لا يقتضيه ، كما أنه لا يصح أن ينكر منه ما يقتضيه ، ويجب الاقتصار فى الاستعانة على فهمه عـــلى كل ما يضاف علمه الى العرب خاصة ، فيه يوصل الى عـــلم ما أودع مـــن الأحكام الشرعية ، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه ، وتقول على الله ورسوله فيه » (٤) ..

وفى العصر الحديث تجد من بين علمائنا الأفاضل من يتصدى للغـــلاة الذين حملوا القرآن كل علـــوم الأولين والآخرين ، وعـــلى رأس هـــؤلاء الأستاذ الأكبر المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغى ، فقد قال فى تقريظه لكتاب « الاسلام والطب الحديث » الذى تحدثنا عنه من قبل :

« لست أريد من هذا (يعنى ثناءه على الكتاب ومؤلفه) ، أن أقول : إن الكتاب الكريم اشتمل على جميع العلوم جملة وتفصيلا بالأسلوب التعليمى المعروف ، وانما أريد ان أقول : انه اتى بأصول ، وترك الباب مفتوحا لأهـــل الذكر من المشتغلين بالعلوم المختلفة ، ليبينوا للناس جزئياتها بقدر ما أوتوا منها فى الزمان الذى هم عائشون فيه » (٥) ..

● ● ● ● ●

وهكذا نجد لكل من فكرتى الغلو والاعتدال فى قضية القرآن وما حوى من العـــلوم مؤيدين ومعارضين من بين علمائنا القدامى والمحدثين .

والذى نرتضيه فى هذا الشأن هو ما يلى :

١ ـــ إن القرآن حوى كثيرا من علوم الدنيا والدين تصريحا أو تلميحا .

٢ ـــ إن اهتمام القرآن بعـــلوم الدنيا لا يقل عن اهتمامه بعلوم الدين ، لأن علـــوم الدنيا تؤيد الدين ، وتحميه ، وتفتح الطريق أمامه ، والا فما السر فى امتنان الله سبحانه على داود عليه السلام وقومه بقوله :

« وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون ؟ » ـــ الأنبياء : ٨٠ ..

وقوله : (ولقد آتينا داود منا فضلا : يا جبال أوبى معه ، والطير ، وألنا له الحديد . أن أعمل سابغـــات وقدر فى السرد واعملـــوا صالحا انى بمـــا تعملون بصير » ـــ سبأ : ١١ وعلى أى أساس غير علوم الدنيا يمكـــن أن نستجيب لأمر الله سبحانه « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » ؟ ـــ الأنفال : ٦٠ ..

٣ — إن العلم لا يقف عند غاية ، وإن الكون ملىء بأسرار لا تحصى ، ومهما كشف الانسان من حجب عن أسرار هذا الكون فلن يستوعب كل مكنونه من علوم ومعارف ، ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة فى نحـو قوله عـز وجـل :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » — الاسراء : ٨٥ ..

وقوله : « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الارض ومـن أنفسهم ومما لا يعلمون » — يس : ٣٦ ..

وقوله : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » — فصلت : ٣٦ ..

ولن يحيط بكل شىء علما الا الله خالق الكون ومبدعه :

« الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟ » — الملك : ١٤ .

« وهو بكل خلق عليم » — يس : ٧٩ .

« وكنا بكل شى عالمين » — الأنبيـاء : ٥١ .

« وكان اللـه بكل شى عليما » — الأحزاب : ٤٠ .

٤ — ان الله سبحانه — لا يرضى للانسان الـذى استخلفه فى الأرض واستعمره فيها أن يقتنع بالقليل من العلم ، أو ينام عن استجلاء ما احتواه الكون من كنوز العلم والمعرفة ، بالنظر والتأمل ما وسعه ذلك « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » (٦) وبالرجوع الى العلماء المختصين فيما وقفت قدرته دونه « فاسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون » (٧) ..

وفى القـرآن الكريم آيات كثيرة تتحـدث عن الظواهر الكونية ، ثم تختم هذه الآيات .

بنحو قوله تعـالى :

« قد فصلنا الآيات لقـوم يفقهون » — الأنعام : ٩٨ .

« إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون » — الرعـد : ٣

« إن فى ذلك لآية لقوم يعقلون » — النحل : ٦٧

« إن فى ذلك لآيات للعالمين » — الـروم : ٢٢

ولسنا نفهم من هذه العبارات وأمثالها الا أن الله يهيب بأولى الألباب والعقول أن يفتحوا أبصارهم وبصائرهم على آياته التى بثها فى الأنفس والآفاق ليتكشف لهم بعـض ما حواه الكون من علوم وأسرار ، تشهـد أولا عـلى قدرة الله وعلو سلطانه ، ثم لتكون لهم هذه الثروة العلمية — فيما بعد — مصدر قوة وعزة ومنعة فى حياة سلاحها العلم والمعرفة .

٥ — لا شك أن القرآن الكريم « يتحدث الى عقول الناس جميعا من لدن نزوله الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، وهو يساير حياتهم فى كل ما يمرون به من مراحل الزمن ، وهذا كله بحكم كونه كتاب الشريعة العامة الشاملة ، وقانون الدين الذى جعله الله خاتم الأديان السماوية لأهل الارض » (٨) .

ولا شك أن فى القرآن الكريم نصوصا يفهمها العربى وقت نزول القرآن على نحو ما وصل اليه العلم فى زمانه ، ولا يكاد يخرج فهمه عن حدود دلالة النص ، ويفهمها العربى فى العصر الحديث على ضوء ما وصل اليه العـلم فى زمانه فهما آخر لا يخرج هو أيضا عن دلالة النص ، ومثال ذلك :

قوله تعالى فى الآية ٣٠ من سورة الانبياء : « أو لم ير الذين كفروا أن أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما» فقد فسرها ابن عباس — رضى الله

عنهما — على ضوء ما وصل اليه العلم فى زمانه تفسيرا تحتمله الآية فقال :

« كانت السموات رتقا لا تمطر ، وكانت الأرض رتقا لا تنبت ، فلما خلق للأرض أهلا ، فتق هذه بالمطر ، وفتق هذه بالنبات » (٩) ..

وفسرها بعض علماء العصر الحديث على ضوء ما انتهى اليـــه العلم فى زمانه فقال :

« قرر الكتاب الكريم أن الارض كانت جزءا من السموات وانفصلت عنها ... وهذا الذى قرره الكتاب الكريم هو الذى دل عليه العـــلم ، وقـــد قال العلماء : إن حادثا كونيا جذب قطعة من الشمس وفصلها عنها ، وأن هـــذه القطعة بعد أن مرت عليها أطوار تكسرت وصارت قطعا ، كل قطعة منها سارت سيارا من السيارات ، وهذه السيارات طافت حـــول الشمس ، وبقيت فى قبضة جذبتها ، والارض واحدة من هـــذه السيارات ، فهى بنت الشمس ، والشمس هى المركز لكل هذه السيارات » (١٠) ..

ولا نكاد نجد تعارضا بين الفهمين ، والآية — على فرض صحـــة الرأى الثانى — تتسع لهما ، وذلـــك من وجوه الاعجـــاز القـــرآنى .

غير أن الذين فتنوا بنظرية أن القرآن حوى كل ما كان وما يكون مـــن العلوم بالغوا فحملوا بعض النصوص القرآنية حملا فيه تعسف ظاهر وتكلف غير مقبول على بعـــض العلوم ومصطلحاتها التى جدت ولم يـــكن للعـــرب عهد بها من قبل ، بل وعلى بعـــض النظريات العلمية التى لم تستقر بعد ، ومن لم تستخفهم هذه النزوة العلمية قرروا : أن هذا تأول للقرآن على غير تأويلـــه يقول الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى — رحمه الله فى تقريظه « لكتاب الاسلام والطب الحديث » :

« يجب الا نجر الآية الى العلوم كى نفسرها بها ، ولا العلوم الى الآية ولكن إن اتفق ظاهر الآية مع حقيقة علمية ثابتة فسرناها بها » (١١) ..

ويقول فى أحد دروسه التى كان يلقيها فى تفسير القرآن الكريم :

« وجد الخلاف بين المسلمين فى العقائد والأحكام الفقهية ، ووجد عندهم مرض آخر ، هو . الغرور بالفلسفة ، وتأويل القرآن ليرجع اليها ، وتأويله وتأويله وفقا لبعض النظريات العلمية التى لم يقر قرارها . وذلك خطر عظيم على الكتاب ، فان للفلاسفة أوهاما لا تزيد عن هذيان المصـــاب بالحمى . والنظريات التى لم تستقر بعد لا يصح أن يرد اليها كتاب الله » (١٢) ..

ويقول الاستاذ عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى :

« كل ما يجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الالهى يأمـــر بالبحث والتفكير ، ولا ينهاه عنه ، ولا يصده عن النظر والتأمل فى مباحث الوجـــود وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان ، ولكنه لا يأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية بعد نظرية يحسبهـــا العلماء ثابتة مقررة وهى عرضة بعد قليل للنقص والتبديل » (١٣) ..

ويقول فى موضع آخـــر :

« فمن الحق أن نعلم أن كتابنا يأمرنا بالبحث ، والنظر ، والتعلم ، والاحاطة بكل معلوم يصدر عن العقول ، ولـــكن ليس من الحق أن نزعم : أن كل ما تستنبطه العقول مطابق للكتاب ، مندرج فى ألفاظه ومعانيه ، فان كثيرا من آراء العلماء التى يستنبطونها أول الأمر لا يعدو أن يحسب من النظريات التى يصح منها ما يصح ، ويبطل منها ما يبطل ، ولا تستغنى على الدوام عـــن التعديل واعادة النظر من حين الى حين » (١٤) .

ويبدو لنا أن هؤلاء الغلاة الذين حملوا القرآن الكريم مالا يحتمل من علوم ونظريات ، حتى جعلوه مصدرا لجوامع الطب ، وضوابط الفلك ، ونظريات الهندسه ، وقوانين الكيمياء ، ومعادلات الرياضه .. الخ ، حسبوا ان ذلك يخدم القرآن ويبرز جانبا هاما من جوانب اعجازه ، وهذا وهم منهم ، فان مثل هذا التكلف لا يبرز الاعجاز ، وانما يذهب بالاعجاز !!

وليعلم هؤلاء الغلاة أن القرآن الكريم غنى عن ان يعتز بمثل هذا التكلف الذى يوشك أن يخرج به عن هدفه الانسانى الاجتماعى فى اصلاح الحياة ، ورياضة النفس ، والرجوع بها الى الله .. !!

وليعلموا — أيضا — أن من الخير لهم ولكتابهم آلا يسلكوا هذا المسلك فى فهم القرآن وتفسيره ، رغبة منهم فى اظهار اعجازه ، وصلاحيته للتمشى مع التطور العلمى فى مراحله الزمنية المتتابعة ، وحسبهم وحسب القرآن اعجاز الا يكون فيه نص يصادم حقيقة علمية ثابتة ، وانه يمكن التوفيق بينه وبين ما جد ويجد من نظريات وقوانين تقوم على أساس من الحق ، وتستند الى اصل صحيح ..

---

(١) الموافقات للشاطبى هـ ٢ ص ٧٩ ط : التجارية . ويقصد الشاطبى بقوله (ما تقدم) ما قرره من أن الشريعة امية وأهلها كذلك . وتنزيلها كان على مقتضى حال المنزل عليهم ، وخالهم الاعتناء ببعض علوم ذكرها لا بكل العلوم ..

(٢) يريد أن العرب لم يتكلموا الا فى العلوم التى كانت لهم بها معرفة .

(٣) الموافقات هـ ٢ ص ٨٠/٧٩ ..

(٤) الموافقات هـ ٢ ص ٨٠ — ٨٢ .

(٥) الاسلام والطب الحديث ص د. وانظر ما كتبه المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير المنار هـ ١ ص ٧ ، وما كتبه المرحوم الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت فى العدد ٤٠٧ ، ٤٠٨ من السنة التاسعة لمجلة الرسالة (أبريل سنة ١٩٤١ م) ، وما كتبه المرحوم الشيخ أمين الخولى فى كتابه « التفسير . معالم حياته . منهجه اليوم » عند الكلام عن التفسير العلمى .

(٦) فى الايـة ١٠ من سورة يونس ..

(٧) فى الآية ٧ من سورة الأنبياء ..

(٨) التفسير والمفسرون هـ ٢ ص ١٥٨ ..

(٩) تفسير ابن كثير هـ ٢ ص ١٧٧ ط : الحلبى ..

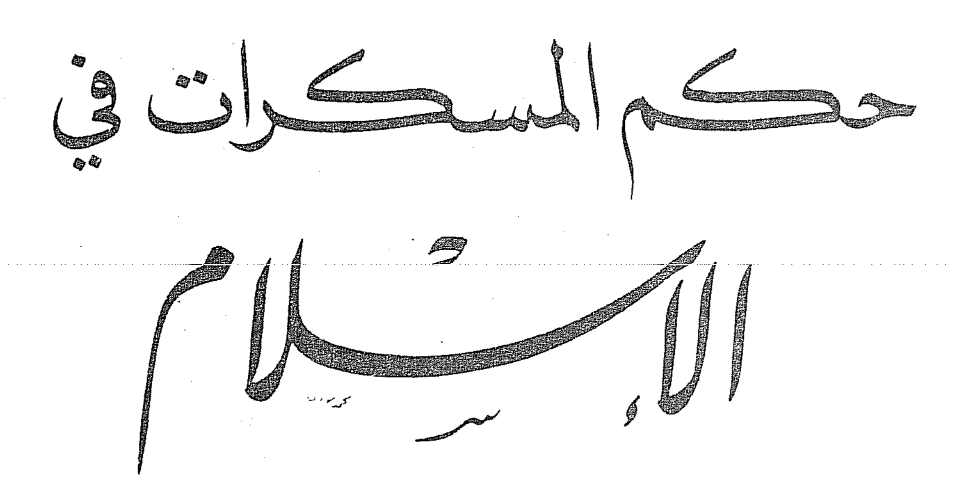
(١٠) تفسير سورة لقمان للاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى ص ١٣ مطبعة الازهر ..

(١١) الاسلام والطب الحديث ص ٣ ولبعض قدامى المفسرين أقوال قريبة من هذا فلتراجع فى كتب التفسير .

(١٢) الدروس الدينية للشيخ محمد مصطفى المراغى لسنة ١٣٥٦ هـ ص ٤٢ .. مطبعة الازهر ..

(١٣) الفلسفة القرآنية للعقاد ص ٢٠٦ — ط : دار الكتاب العربى — بيروت ..

(١٤) التفكير فريضة اسلامية ، للعقاد ص ٧٨ ط : دار الكتاب العربى — بيروت .



حقيقة الخمر وحكمة تحريمها ونوعية العقوبة عليها

د : محمد سلام مدكور

— ٢ —

بينا في المقال السابق أن الشارع الحكيم ربط الأحكام بما يصلح العباد ، ويجنبهم الوقوع فى المفاسد ، وأن الشارع مهد للدعوة الى اجتناب الخمر ببيان ما تجمعه من المفاسد ، وأنه فى كثير من الأحكام يذكر جزئيات تلمح الى ما فيه المصلحة ، كما أنه كثيرا ما يقرن الحكم بحكمته صراحة أو يكتفى بالنصوص العامة التى تدل على ربط الأحكام بالمصالح ..

وبينا أن العقل أمر ضرورى يتطلبه الدين ، واعتبره من الضرورات الخمس التى يجب الحفاظ عليها ، لأنه الاساس المقوم للانسانية ، وهو مناط التكليف ، لذا فان الشارع حرص على احاطته باطار صلب حتى لا يتسرب اليه شىء من الخلل أو الفساد .

وبينا أن الخمر ، وما فيه معنى الخمر من المسكرات تؤثر على العقل ، وتجعل الشخص متخبطا فى حركاته ، وأقواله ، وأفعاله ..

كما بينا حقيقة الخمر التى جاء الاسلام بتحريمها ، وأنها تشمل كل مسكر مما عرف قديما أو استحدث فى العصور المتأخرة ، وأن التحريم جاء بأسلوب الأمر بالاجتناب بعد بيان أنها رجس من عمل الشيطان ، وتكلمنا عن حكمة التحريم والتدرج فيه ، وانتهينا الى أن كل شراب من شأنه الاسكار يكون من الخمر ، وأن الله حرم الخمر تحريما لا يقبل الجدل ، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام ، وقلنا

أن الامام أبا حنيفة وصاحبه أبا يوسف يريان أن الاشربة التى لم تستخرج من العنب ، المحرم منها هو القدر المسكر ، واما ما دونه فانه اذا شربه لغير لهو مع غلبة ظنه أنه غير مسكر فانه أيضا يأثم ، ويلزمه العقاب ، الا أن عقابه يكون دون العقاب على الحد المسكر منه ، وقلنا أن ما استدلوا به ضعيف لا يسلم لهم .
وسنتكلم هنا عن ضابط الاسكار ، وعقوبة مستحل الخمر ، وشاربها ، وحكم التداوى والانتفاع بها على أى وجه ، وحكم تناول المخدرات .

وضابط السكر الموجب للحد كما يرى أبو حنيفة أن يصل الشخص بسبب الشرب الى درجة لا يعقل شيئا ، ولا يفرق بين الرجل والمرأة ، أو الأرض والسماء، أى أن أبا حنيفة بنى الحكم على اكمل السكر ، لأن الحدود يؤخذ فى أسبابها بأقصاها درءا للشبهة ، بينما يرى الصاحبان أن السكر الذى يجب فيه الحد هو أن يكون الشخص قد غلب على كلامه الهذيان ، لانه المتعارف بين الناس ، وهذا القياس واضح مما روى عن الامام على فى قوله : « اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى » ، والمفتى به فى المذهب بالنسبة لضابط السكر ، هو ما قاله الصاحبان ، وهو المعتبر فى المذاهب الأخرى ، من الاكتفاء بغلبة الهذيان على كلام الشخص .
واذا كان الشيخان يتجهان هذه الوجهة فى قصر التحريم على القدر المسكر بالنسبة لبعض الأشربة مسايرة لبعض فقهاء الكوفة والبصرة ، على ما بينا فى المقال السابق فان محمد بن الحسن الفقيه الحنفى يتجه وجهة جمهور الفقهاء من المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والظاهرية والشيعة الجعفرية والزيدية ، وعامة فقهاء الحجاز ، فى تحريم ما قل أو كثر من كل شراب مسكر من أى نوع كان .
واذا كان محمد بن الحسن لا يوجب الحد فى بعضها ، ويوجب عقوبة التعزير فان سائر المذاهب الأخرى يوجبون الحد فى تناول أى قدر من أى شراب من شأنه الاسكار ، وهو المروى عن جمع من الصحابة والتابعين (١) ومع هذا فانه يروى عن الشافعية والحنابلة بالنسبة لبعض الأصناف التى ليس من شأنها الاسكار الكراهة لا التحريم ..

عقوبة مستحل الخمر وشاربها : ـ

لا خلاف بين الفقهاء فى أن المتخذ من العنب والرطب على ما بينا يكون خمرا وكذا غيرهما من المسكرات على ما ذهب اليه جمهور الفقهاء ، فقد بينا قبل أن اتجاه كثير من المذاهب الفقهية : أن سائر المسكرات تأخذ حكم الخمر من كل الوجوه ، سواء من حيث التحريم أم من حيث العقوبة أم من حيث حرمة الانتفاع بها وعدم تقومها .
ولهذا فان الفقهاء يكفرون مستحل الخمر المتفق على تحريمها لثبوتها بالدليل القطعى ، أما غيرها مما جاءت به السنة وألحقته بالخمر مما اختلف الفقهاء فى اعتباره خمرا ، فانه لا يحكم بكفر مستحلها ، وانما يفسق ، وان كان شاربها يستحق العقاب ، بل نص الشيعة الامامية على أن مستحل الخمر يقتل ولا يستتاب لأنه مرتد من حيث انكاره ما علم من الدين بالضرورة .
أما عقوبة شارب الخمر : فانه يجب معاقبة شارب الخمر طوعا واختيارا ،

وان لم يسكر ، سواء شرب الكثير أو القليل على التفصيل والخلاف السابق .
نقل الصنعانى (٢) عن طائفة من أهل العلم أن العقوبة الواجبة هى التعزير ، لأن الرسول صلوات الله عليه وسلامه لم ينص على حد معين ، وانما ثبت عنه الضرب المطلق ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أنه كان يؤتى بالشارب فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيضرب بالأيدى ، والجريد ، والثياب ، والنعال .

وفى حديث أنس الذى رواه كل من أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ، والترمذى: أن النبى صلوات الله عليه وسلامه أتى برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين . قال — وفعله أبو بكر . فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانون ، فأمر به عمر للشارب .

وفى الصحيحين عن على : ما كنت لأقيم على أحد حدا فيموت ، وأجد فى نفسى شيئا الا صاحب الخمر ، فانه لو مات وديته — بفتح الدال وسكون الياء — أى دفعت ديته — وذلك أن رسول الله لم يسنه .

ويقول الشيخ رشيد رضا : « ويستفاد من مجموع الروايات أن المشروع فى العقاب على شرب الخمر هو الضرب ، المراد منه اهانة الشارب ، وتنفير الناس من الشرب وأن ضرب الشارب أربعين أو ثمانين كان اجتهادا من الخلفاء » (٣) ويروى فى هذا عن الامام على أنه قال : « لما استشار عمر الصحابة فى حد الشرب : انه اذا شرب سكر ، واذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . ومع هذا فيروى فيما أخرجه مسلم فى صحيحه أن عليا جلد الوليد بن عقبة أربعين ، وقال : جلد النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ، وأبو بكر أربعين ، وعمر ثمانين ، وكل سنة ، وهذا أحب الى . وروى أبو داود بسنده عن أبى هريرة أن رسول الله أتى برجل قد شرب فقال : — اضربوه ، قال أبو هريرة فمنا الضارب بيده والضارب بنعله . فلما انصرف — أى هم الرجل بالانصراف — قال بعض القوم : أخزاك الله ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: لا تقولوا هكذا ، لا تعينوا عليه الشيطان !! . .

ومن هذا يبين أن عقوبة شرب الخمر كانت فى عصر الرسو ل، وفى خلافة أبى بكر لا تتجاوز الاربعين جلدة ، ولما كان عهد عمر وقد أرسل له خالد بن الوليد بعض الرجال يقول : ان الناس قد انهمكوا فى الشرب ، وتحاقروا الحد والعقوبة، وكان فى مجلس عمر كل من عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعلى وطلحة ، والزبير ، قال عمر هم هؤلاء عندك فسألهم فقال على : نراه اذا سكر هذى ، واذا هذى افترى ، وعلى المفترى ثمانون جلدة . فقال عمر للرجل : بلغ صاحبك ما قالوا .

ونستطيع القول بأن عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير ، وليست حدا ، لأن كل الأخبار الواردة عن الصحابة لا تدل على اجماع قاطع بتحديد حد ، بل تفيد أنهم لم يستقروا على رأى لم يجدوا معدلا عنه أكثر من القدر المشترك بعقوبة التعزير . وما كان فى عهد عمر فانه من قبيل السياسة الشرعية ردعا للناس لما قال رسول خالد : ان الناس استهانوا بعقوبة الخمر .

وتقرر هذا المبدأ ببيان ان الفقهاء قالوا : ((**ان الحد ماله عقوبة مقدرة فى كتاب الله ، والخمر ليست له عقوبة مقدرة محددة في كتاب الله ، بل ولا فى عهد الرسول عليه السلام ، بل كانوا يضربون بالوان مختلفة من الضرب ، والآلة ، والقدر فالعدد الذى ورد فى بعض الاحاديث لم يكن على سبيل التحديد ، وانما جاء بصيغة تفيد التقريب ، وهى نحو الاربعين**)) ..

وكذلك فى عهد الخلفاء لم يقع هناك استقرار على رأى نقل الينا أمره على وجه التحديد ، وانما كان اجتهادا . ولو كان هناك حد معروف لما قال عمر لرسول خالد : هؤلاء . على أن صيغة رواية هذا الخبر وما قاله عمر بعد أن أفتوا : ابلغ خالدا ما قالوا — ليشعر انه يريد اظهار انه ليس مصدر الفتوى ، وان كان قد اقرها تبعا لهم ..

على ان عليا برغم انه فى مناسبة أخرى أفتى بطريق النظر والاجتهاد بثمانين جلدة قياسا على عقوبة القذف ، فاننا نجده قد بقيت فى صدره بقية من الحرج والتردد حتى قال : لو مات الشارب المجلود بمقتضى فتواى لألزمت نفسى بالدية . ولو كانت هذه العقوبة حدا مقدرا لما ألزم نفسه بالدية ان صحت الرواية عنه بذلك ، ومع قياسه هذا فانه كان أحيانا يعاقب بأربعين جلدة ويقول : ان كلها سنة . مما يدل على أن عقوبة الشرب ليست من قبيل الحدود (٤) .

هذا وجمهور الفقهاء من الحنفية ، والمالكية ، والحنابلة ، والزيدية ، والجعفرية على أن عقوبة شارب الخمر الحد ، وأن القدر الواجب لشارب الخمر أو غيرها من المسكرات ثمانون جلدة (٥) ، واستدلوا بما روى عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم اتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين **نحو اربعين . قال أنس** : وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن ابن عوف : أخف الحدود ثمانون فأمر به عمر (٦) . وليس فى هذا ما يدل على أن عقوبة الخمر شرعها الرسول ثمانين ، واعتبرها من قبيل الحد .

وقد أدعى بعض الفقهاء الاجماع على أنها من قبيل الحد ، وانها ثمانون جلدة لكن أى اجماع هذا مع ما صدرنا به الكلام فى عقوبة الشارب من نقل الصنعانى عن طائفة من أهل العلم : أن العقوبة الواجبة هى التعزير ، ومع ما قدره الشافعية والظاهرية من أن حد الخمر وسائر المسكرات أربعون جلدة (٧) .

واختلف الفقهاء أيضا بالنسبة لمن تكرر منه شرب الخمر فذهب ابن حزم الى انه يقتل فى المرة الرابعة ، مستدلا بما أخرجه أحمد عن معاوية عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى شارب الخمر : اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب فاجلدوه ، ثم اذا شرب الثالثة فاجلدوه ، ثم اذا شرب الرابعة فاضربوا عنقه (٨) . لكن جمهور الفقهاء لم يروا القتل ، وقالوا : انه منسوخ بما رواه أبو داود عن الزهرى من أنه صلوات الله عليه ترك القتل فى الرابعة (٩) .

وينبغى أن نشير هنا الى ما قاله الفقهاء فيما اذا مزجت الخمر بالماء ، أو طبخت مع مرق ، أو لحم ، أو عجن بها الخبز ونحوه فقالوا : اذا مزجت بالماء وبقى طعم الخمر ورائحتها لكثرتها أقيم عليه الحد ، أما أن زالت رائحتها وطعمها

لكثرة الماء وتلاشيها فيه ، فانه لا يجب الحد عند القائلين باقامة الحد ، وانما يجب زجره بالتعزير لحرمة شربها مع ذلك بالاتفاق (١٠) .

وكذلك بالنسبة للخمر اذا ما طبخت وخلطت بالمرق وان كان الشافعية يوجبون الحد اذا ما طبخ اللحم بالخمر ، ثم شرب الشخص المرق وان كان لا يحد بأكل اللحم دون المرق ، واما أكل الخبز ونحوه المعجون بخمر أو مسكر آخر فانه حرام ويعزر فاعله ، وكذلك من يحتقن بالخمر فانه يجب التعزير لا الحد ، ومن هذا يظهر الحكم بالنسبة للماكولات والحلوى التى دخل فى صنعها شىء من الخمر وما الحق بها ، كما يبين حكم الاحتقان بالمخدرات من الافيون ونحوه لانها تأخذ نفس الحكم على ما سنذكر .

حكم التداوى بالخمر

اختلف العلماءفقيل بعدم الجواز مطلقا ، لقوله عليه الصلاة والسلام : « ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم » ، ولقوله فى الخمر فيما رواه مسلم : «انه ليس بدواء ولكنه داء » ويرى الشافعية ايضا حرمة التداوى بالخمر غير المزوجة بما تستهلك فيه أما اذا استهلك فى شىء آخر من الحلال فانه يجوز التداوى بها ، وبعضهم لا يجيز التداوى بالخمر (١١) ، والذى يتضح من قول الشافعى فى الام اذا علم المريض أو اخبره أهل العلم به ، أن برأه يكون بأكل كذا أو شرب كذا ، او انه أعجل ما يبرئه كان له اكله وشربه ما لم يكن خمراً اذا بلغ ما يسكر ، وكذا ما يذهب العقل من المحرمات . ويتضح من هذا ان الممنوع فى هذه الحالة هو القدر المسكر ، ولعل حقيقة الخلاف فى الفقه الشافعى انما ترجع الى القدر المسكر دون غيره ، فالتداوى بالقدر الذى لا يسكر يبدو انه جائز عندهم .

بينما يذهب الزيدية والامامية الى جواز التداوى بالخمر اذا تاكد حصول الشفاء بها ، ويكون ذلك من قبيل الاضطرار ، والقاعدة : ان الضرورات تبيح المحظورات . وكذلك فان ابن حزم الظاهرى يجعل التداوى من حالات الضرورة ويقول : التداوى بمنزلة الضرورة ، وقد قال الله تعالى : (وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه ، وأورد أدلة المانعين ، وضعف بعضها وأول الاحاديث فقال : ان المحرمات فى حالة الاضطرار الى التداوى بها تكون مباحة ولا تكون من الخبائث ، ويقول الكاسانى الحنفى (١٣) : يجوز التداوى بالخمر اذا تيقن حصول الشفاء فيه . ويقول السرخسى (١٤) : الدواء مما لا طريق الى معرفة حقيقته من جهة معرفة الشفاء به على وجه اليقين ، وما لا طريق الى معرفة حقيقته يعتبر فيه غالب الرأى . ويقول فى موضع آخر بالنسبة للدواء المزوج بمسكر : ولو عجن دواء بخمر أو جعلها احد أخلاط الدواء ثم شربها والدواء هو الغالب فلا حد عليه ، وان كانت الخمر هى الغالبة فانه يحد لأن المغلوب يصير مستهلكا بالغالب اذا كان من خلاف جنسه ، والحكم للغالب . ويقول ابن تيمية (١٥) : اذا استهلكت الخمر فى المائع بأن زالت عينها لم يكن الشارب لهذا المائع شاربا لخمر . ويشترط الامام محمد عبده لجواز أخذ دواء من الخمر أن لا يقصد المتداوى بها اللذة والنشوة ، ولا يتجاوز مقدار ما يحدده الطبيب ، ثم قال : ان أخذها لمجرد تقوية الدم أو اصلاح المعدة ونحو ذلك منهى عنه حتى لو بأمر الطبيب لقول النبى صلى الله عليه وسلم

لما سئل : « انه ليس بدواء ولكنه داء » (١٦) ، كما جاء فى تفسير المنار ايضا : اذا وصل التداوى بالخمر الى حد الاضطرار ولو بشهادة الثقة من الأطباء فانه يجب ان يراعى فى تعاطيه قاعدة الضرورة ، وانها تقدر بقدرها ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « الاباحة عند الأصوليين والفقهاء » .

وجاء فى فتاوى ابن تيمية (١٧) نقلا عن الحنابلة : عدم اباحة التداوى بمحرم وقد افتى كل من ابن تيمية ، وابن القيم بذلك (١٨) ، وبه قال كل من سحنـــون ، وابن العربى ، من فقهاء المالكية (١٩) ، واحتجوا بجملة احاديث ، منها مـــا رواه مسلم فى صحيحه عمن سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن صنعه الخمر بقصد أن تكون دواء : « انه ليس بدواء ولكنه داء » ، بل نجد الامامين ــ مالـــكا ، والشافعى ــ لم يجيزا شرب الخمر لضرورة العطش ، جاء فـــى الأم (٢٠) : « وليس للمضطر أن يشرب خمرا » ، ونقل ابن العربى (٢١) عن مالك انه قال : لا يزيده الخمر الا عطشا . لكن ابن العربى استظهر أنها تدفع العطش فتباح لضرورة دفع الهلاك عن النفس .

الانتفاع بالخمر وتقومها ونجاستها

امر الله سبحانه باجتناب الخمر ووصفها بانها رجس ، فحرم لهذا على المسلم الانتفاع بها بأى وجه ، كما يحرم عليه تملكها أو تمليكها للغير ، وقد وردت أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر فى تحريم الانتفاع بالخمر ، منها ما رواه مسلم ، وأحمد ، والنسائى ، عن ابن عباس ، كما روى عن طريق أبى هريرة أن الرسول صلوات الله عليه قال : « ان الذى حرم شربها حرم بيعها » ، كما روى أبو داود عن ابن عمر أن الرسول صلـــى الله عليه وسلم قـــال : (لعن اللـــه الخمـــر ، وشاربهـــا ، وساقيهـــا ، وبائعهـــا ، ومبتاعهـــا وعاصرهـــا ، ومعتصرهـــا وحاملهـــا ، والمحمولـــة اليـــه ، وآكـــل ثمنهـــا) ، وقـــد حـــرم بعض الفقهاء كالمالكية ، والحنابلة ، والشافعية ، ساقيها للدواب غير أن الشافعية يجيزون مداواة البهائم بها (٢٢) ، وقال السرخسى : (الانتفاع بالخمر حرام ، فقد لعن رسول الله فى الخمر عشرا ، وقال فى الجملة من ينتفع بها ، ولا تمشط المرأة بالخمرة لانهافى خطاب تحريم الشرب كالرجل ، وكذلك يقام عليها الحد عند الشرب فكذلك فى الانتفاع بها من حيث الامتشاط ، وقد صح عن السيدة عائشة انها كانت تنهى النساء عن ذلك اشد النهى . ثم قال : ولو عجن الدقيق بالخمر ثم خبز كره اكله ، لان الدقيق تنجس بالخمر ، والعجين النجس لا يطهر بالخبز فلا يحل اكله ولو صب الخمر فى حنطة لم يؤكل منها حتى تغسل لانها تنجست بالخمر .وذكر فى النوادر عن ابى يوسف فيما اذا تشربت الحنطة بالخمر ، تغسل ثلاث مرات وتجفف فى كل مرة ، وعند محمد لا تطهر بحال لان الغســل انما يزيل ما على ظاهرها ، فاما ما تشرب فيها فلا يستخرج الا بالعصر ، وهو لا يتاتى فيها ..ثم قال : ولو سقى شاة خمرا ، ثم ذبحت ساعتئذ فلا بأس بلحمها ، وكذلك لو حلب منها اللبن فلا بأس بشربه ، لان الخمر مستهلكة بالوصول الى جوفها ، ولم تؤثر فى لحمها ولا لبنها ، وهى على صفة الخمرية (٢٣) ، « ولا يبعد فقهاء المذاهب فـــى حرمة الانتفاع بالخمر عن ذلك (٢٤) .

كما نص الفقهاء على حرمة مجالسة شارب الخمر وغيرها من المسكرات ، أو الأكل على مائدته . لما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله : « ملعون من جلس على مائدة يشرب عليها الخمر » ..

ويتفق فقهاء المذاهب على نجاسة الخمر نجاسة مغلظة لأن الله سماها رجسا ، وينص المالكية على أن كل مسكر من أى نوع نجس الذات ، ويوافقهم على ذلك صراحة الشيعة الجعفرية اذ ينصون : ومن النجاسات المسكرات ، وقالوا « وفى المعتبر الأنبذة المسكرة عندنا فى التنجس كالخمر (٢٥) .

أما من ناحية ماليتها وتقومها ، فان الفقهاء متفقون على عدم تقومها بالنسبة للمسلم ، وان كانت ماليتها لا تسقط فى الاصح ، وأما بالنسبة للذمى فانها تكون متقومة اذا كانوا يعتقدون ذلك ، وعلى هذا لو أتلف ذمى لمسلم خمرا فلا ضمان عليه ، لأن ما أتلفه ليس بمتقوم ، واذا أتلف مسلم لذمى خمرا فانه يضمن قيمته ، لأنه مال متقوم فى عقيدته ، والعبرة فى كل حال بعقيدة المالك للخمر ، الذى وقع عليه الاعتداء ، وقد فصلنا القول فى ذلك فى كتابنا « المدخل للفقه الاسلامى) .

حكم المخدرات :

هذا وينبغى بعد أن بينا الأحكام المتعلقة بالخمر والمسكرات فى الاسلام أن نشير هنا الى أن فقهاء المذاهب من الحنفية ، والمالكية ، والشافعية ، والظاهرية والشيعة الجعفرية ، قرروا حرمة تناول كل ما يؤثر فى العقل كالحشيش ، والأفيون ، وما فى حكمها لثبوت ضررها .

والأصل فى تحريمها ما رواه احمد عن أم سلمة قالت : نهى رسول الله عن كل مسكر ومفتر . واذا كانوا قد نصوا على عدم وجوب الحد على شارب شىء من ذلك لعدم ورود نص فيها ، فانهم نصوا على معاقبة من يتعاطاها بعقوبة التعزيز وفقا لما يراه القاضى رادعا وزاجرا ومحققا للصالح العام (٢٦) غير أن ابن تيمية نص فى فتاويه على أنه يجلد متعاطى الحشيش كما يجلد شارب الخمر ، والى هذا اتجه الشيعة الجعفرية (٢٧) .

● ● ●

وفى الختام نستطيع أن نقول : ان الخمر من الكبائر ، وهى أم الخبائث ، لأن من تأمل فى الاخبار الواردة فيها ثبت له أن تحريمها لما فيها من المفاسد ، لأنها تتصل بحفظ العقل الذى هو من الضروريات الخمس ، التى وردت جميع الشرائع للمحافظة عليها .

وما أكثر ما صنعت الخمر بشاربيها فهان عليهم قتل النفس ، وهان عليهم الزنى ، حتى بأقرب الناس اليهم ، وقد ورد فى بعض الاخبار : أن الخمر أم الفواحش ، وأكبر الكبائر ، من شربها وقع على أمه وخالته وعمته (٢٨) . وهذا أكبر تفظيع للخمر ، وتنفير منها ، وهو أمر مشاهد ، فان من زال عقله زال تقديره واستوت عنده الأمور ، فحسن عنده أن يزنى كيف شاء ، وأن يفحش كيفما اشتهت نفسه ، دون تقيد بقيم ولا اعتبار لحرمات .

ومن المشاهد أن الكثير ممن يقدمون على ارتكاب الجرائم يحتسون كئوسا

من الخمر يدسون بها عقولهم ، ويورون بها نور تفكيرهم ، ويتجهون بعد ذلك الى جرائمهم ، وهذا مما يفسر لنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « الخمر أم الخبائث » . فهذه سهرات الخمر تستباح فيها الأعراض ، وتسقط القيم الخلقية ، وتهان الكرامات ، وتنزل الخمر بشاربها من الاتزان الى أن يصير أضحوكة يستخف بأمره ويستهزأ به .

ولقد لمسنا آثار المسكرات والمغيبات على الصحة النفسية والجسمية ، فنجد شاربها يتميز عن غيره ، بأنه سريع الغضب ، قليل الاحتمال كثير التبرم ، قليل الصبر على ما يؤديه من الواجبات ، وأنه يصبح أسيرا لهذه العادة ، عبدا لهذه الشهوة ، وسرعان ما يجد نفسه مشدودا اليها ، مضطرا الى معاودة تعاطيها ، ومعالجة حاله بها فيقول : وداونى بالتى كانت هى الداء .

ولا يزال الداء هو الدواء لا فكاك منه حتى يدرك أنه خسر انسانيته فيقلع عنها اقلاعا تاما فيستقيم أمره ، ثم تهدأ أعصابه ، وتستريح نفسه ، ويسير فى حياته سيرا طبيعيا .

ولقد ترالمت الينا آراء الحكماء ، ولا سيما أطباء الاعصاب من أن للخمر وغيرها من المسكرات والمغيبات تأثيرا فاتكا على الكبد ، الذى هو دعامة الهضم ، وأساسه ، والذى اذا فسد فسد انتفاع الانسان بطعامه وشرابه ، فانها تحدث فيه تليفا ، وتعرض صاحبه لكثير من الأمراض .

من أجل هذا وذلك حرم الاسلام شرب الخمر والمسكرات ، وسبق كل المدنيات ، وتقدم جميع النظريات فى اعلان الحرب على هذه الأشربة الخبيثة التى بدأت الأمم المتحضرة تشعر بمضارها وتعمل على الحد من سلطانها على الناس ، فهو سبحانه القائل : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » .

ومن هذا النص القرآنى الكريم يبين أن الاسلام أسبق فى مفهوم أن تعاطى الخمور من دوافع ارتكاب الجرائم ، وأن فى منعها وتحريمها منعا لكثير من الجرائم وهكذا دائما نجد أن الاسلام أسبق الى كل ما يعود على المجتمع الانسانى بالخير .

نعم للاسلام شرف السبق فى هذا ، شأنه فى كل أحكامه وتوجيهاته ، ولا غرو فان الاسلام الذى يحافظ على العقل وينظر اليه عنوانا لميزان الانسان فى حياته ، أبى على معتنقيه أن يفرطوا فى هذه الجوهرة ، ولو فى ساعات قد تكون فيها كبوة الواحد منهم ومهلكته .

● ● ●

والنتيجة التى ننتهى اليها أنه لو اتجه الناس الى الاسلام وجهة صادقة خالصة فأخذوا بهديه وتشريعه ، لوجدوا أنه هو رائد سعادتهم ، وكافل انسانيتهم ، وحامى تآلفهم وتوادهم ، ودعامة ذلك كله المحافظة على العقل ، ودعامة المحافظة على العقل فى اجتناب هذا الاثم ، وانظر كيف اتجه التشريع الى تحريم القليل والكثير من كل مسكر فى قوله صلوات الله عليه : « ما أسكر منه الفرق ــ بفتح الفاء والراء ــ فملء الكف منه حرام » ، حتى يغلق كل باب دون تعاطيها محافظة

على عقولهم ، ومهابتهم ، وكرامتهم ، وللانسان على نفسه بصيرة ، هدانا الله الى الخير والفلاح ، وجنبنا الشر والفسوق والعصيان .

---

(١) راجع المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٢٠٥ ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ ، البحر الزخار جـ ٤ ص ٣٤٩ .

(٢) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٧ ، مطبعة محمد على صبيح — باب حد الشارب وبيان المسكر — وانظر هذه العبارة فى ص ٣٩ .

(٣) تفسير المنار جـ ٧ ص ٩٨ .

(٤) ويتجه هذه الوجهة صاحب رسالة تعليل الاحكام اذ يصرح بان عقوبة شرب الخمر من قبيل التعزير لا الحد ، راجع ذلك فى ص ٦٢/٦٠ .

(٥) المغنى لابن قدامة جـ ٨ ص ٣٠٤ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٥ ، الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٧٢ شرح النيل جـ ٧ ص ٦٥٢ .

(٦) سبل السلام للصنعانى جـ ٤ ص ٣٨ .

(٧) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٩ ، نهاية المحتاج الى شرح المنهاج جـ ٨ ص ٩ فما بعدها ، المحلى لابن حزم جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٨) سبل السلام جـ ٤ ص ٣٩ .

(٩) المرجع السابق .

(١٠) مغنى المحتاج جـ ٤ ص ١٨٨ ، المغنى جـ ٨ ص ٣٠٦ ، المحلى جـ ٧ ص ٥٦٨ ، البحر الزخار جـ ٥ ص ١٩٢ ، الروضة البهية فى فقه الشيعة الامامية جـ ٢ ص ٣٧١ .

(١١) المجموع جـ ٧ ص ٤٩ .

(١٢) جـ ٢ ص ٢٥٢ .

(١٣) البدائع جـ ٥ ص ٦١ .

(١٤) المبسوط جـ ٢٤ ص ٥٠ .

(١٥) فتاوى ابن تيمية جـ ١ ص ٢٠ .

(١٦) تفسير المنار جـ ٧ ص ٩١/٨٩ .

(١٧) جـ ١ ص ٢٧٠ .

(١٨) زاد الميعاد جـ ٣ ص ١١٤ .

(١٩) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٩ .

(٢٠) جـ ٢ ص ٢٥٣ .

(٢١) أحكام القرآن جـ ١ ص ٥٦ .

(٢٢) المحلى جـ ٧ ص ٥٦٢ .

(٢٣) المبسوط جـ ٢٤ ص ٢١ .

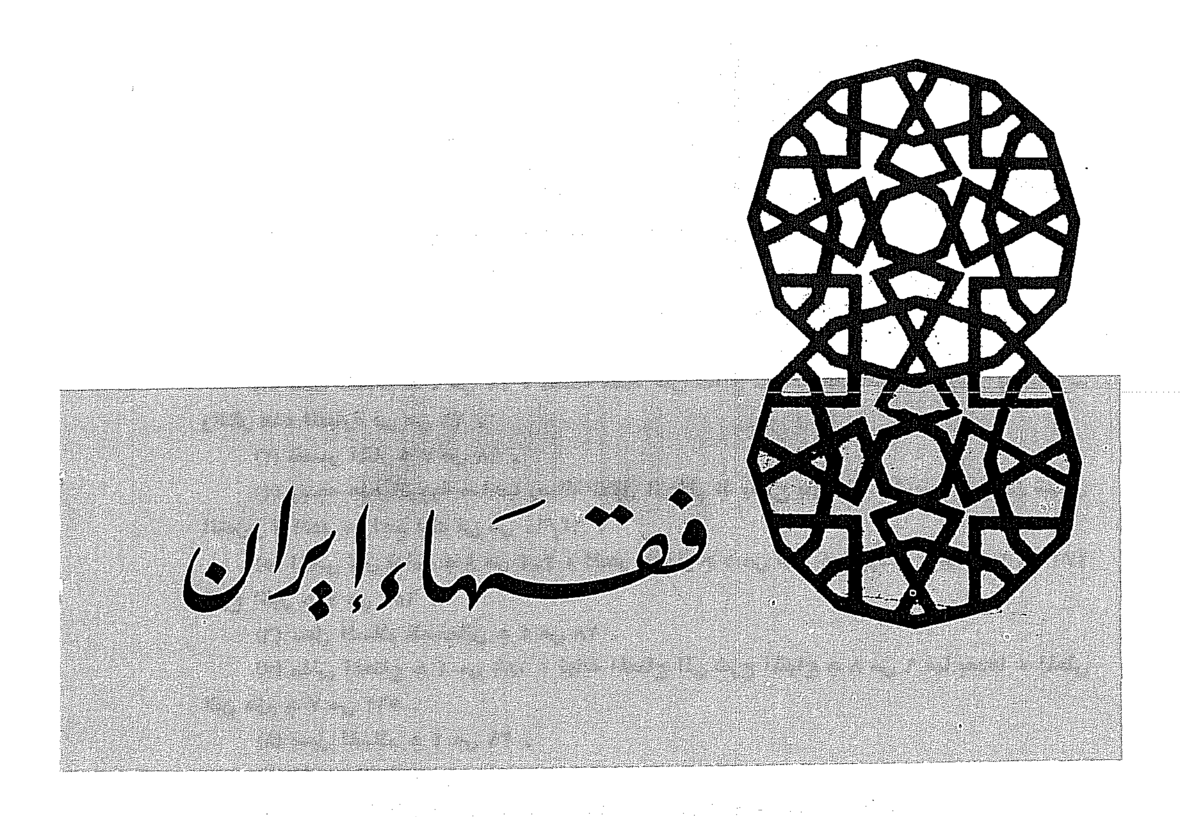
(٢٤) الشرح الكبير وحاشية الدسوقى جـ ٤ ، تحفة المحتاج جـ ٧ ، المغنى لابن قدامه جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، جواهر الكلام جـ ٦ .

(٢٥) راجع ابن عابدين جـ ٥ ، المقدمات جـ ٢ ، مغنى المحتاج جـ ٤ ، المغنى لابن قدامة جـ ٨ ، المحلى جـ ٧ ، البحر الزخار جـ ٤ ، شرح النيل جـ ٤ ، الخلاف جـ ١ .

(٢٦) حاشية ابن عابدين جـ ٥ .

(٢٧) الروضة البهية جـ ٢ ص ٣٨٥ .

(٢٨) الجامع الصغير للعزيزى جـ ٢ ص ٢٧٦ .

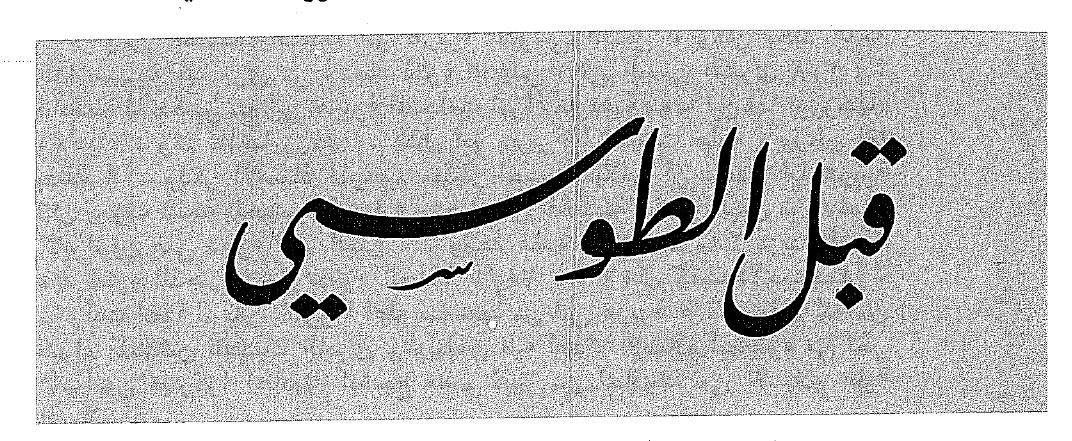


ان أبا جعفر الطوسى (المولود فى ٣٨٥ والمتوفى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة) كان من كبار فقهاء الاسلام فى ايران ، ولكن ليس هو الوحيد منهم ولا الأول من بينهم . ان زملائى من أهل العلم ذكروا لنا ذلـك فى دراسة حياتـه وآثاره ، ولعل بحثى القصير الحقير يبين كيف تيسر للطوسى أن يصل الى ما وصل من المعارف والفضائل العلمية .

ان ايران أمة ذات ثقافة قديمة وتاريخ طويل . ومن حسن حظها أن من الله عليها بسعادة روحانية أيضـــا بعد أن كانت قد نالت ما نالت من السعادة المادية الملك والمال ، فدخل الاسلام فيها منذ أول الامر . وهذا مكن الايرانيين من أن يساهموا فى تطور الفقه الاسلامى ، فصاروا شركاء فى ملكيته ، لا فى الاستفادة منه فقط .

ان أساس الفقه أو القانون الاسلامى هو كلام الله ، وسنة رسوله وهما أعلى وأرفع من أن يكونا لأمة من الامم البشرية . بل انهما لجميع الانسانية . فاذا لم يجد الانسان فيهما صراحة ، فلا بد من أن يجتهد برأيه . وقد ساهم المفتون والفقهاء والقضاة والولاة خاصة فى هذا الصدد . وهذا منذ العصر النبوى . فقد روى أن بعض الصحابة ، مثل سيدنا أبى بكر ، كانوا يفتون للسائلين حتى فى حضرة النبى عليه السلام ، طبعا فى بسائط المســـائل « التراتيب الادارية ــ للكتانى ٥٧/١ ــ عن ابن الجوزى » . ويشير اليه أيضا الحديث الشهير الذى ذكره كثير من المحدثين أن النبى عليه السلام لما أرسل معاذ بن جبل قاضيا الى اليمن ، سأله : بم تحكم ؟ قال : بكتاب الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فبسنة رسول الله . قال : فإن لم تجد فيه ؟ قال : فأجتهد رأيى ولا آلو جهدا . فسر النبى عليه الســـلام وقال : الحمد لله الذى وفق رسول رسوله بما يرضى رسوله .

للدكتور محمد حميد الله



عصر الصحابة :

ذكر بروكلمان (فى كتابه الالمانى تاريخ الآداب العربية) ٩٣ من الفقهاء قبل ابى جعفر الطوسى ، وصلت الينا تآليفهم . فمنهم أصناف : أهل السنة ، وأهل الشيعة ، وأهل الظاهر ، وسائر الفرق الاسلامية . ولا يقال ان هذا العدد يستقصيهم كلهم .

نجد بين الصحابة رضى الله عنهم عددا من الرجال والنساء الذين كانوا ايرانيين ، اما نسلا أو وطنا . وفيهم فقهاء أيضا . ونبدأ بذكر بعضهم :

سلمان الفارسى :

ان سيدنا سلمان الفارسى كان قد أسلم فى أوائل سنى الهجرة ، وكان كاتب مالكه اليهودى ليستخلص من الرق ، فشرط اليهودى أن لا يتمتع سلمان بالحرية قبل أن تأتى النخيل التى غرسها سيدنا سلمان بثمرها . فبقى فى العبودية الى السنة الخامسة للهجرة ، ثم صار من أخص أصحاب النبى عليه السلام ، بل صار من أهل بيته موالاة ، كما يؤكد قوله عليه السلام فى أثناء غزوة الخندق : « سلمان منا أهل البيت » وكان زاهدا ورعا ، وفاضلا فقيها . وشمّر ذيله لنشر الاسلام فى ايران وبين الايرانيين . وروى عنه أحاديث كما روى عنه فتاوى فقهية . وهو أول من ترجم آيات من القرآن ، فقد ذكر السرخسى (المبسوط ٣٧/١) : « روى أن الفرس كتبوا الى سلمان رضى الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكانوا يقرأون ذلك فى الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية » وزاد تاج الشريعة (فى النهاية

حاشية الهداية) أن سلمان عرضها أولا على النبى عليه السلام ثم أرسلها اليهم بإذنه . وتوفى سلمان الفارسى فى سنة (٣٥) هجرية .

ابو هريرة :

ومن الصحابة سيدنا أبو هريرة الدوسى اليمنى ، وكان يجيد اللغة الفارسية كما نرى فى حديث ذكره البيهقى (فى السنن الكبرى ٣/٨) : « بينما أنا جالس مع أبى هريرة اذ جاءت امرأة فارسية معها ابن لها (وزوجها) فادعياه ، وقد طلقها زوجها . فقال ابو هريرة : استهما عليه ، ورطن لها بذلك » . وذكر الاستاذ المرحوم مناظر أحسن كيلانى أن سيدنا أبا هريرة كان يعرف اللغة الحبشية أيضا « وتعرف أن الحبشة حكموا اليمن قبل مجىء الايرانيين على دعوة أهل اليمن » . ونجد عنده طلبا للعلم ما لا مزيد عليه ، فقد ذكره الذهبى (فى تذكرة الحفاظ ٣٤/١) : « قال كعب الأحبار : ما رأيت أحدا لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة » . ومعلوم أنه من كبراء المحدثين للحديث النبوى . ويطعن فيه أعداء الاسلام ليهجنوه فى نظر المسلمين فيتركوا أحاديثه ليضيع قسم كبير من أحاديث نبى الاسلام عليه السلام .

وهناك حديث ذكره كثير من الرواة مثل ابن عبد البر (جامع بيان العلم ٤/١) وابن حجر (فتح البارى ١٧٤/١) عن الحسن بن عمرو بن أمية الضمرى قال : « تحدثت عند أبى هريرة بحديث فأنكره ، فقلت : انى سمعته منك . فقال : ان كنت سمعته منى فهو مكتوب عندى . فأخذ بيدى الى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد ذلك الحديث ، فقال : قد أخبرتك ان كنت حدثتك به فهو مكتوب عندى » . فنرى فى هذه الرواية أن سيدنا أبا هريرة كان من أهل العلم وكان دوّن الأحاديث فى كتب كثيرة . ووصل الينا منها صحيفته التى أملاها لتلميذه همام بن منبه اليمنى . ولمعرفة سيدنا أبى هريرة الادارية والفقهية كان النبى عليه السلام والخلفاء بعده يستعملونه فى مهمات الوظائف . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسله مرة سفيرا الى المنذر بن ساوى عامل كسرى على البحرين « وهى بلاد الاحساء اليوم فى شرقى جزيرة العرب ، وليس جزيرة البحرين ، وكانت تسمى حين ذلك (أوال) » كما ذكره ابن سعد فى (الطبقات، ٢/١ ، ص ٢٧ — ٢٨) .

أبو موسى الاشعرى :

ومن كبار فقهاء الصحابة اليمنيين سيدنا أبو موسى الاشعرى . وأبسط ترجمة لحياته فى تاريخ دمشق لابن عساكر « مخطوطة السلطان أحمد الثالث باستانبول رقم ٢٨٨٧ ، ج ٦ ، ورقة ١٨٢ / ألف الى ٢٠٠ ألف » تحت كلمة (عبد الله بن قيس) . أرسله النبى عليه السلام الى زبيد ، وعدن ، وساحل اليمن واليا وقاضيا . ثم ولاه عمر البصرة وكتب اليه كتابه فى « سياسة القضاء وتدبير الحكم » وشهرة هذا الكتاب مستغن عن التفاصيل « راجع لنصه ومصادره واختلاف رواياته كتابنا : (الوثائق

السياسية) ، طبعة ثالثة ، رقم ٣٢٧ ، وللبحث فى صحة الانتساب مقالتنا فى مجلة (فرانس اسلام) الباريسية سنة ١٩٦٩ » : ولمعرفته المسائل القانونية والادارية جعله سيدنا على حكما بينه وبين سيدنا معاوية .
وهناك صحابة آخرون كانوا يعرفون اللغة الفارسية قبل الاسلام واشتغلوا بمهمات المسائل الادارية مثل عبد الله بن حذافة السهمى حامل رسالة النبى عليه السلام الى كسرى . ومنهم المغيرة بن شعبة الثقفى . وكذلك صحابة اشتغلوا بالقضاء أو بالفتيا فى البلاد التى هى الآن فى ايران ، يطول ذكرهم ..

شريح :

ولا بأس بأن نضيف ههنا ذكر القاضى شريح مولى الكنديين وهو من اكبر قضاة العالم . ولد فى حياة النبى عليه السلام ولكن لم يره ، بل قدم المدينة بعد وفاته ، ذكره ابنكثير (فى البداية ٢٢/٩) وزاد : « أصله من أولاد الفرس الذين كانوا باليمن »تولى القضاء بالكوفة لعمر بن الخطاب رضى الله عنه وللخلفاء بعده . وقضى أيضا بالبصرة فى امارة زياد . ولذلك سمى بقاضى البصريين . ولشدة فطانته ولاه عمر قاضيا مع أنه كان شابا حدثا ، فكتب اليه يعلمه أصول القضاء وآدابه « كما رواه وكيع فى أخبار القضاة ١٨٩/٢ — ١٩٠ ، وابن كثير ٢٤/٩ ، واللفظ لوكيع » : « اذا جاءك أمر فاقض فيه بما فى كتاب الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله فاقض بما سن رسول الله . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ، فاقض بما اجمع عليه الناس . فإن جاءك ما ليس فى كتاب الله ولم يسنه رسول الله ولم يتكلم به أحد ، فاختر أى الأمرين شئت : فإن شئت فتقدم واجتهد رأيك ، وان شئت فأخره . ولا أرى التأخير الا خيرا لك » . وفى رواية : « ولا أرى فى مؤامرتك اياى الا أسلم لك » . فكأنه كان يراجعه فقد نقل وكيع (١٩١/٢ — ١٩٤) نحو عشرين مكتوبا لعمر الى شريح فى دقائق القضايا .
ولما اتخذ سيدنا على بن ابى طالب الكوفة دار خلافته ، أراد امتحان من يشتغل هناك بالفقه . فقال (فيما رواه ابن كثير ٢٣/٩ ، وكيع ١٩٥/٢) : « يا أيها الناس ، يأتونى فقهاؤكم يسألونى وأسألهم . فلما كان من الغد غدونا اليه حتى امتلأت الرحبة ، فجعل يسألهم .. حتى اذا ارتفع النهار تصدعوا غير شريح فانه جاث على ركبتيه لا يسأله عن شىء الا أخبره . قال سمعت عليا يقول : قم يا شريح فأنت أقضى العرب » .
وبدأ شريح بتزكية الشهود سرا قبل قبول شهادتهم — وكانوا من قبل يكتفون بتزكية العلانية — فلما قيل له فى ذلك ، قال : أحدثتم فأحدثنا (رواه السرخسى فى المبسوط ٩١/١٦) .
قال ابن كثير (٢٢/٩) لما ولاه عمر « رزقه على القضاء فى كل شهر مائة درهم . وقيل : خمسمائة درهم » . وروى السرخسى (فى المبسوط ١٢٢/١٧) ما يدل على ورع شريح وورع على ، فقال : « روى أن الحسن شهد لعلى مع قنبر عند شريح بدرع له ، فرد شريح شهادة الابن لأبيه ، قال : ائت بشاهد آخر .. فعزله على عن القضاء ، ثم أعاده عليه وزاد فى رزقه » .

ومكث شريح قاضيا نحو سبعين سنة . وتوفى بالكوفة سنة ثمان وسبعين وعمره مائة وثماني سنين (ابن كثير ٢٢/٩ . وقد بسط وكيع فى أحوال شريح فى كتابه ١٨٩/٢ — ٣٩٨) .

عصر التابعين :

المراد بالتابعين المسلمون الذين جاءوا بعد عصر الصحابة ، أو رأوا الصحابة ولم يروا النبى عليه السلام ، وعدد الفقهاء الايرانيين بين هؤلاء كثير جدا . وللكوفة ، وهى فى العـراق ، مكانة خاصة فى هذا الصدد ، لأسباب تاريخية . كما هو معروف ، لليمن ثقافة قديمة ، فى سبأ ومعين ، وهذا قبل تأسيس أثينا وروما . ولما انهدم سد مأرب ، هاجرت القبـائل المجاورة طلبا للخصب . فوصلت بعضها الى الحيرة ، واسست هناك دولة لها صيت عظيم فى العرب كما فى ايران .

ثم جاء الى اليمن أبرهة الحبشى ونصرانيته ، ثم تلاه وهرز الايرانى ومجوسيته . فكانت اليمن ملتقى للثقافات والافكار العديدة . ولما انعم الله على الانسان بدين الاسلام ، وجدوا الحيرة فى محل جغرافى مهم ، فأسسوا بلدة اسلامية جديدة بجانب بلدة الحيرة القديمة ، وسموها الكوفـة . واسكنها سيدنا عمر العرب ، أكثرهم من أهالى اليمن . فكما ذكر البلاذرى وياقوت ، سـكنها اثنا عشر الفا من اليمنيين ، وبين الاهالى ١٠٥٠ من الصحابة ، ومن بينهم ٢٤ من أهل غزوة بدر . فلما بنوا مسـجدا جامعا بالكوفة ، اسسوا فيه كالعادة مدرسة ، فأرسل سيدنا عمر معلما من أعظم فقهاء الصحابة ، الا وهو سيدنا عبد الله بن مسعود . وقال عمر فى رسالته : « أما بعد ، فانى بعثت اليكم عمار بن ياسر اميرا ، وعبد الله بن مسـعود معلما ووزيرا . وهما من النجباء من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أصحاب بدر . وقد جعلت عبد الله بن مسعود على بيت مالكم . فتعلموا منهما واقتدوا بهما . وقد آثرتكم بعبد الله بن مسعود على نفسى « الوثائق السياسية لمحمد حميد الله رقم ٣١٤/ الف ، عن ابـن سعـد والبلاذرى ، والحاكم وابن القيم » .

ولكثرة الطلاب فى المدرسة ، كانت توجد فى مسجد الكوفة أربعمائة محبرة كالوقف (الموفق ، مناقب أبى حنيفة ١٤٠/٢) فلما توفى سـيدنا عبد الله بن مسعود فى سنة ٣٢ هـ ، خلفه تلميذه علقمة النخعى (المتوفى ٦٣ هـ) ، ثم تلاه تلميذه ابراهيم النخعى (ف ٩٥ هـ) . وكلهم كانوا فقهاء ، حتى رسخ اختصاص الفقه فى الكوفة . فلما توفى ابراهيم النخعى ، جعلوا تلميذه حماد بن أبى سليمان (ف ١٢٠ هـ) مدرسا هناك . وكان ايرانيا ، مولى للأشعرين . وكان من كبار الفقهاء ، وقد ألف كتبا فى الموضوع ضاعت اليوم . وكفى له فضلا انه أستاذ الامام أبى حنيفة ، وهذا الاخير أيضا درس الفقه فى مسجد الكوفة بعد ما ارتحل حماد الى جوار رحمة الله . ومما يذكر ، أن الكوفة انتخبها أيضا سيدنا على كدار للخـلافة ، فانتشر هنـاك علمه ، واجتمع حوله كبار العلماء والصلحاء مما لا بد منه فى عاصمة .

ابـو حنيفـة :

هناك حديث ينسب الى النبى صلى الله عليه وسلم : « لو كان العلم

بالثريا لناله رجال من أبناء فارس » ووجده أسلافنا يتحقق فى الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى بن ماه . وكان يعرف الفارسية (راجع الموفق ٢/٥٥ — ٥٦) وكان تاجرا موسرا . فلمـا جاء عصر عمر بن عبد العزيز ، عصر الذهب ، زاد اهتمام الناس بالعلم . وكان أبو حنيفة اذ ذاك شابا لم يبلغ العشرين ، فبدأ يتعلم الفقه حتى فاق أهل عصره ، وينسب اليه كتب عديدة فى علم الفقه . منبينها كتاب الرأى (كأنه فى أصول الفقه) . وكذلك ينسب اليه رسالة خاصة فى أحكام الصلاة سماها كتاب العروس (كما ذكره الموفق ١/٦٧ — ٦٨) . وهو أيضا أول من دون كتاب الفرائض ، وكتاب الشروط ، ولم يبحث فيهما أحد قبله بحثا مستقلا (الموفق ١/٣٥) . وهو كذلك أول من ألف رسالة فى علم السير ، وهو القانون بين الدول يبحث عن مسائل الحرب والسلم . وكأنه أول تأليف فى الموضوع فى العالم ، لان القدماء من اليونان والهند والصين وغيرها كانوا يبحثون فى هـــذا الموضوع ضمن علم السياسة .

مجمع الفقه :

وقد ذكر ابن حجر فى توالى التأسيس (١) أن أبا حنيفة الف هذه الرسالة ، وأباح فيها قتال الظلمة على أساس انه : « لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق » . فرد عليه الاوزاعى فى رسالة ، وقال : تحملنا كل شىء من ابى حنيفة حتى جاءنا بالسيف . فكتب تلميذه أبو يوسف ردا على كتاب الأوزاعى ، وصل الينا ، وطبع تحت اسم « الرد على سير الاوزاعى » . ثم بدوره حاكم الشافعى ، ونقل آراء أبى حنيفة والاوزاعى وأبى يوسف ، ثم أبدى رأيه ، وكل هذا موجود فى كتاب الأم للشافعى ، فى باب (ســير الاوزاعى) .

وأكبر سهم أبى حنيفة فى علم الفقه هو تأسيس مجمع علمى لتدوين الفقه . وكانت الحاجة ماسة اليه . فقد ذكر ابن المقفع (فى كتاب الصحابة) أن الفرق عظيم جدا بين آراء الفقهاء والقضاة حتى فى نفس البلدة . فكتب رسالة الى الخليفة وقال : لو أمرت لأرسل القضاة اليك ما يختلفون فيه ، مع تفصيل ما له وما عليه ، ثم ترى أنت بأمرك فيكون واجبا على جميــع قضاة الدولة ويجتمع الناس على أمرك (٢) ..

فخاف الفقهاء أن تخضع الشريعة لأهواء الخلفاء ولسياسة الظلمــة الفجرة ، بينما كانت الشريعة حرة الى ذلك العصر . فجمع أبو حنيفة أربعين من فضلاء تلاميذه ، كأبى يوسف ، ومحمد الشيبانى ، وزفر ، وعبد الله بن مبارك الخراسانى ، وفضيل بن عياض ، وداود بن نصير ، ووكيع ، وحسن ابن زياد ، وحفص ، وعافية ، ويحيى بن زكريا ، وحبان ، ومندل ، وقاسم ابن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وغيرهم . بعضهم يختص بالتفسير ، وآخر بالحديث ، وغيره باللغة والشعر ، أو المنطق أو الرياضيات وسائر ما يحتاج اليه أبواب الفقه . فلم يستبد بمذهبه ، بل جعله شورى بين أعضـــاء المجمع . وبدأ يدون الاحكام بابا بابا وكان أبو يوسف كاتبا للمجمع . فبعد البحث كلما وصلوا الى نتيجة ، دونها أبو يوسف كتـــابة (الموفق ١/٣٣ ، الكردرى ، مناقب أبى حنيفة ١/٥٠) . ولعل الاعضــاء الآخرين أيضا دونوا على حسابهم ولنفسهم .

فلو رجعنا مثلا ، الى كتاب المبسوط ، للامام محمد الشيبانى لرأينا أن أبواب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والسير مثلا على النهج : « قال أبو يوسف : أرأيت .. قال أبو حنيفة : .. » فجميع الباب مرتب على الاسئلة والأجوبة ، بدل سرد الاحكام ومع الاسف لم يصل الينا كتاب أبى يوسف حتى نرى عيانا هذا الامر . مهما كان وان أبا حنيفة هو الذى بدأ يدون الفقه بابا بابا ، إما على أساس القرآن الكريم والحديث الشريف وفتاوى السلف من الصحابة ، أو على القياس والاستنباط لمسائل لم تقع ، ففرضوها وبحثوا الجواب فيها ، قال الامام مالك : إن أبا حنيفة ابدى رأيه فى ستين الفا من المسائل (الموفق ٩٦/١) ، وقال آخرون : بل بلغ ما استنبط من المسائل الى نصف مليون (الموفق ١٣٧/٢) .

الشيبانى :

وبين أصحاب أبى حنيفة يجب ان نذكر هنا الامام محمد الشيبانى . وكان قاضى القضاة بالرّى ، وتوفى ودفن هناك على جبل طبرك . فهو ايرانى الوطن . ولد فى واسط ، وتدّرس بالعراق وخراسان وسوريا والحجاز وسائر كبار المراكز العلمية الاسلامية فى عصره ، وتتلمذ عند أبى حنيفة ومالك والأوزاعى بين آخرين ، وبرز بين ابناء عصره حتى أنه لما توفى أبو يوسف ، لم يجد هارون الرشيد غير محمد الشيبانى يتخذه قاضى القضاة، فكان يأخذه معه أينما سار ونزل ، من الرقة الى الرى .

لم يصل الينا كتب أبى حنيفة فى الفقه . ولا بأس بأن نفترض أن محمدا الشيبانى هو مؤسس المذهب الحنفى كتابة وتدوينا . وذكر الكفوى أن لمحمد ٩٩٩ تأليفا ، ولم يصل الينا الا القليل منها ، يظهر أن محمد الشيبانى كان عنده مساعدون للتأليف ، فقال الكردرى (١٦٣/٢) وطاشكوبريزاده (مفتاح السعادة ١١٠/٢) وغيرهما أن الامام محمدا لما جلس فى مكتبته : « كان بين يديه طست من ماء ، وبين يديه عشر جوار روميات عالمات بالكتابة والعربية يقران العلم عليه » .

ألف محمد الشيبانى فى العقائد ، وفى أصول الفقه وفى الفقه والحديث . يوجد بعضها كما ألفها المؤلف ، وأخرى فى شروح لفحول العلماء . وضاعت أخرى . مثلا ينسب اليه كتاب فى أصول الفقه ، ولم يصل الينا الا اقتباس وجيز نقله عنه أبو الحسن البصرى المعتزلى فى كتابه المعتمد فى أصول الفقه . وليذكر فى الشروح ما هى للسير الصغير والسير الكبير والجامع الصغير والجامع الكبير والزيادات وزيادات الزيادات وكلها لشمس الأئمة السرخسى . ويوجد له كتاب الموطأ عن مالك ، وكتاب الآثار ، وكتاب الحجج ، وكتاب المخارج فى الحيل أيضا . ولكن أكبر تآليفه هو كتاب المبسوط ، ويسمى ايضا كتاب الأصل . ومخطوطة له فى مكتبة مراد ملاّ باستانبول فى ثمان مجلدات فى ٤٧٤٠ صفحة استنسخه أبو بكر بن أحمد ابن محمد الطلحى الاصبهانى فى ٦٣٩ للهجرة . وفى الكتاب ستون بابا فى العبادات والمعاملات والزواجر ، والمعاقل والفرائض وغير ذلك سوى ما ألف مستقلا لم يدخل فى هذا الكتاب ، مثل كتاب الحج ، وكتاب أدب القاضى .

ولا بأس أن نذكر أن الشيبانى هومعاصر شارلمان امبراطور المانيا

وفرنسا وايطاليا . ويوجد كتاب يحتوى على قوانين دولته ، يسمى (كابى تولاريا) ، لا يزيد على خمسين صفحة ، واكثر تلك الاحكام تتعلق بادارة اراضى نفقات الامبراطور نفسه . ولو قابلنا محمد الشيبانى بيوستينيان أكبر مقننى أوروبا ، لرجح أيضا . فإن الامبراطور يوستينيان لما رأى كثرة الاختلاف بين كتب القانون الرومانى اسس لجنة تنتخب ما يصلح لعصره من الاحكام . فكان أمام اللجنة نتائج العلم الرومى يمتد على مئات السنين . وبعد ما تم عمل اللجنة ، لم يرض يوستينيان بل لم يزل يغير القوانين ويبدلها طول حياته حسب أهوائه . أما الامام محمد فلم يكن أمامه اى تأليف فقهى جديد بهذا الاسم . ففعل ما فعل من تلقاء نفسه ما يدهش الناظر . وتوفى الامام محمد فى ١٨٩ للهجرة ، واحتفلوا هذه السنة على مرور ١٢٠٠ سنة على وفاته فى تركيا والهند وباكستان وباريس أيضا .

أما الفقهاء فى القرن الثالث للهجرة فعددهم كثير بين الايرانيين مثـــل مقاتل الرازى ، والأعرج القمّى ، وغيرهما . وفى القرن الرابع نجد الحاكم المروزى ، والجصاص الرازى ، والمكحول النسفى ، والبردعى والشاشى ، والمنذرى والنيسابورى ، والنوبختى ، وعلى بن محمد الخزاز القمّى ، وابن بابويه القمّى ، والكلينى ، وبختيار بن راسباس الديلمى ومن لا يحصـــون عددا .

أما أبو جعفر الطوسى فولد فى ٣٨٥ للهجرة وتوفى اما فى ٤٥٩ أو ٤٦٠ للهجرة . ومن معاصريه قاضى القضاة عبد الجبار المعتزلى ، والفورانى المروزى ، وأبو على المروروذى ، والجويتى ، والجرجانى بين آخرين .

رحمهم الله فكل فعل حسبما تيسر وبدا له ، فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا . .

---

(١) طبع بولاق ، ص ٧٨ ، ولفظه : « ومن طريق عمر بن خالد ، قال جاءنى الشافعى فاخذ منى كتاب موسى بن أعين ، وهو كتاب اختلاف الاوزاعى وابى حنيفة . قال البيهقى : هو كتاب فى السير ، أصله لأبى حنيفة ، فرد عليه فيه الاوزاعى ، فرد أبو يوسف على الاوزاعى رده على ابى حنيفة . فاخذه الشافعى ، ورد على أبى يوسف رده على الاوزاعى . وهو الكتاب المعروف بسير الاوزاعى . قلت « وهو ابن حجر العسقلانى مؤلف توالى التاسيس » ، (وهو من جملة كتب الأم) .

(٢) وهذا نص ما قال : (راجع رسائل البلغاء نشرة محمد كرد على الرسالة الخامسة رسالة ابن المقفع فى الصحابة ، ص ١٢٦) : « ومما ينظر أمير المؤمنين فيه من أمر هذين المصرين وغيرهما من الامصار والنواحى ، اختلاف هذه الاحكام المتناقضة التى قد بلغ اختلافها امرا عظيما فى الدماء والفروج والاموال ، فيستحل الدم والفرج بالحيرة وهما يحرمان بالكوفة . ويكون مثل ذلك الاختلاف فى جوف الكوفة ، فيستحل فى ناحية منها ما يحرم فى ناحية أخرى غير انه على كثرة الوانه نافذ على المسلمين فى دمائهم وحرمهم يقضى به قضاة جائز أمرهم وحكمهم .. فلو رأى أمير المؤمنين أن يامر بهذه الاقضية والسير المختلفة فترفع اليه فى كتاب ويرفع معها ما يحتج به كل قوم من سنة أو قياس ثم نظر فى ذلك أمير المؤمنين وامضى فى كل قضية رايه الذى يلهمه الله ويعزم عليه عزما وينهى عن القضاء بخلافه وكتب بذلك كتـــابا جامعا ، لرجونا أن يجعل الله هذه الاحكام المختلطة الصواب بالخطا حكما واحدا صــــوابا ولرجونا ان يكون اجتماع السير قربه لاجماع الامر برأى أمير المؤمنين وعلى لسانه ثم يكون ذلك من امام آخر ، آخر الدهر أن شاء الله » مما يذكر أن ابن المقفع أيضا ايرانى ، ترجم كتبا فارسية الى العربية مثل كليلة ودمنة وغير ذلك .

علمتني الحياة

الإيمانُ

جلَّ مَنْ صَاغَهُ نداءً قويّاً .

علَّمتني الحياةُ أَنَّ مِنَ الإيـ ـمانِ ما يَصْنَعُ العَجائبَ صُنْعا
وَيُثِيرُ النُّفوسَ كل مثـار ويزيدُ القُلوبَ وَقْداً وَلَفْعا
فإذا ما انْتَضَى العَزَائِمَ هَبَّتْ تَدْفَعُ الجَمْرَ فى الأَضالِعَ دَفْعا
جَلَّ مَنْ صَاغَهُ نِداءً قَوِيّاً طَابَ صَوْتاً وَلَذَّ فى السَّمْعِ وَقْعا

الحَقيقَةُ

وسارتْ على هُدَاهَا الأُمورُ

علَّمتني أَنَّ الحَقيقَةَ نُورٌ لَيْسَ يَغْشَى رَفيفَهَا الدَّيْجُورُ
نَقِيَتْ مِنْ شَوَائِبِ الرَّيْبِ والبُطْـ ـلِ وسارتْ على هُدَاهَا الأُمُورُ
حُلْوَةٌ مُرَّةٌ تبَارَكَ حَامِيـ ـهَا وللحقِّ حافظٌ وَنَصيرُ
صُورَةٌ تبْهَرُ العُيُونَ وَرَمْزٌ لا يُضَاهَى وَعَزْمَةٌ لا تَخُورُ

الركونُ الى الدنيا

يا لدارٍ قد رَوَّعَتْ ساكنيها

علَّمتني أَنَّ الرُّكُونَ إلى الدُّنْـ ـيا ضلالٌ ما بَعْدَهُ مِنْ ضَلَالِ
ما ارْتَضَاهَا اللَّبيبُ يوماً ولا اخْتَا رَحِمَاهَا أَخو النُّهَى والكَمَالِ
يا لَدَارٍ قَدْ رَوَّعَتْ سَاكنيهـا بضُروبٍ مِنَ الأَذَى والنَّكَالِ
تَتَلَقَّى زُوَّارَهَا بِبُكاهُمْ وَتَرُدُّ المَاضِينَ بالإِعْوَالِ

للاستاذ أنور العطار

التفرّقُ هدّامٌ

طبعتهم على الخِصامِ اللّيالي

عَلّمتني أنّ التّفــرّق هـــدّا ... مٌ يثيرُ العِـداءَ والبَغْضـاءَ
وَيـرُدّ الأُلى ارْتَضَوْه سـبيلاً ... أنفسًا لاتـرَى الوُجـودَ إخـاءَ
طَبَعَتْهُمْ عـلى الخِصـامِ اللّيالِي ... وَرَمَتْهُـمْ أذِلّـةً ضُعَفَـاءَ
وَنَفَتْ عنهم الرّعـايةَ والحـبّ وزادتهم قِـلىً وَجَفَـاءَ

التّـدْبيرُ

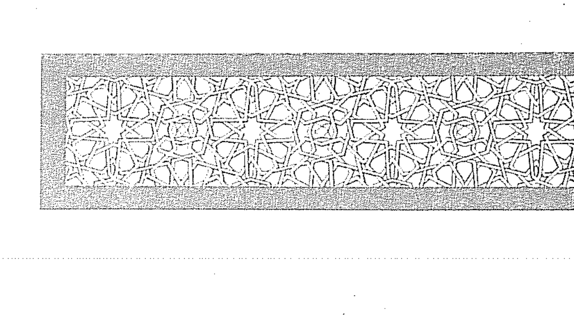
وارْضَ بالعيشِ فقرِهِ وغِناهُ

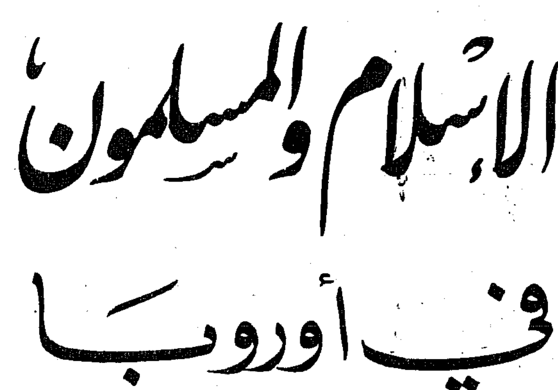
عَلّمتنِي الحَيـاةُ أنّ مِـنَ التّـد ... بيرِ ما يَجْعَـلُ القليلَ كَثيرًا
فَتدَبّرْ ما اسْتطَعْتَ أمـرَكَ واسْلُكْ ... جَانِبَ الرُّشْدِ واتّخِـذْهُ نَصيرَا
كُنْ عَطوفًا إذَا غَـدَوْتَ غَنيـًا ... وصَـبُورًا إذا انْقَلَبْتَ فَقيـرًا
وارْضَ بِالعَيْشِ فَقْـرِهِ وغِنـاهُ ... ولا تبُـذّرْ خَيْراتِـهِ تَبْذيـرَا

الرّأيُ الصّريحُ

وأفْضَتْ بكُلّ رَأيٍ صَريح

عَلّمَتْني الحَيـاةُ يا خَيْرَ مَا أهـ ... ـدَتْ إلى النّفْسِ من عَطاءٍ رَبيح
أرْشَدَتْني إلى الصّـوابِ وَشَدّتْ ... عَزَماتي وَضَمّـدتْ مِنْ جُروحِـي
فلهـا أنْ أخُصّهَا بصحيـحٍ ... مِنْ ثنـائِي وصادقٍ مِنْ مَديحـي
فلقد أوْلَتِ الكثيرَ مِـنَ الخَيـْ ... ـرِ وأفْضَتْ بكلّ رايٍ صريـحِ







للاستاذ : محمد علوى عبد الهادى

١ ــ دعاة الاسلام فى اوربا

يتركز المفهوم العام للبلاد الاسلامية فى الاقطار الاسيوية والافريقية التى تسود فيها غالبية من السكان المسلمين وقلما يتذكر المسئولون أن فى كثير من بلاد اوروبا والامريكيتين جاليات اسلامية قوية تهفو آمالها وأشواقها الى اخوانهم فى الدين فى الاقطار الاسلامية الكبيرة بل إن كثيرا من خاصة المتعلمين لا يعلمون أن فى كثير من بلاد اوروبا مناطق يتركز فيها المسلمون ويكونون جاليات تختلف قوة وضعفا حسب أقدار تاريخها .

ذلك أن مقررات التاريخ التى تدرس فى مدارسنا ومدارس معظم البلاد العربية تغفل اغفالا معيبا ما كان من امر بلاد الاسلام بعد العصر العباسى الثانى ، ولذلك فان خريجى مدارس التعليم العام لا يعلمون شيئا عما كان من دول شرق ووسط آسيا الاسلامية ولا عن تاريخ الاتراك من تتار ومغول وعثمانيين وصراعهم مع الدول الاوروبية وهم يجهلون كل الجهل امر دولة الاسلام فى صقلية .

ولعل أحداث التاريخ القريب فى بلاد العرب قد القت فى نفوس العرب شيئا من الكراهية لسلطنة آل عثمان كما أن الجزء الضئيل من تاريخ المغول والاتراك الذى يدرس بالمدارس

العربية لا تصور الا وحشية المغول والتتار .

ولكن القراءة الواعية لنشاط هذه الدولة تجعل مشاعر السخط المعتادة تختفي قليلا ليحل محلها شعور بفضل هذه الدول فى نشر الاسلام فى ربوع كثيرة وقفت فتوح دولة الاسلام الاولى عندها .

٢ ــ كيف دخل الاسلام أوروبا

على مدى أربعة قرون من الزمان من فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا الشرقية والروسية واحتل الاتراك بلاد اليونان والبلقان وبعض الولايات السوفيتية بين بحر البلقان والبحر الاسود .

وقف المد الاسلامى على يد العرب عند حدود دولة تركيا الحالية شمالا وعند حدود بلاد السند جنوبا .

ولكن ظهور الدول التركية الغزنوية والسلجوقية أعطى دفعة للمد الاسلامى فدخل فى حوزة الدول الغزنوية كثير من بلاد الهند وأفغانستان وأجزاء من تركستان الشرقية والصين . وامتدت دولة السلاجقة الى آسيا الصغرى وبلاد البلغار الشرقية وجورجيا والقوقاز حتى أصبح البحر الاسود وبحر آزوف بحيرة اسلامية .

ثم جاء جنكيزخان وأولاده وأحفاده من بعد فانتشروا غربا ، ولا تذكر كتب التاريخ الا الدمار الذى أوقعوه فى البلاد التى فتحوها .

ولكن الحق والانصاف يقضى بأن نذكر أنهم بعد أن خربوا بغداد وقضوا على دولة الخلافة العباسية المتداعية اعتنقوا الاسلام واعتنق من بعدهم اتباعهم هذا الدين الحنيف ثم اتجهوا نحو الغرب الشمالى فغزوا معظم بلاد الاتحاد السوفيتى وجمهوريات بحر البلطيق .

وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد فى النصف الاول من القرن الثامن الهجرى ووصف أحوال المسلمين بها

ثم جاء العثمانيون

وعلى مدى ٤ قرون من الزمان بعد فتح القسطنطينية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى حتى منتصف القرن التاسع عشر دامت الحروب والغزوات بين آل عثمان وممالك أوروبا وروسيا ودخل تحت حكمهم بلاد البلقان وأجزاء من النمسا والمجر .

ولكن الدول الاوروبية وخاصة الدول الكاثوليكية لم تترك الاتراك فى هدوء ودامت الحرب ضد الترك من جانب النمسا أو الروسيا تارة أو من جانب أحلاف مقدسة بين دول أوروبا المختلفة القوية يباركها البابوات وتبادلت هذه الاطراف النصر ولم تهدأ ثائرة الدول الاوروبية ضد العثمانيين حتى قضت عليها تماما فى الحرب العالمية الاولى .

وبعيدا عن جو الحروب الذى حال دون توطيد أركان حضارة اسلامية قوية بشرق أوروبا فان سياسة الاتراك اتسمت بقدر كبير جدا من الحرب الدينية . فلم يكن للدولة دخل اى دخل فى عقائد الشعوب التى فتحوها فى الشرق أو الغرب متأسية فى ذلك بسياسة المسلمين الاول .

ولكن ولو أن دولة صدر الاسلام لم تتدخل رسميا فى نشر الدعوة ، فان الشعب نفسه سار على نهج الصحابة والتابعين فى الحماس لنشر الدعوة .

ولكن انهيار الشعوب الاسلامية الذى انتهى بسقوط بغداد فى يد

المغول والشام فى يد الصليبيين كان عرضا لضعف مستوى التعليم والتربية وبالتالى لضعف مستوى البشر ومن ثم ضعف حال الدولة الاسلامية .

ولما ظهر العثمانيون اتجهوا بقوتهم الحربية غربا وحاولوا أن يجددوا من شأن الاسلام فأنشأ محمد الفاتح هيئة دينية من كبار علماء البلاد الاسلامية التى دانت لسلطانه وجعل من رئيس هذه الهيئة شيخا للاسلام

وكان المأمول أن تقوم هذه الهيئة بدور الدعوة والتوجيه الروحي والتشريعى للمسلمين ولكن الحالة العامة للفكر الاسلامى فى ذلك العصر لم تستطع مواجهة حاجات الامم الجديدة ولم تهىء لها برامج للدعوة والتعليم ولذلك بقيت غالبية شعوب هذه الامم على دياناتها القديمة .

ولكن رغم ذلك فقد استطاع الاسلام ببساطته واعجازه أن يدخل قلوب الناس فى كثير من البلاد ليس فقط تلك التى غزاها العثمانيون ، ولكن فى كثير من البلاد التى ربطت الحروب بينها وبينهم بسبب .

ويقول مرجع نمساوى (١) إنه فى منتصف القرن الثانى عشر احتل بعض الجنود المسلمين الذين كانوا يعملون فى خدمة ملوك البحر بعض أراضى النمسا (٢) وأن صلوات الجمعة كانت تقام علنا وسرا فى بعض قرى النمسا . وأن بلاط ملوك المجر كان يضم رجالا ممتازين من المسلمين كمستشارين وقواد ورجال مال . ويقول هذا المرجع إن التقاويم الغربية تذكر اسماء أربعة رؤساء لبعثات تبشير اسلامية دخلت النمسا من المجر . وأن هؤلاء المبشرين كانوا يرتدون قفاطين وأغطية للرأس من شعر الجمل وكانوا يعيشون معيشة بسيطة ويرفضون أطعمة أهل العقائد الاخرى ولايشربون الخمر ويحمدون الله كثيرا على كسرة من الخبز الاسود ويدعون للمعطى برفع أيديهم للسماء وكانوا يتكلمون عدة لغات ولهم قدرة غريبة على الجدال السلمى

وبفضل أمثال هؤلاء دخل الاسلام كثير من القبائل التى تسكن بلاد شرق أوروبا من اليونان جنوبا حتى بلاد بحر البلطيق وبولندا شمالا .

ويذكر المؤرخون الاوروبيون أن السلطان سليم الاول أراد أن يرغم اليونان على اعتناق الاسلام ولكن شيخ الاسلام « على الجمالى » حال دون ذلك وذكره بما أصدره جده محمد الفاتح من فرمان يعطى حرية التدين الى اليونانيين ، ومع الحرية الدينية التى تمتعت بها الشعوب الاروبية تحت حكم الاتراك يذكر المؤرخون عهود العسف والظلم التى وقعت وكانت تقع على غير الكاثوليك عندما ينسحب المسلمون من أى من هذه البلاد .

٣ ـ العوامل المضادة التى حجبت انتشار الاسلام فى اوروبا

ولو أن الفتح العثمانى تم وحال المسلمون كان كما كانوا فى صدر الاسلام . لكان من المؤكد أن نور الاسلام قد ساد ربوع أوروبا كلها .

ولكن القوى التى أثرت فى عقول الناس منذ محمد الفاتح كانت مستقطبة فى قوتين :

أ ـ دعوة الاسلام ويحمل لواءها هيئة العلماء التى كونها محمد الفاتح فى الشرق الاسلامى .

ب ـ قوة الكنيستين الكاثوليكية والشرقية التى تولت عبء المحافظة على المسيحية والدعوة لها ، ليس فى

أوروبا فقط ولكن فى نفس بلاد السلطنة العثمانية .

فأما عن قوة هيئة العلماء المسلمين ونشاطها فقد كان شأنها شأن باقى مرافق الدولة والشعب — خمول وتواكل وكسل — وعجزت هذه الهيئة عن أن تساير الهيئة الحربية التى كانت لدولة آل عثمان فى أول أيامها . ولم تكن هذه الهيئة أكثر من مجموعة من العلماء الجامدين يلوذون ببلاط السلطان دون أن يكون لهم تنظيم ادارى أو علاقة روحية تربطهم بالشعب . وعندما عم الفساد فى بلاط السلاطين أصدروا فتوى بوقف الاجتهاد فى الفقه الاسلامى وبذلك زاد موقف المسلمين جمودا على جمود .

ولو كانت القوة الحربية التى اظهرت آل عثمان ومن قبلهم الاتراك السلاجقة قد صاحبها دعوة مذهبية كدعوة المعتزلة التى عاصرت الفتوحات العربية فى دولة بنى أمية ودولة العباسيين الاولى والتى كان لها تنظيم رائع من الدعاة والمدرسين الذين كان لهم الفضل فى دعوة الناس للاسلام وفتح المدارس وتعليم النشء لو كان قد أتيح للاتراك السلاجقة والعثمانيين مثل هذا التنظيم التثقيفى لكان الفتح العثمانى قد انتهى بادماج الشعوب التى فتحوها فى نطاق الامم الاسلامية .

ولكن مع ضعف اجهزة التوجيه والتعليم للمسلمين كان على الجانب الآخر جهاز قوى مدعم بسلطات روحية وادارية يقف مع سلطة الحكم الزمنى على قدم سواء ، إن لم يكن فى ذلك الوقت يفوقها اذ كان على الملوك واجب الولاء لهذا السلطان ونعنى به سلطان الكنيسة التى كان الملوك يستمدون السلطة الزمنية منها

وفى الوقت الذى كان النشاط العقلى للمسلمين يتجه نحو الخمول والركود كانت الكنيستان الارثوذكسية والكاثوليكية تجتاحهما نهضة عقلية شاملة . وبعد الفرقة التى دامت قرونا طويلة تحالفت هاتان الكنيستان بل إن الكنيسة البروتستانتية التى نشأت ثائرة على كنيسة روما قد اتحدت معها للوقوف فى وجه الزحف التركى .

وواجهت الكنيسة الغزو العقلى الاسلامى بكل وسائل الدعوة ، من فقه فلسفى وكتابات علمية على شتى المستويات الى التأثير المركز لفنون الغناء والموسيقى والشعر والقصائد الشعبية والقصص الذى راج وروج معه أفكارا سوداء تناقلها الناس حتى رسبت فى أعماق باطنهم تبث فيهم روح الكراهية ضد الاسلام والتعصب ضده ، وكانت عاملا لاشك فيه لوقف تأثير الاسلام على عقول الناس وبالتالى وقف انتشاره بين الشعوب الاوروبية ، ولكن رغم ذلك فقد دخل الاسلام عدة ملايين من البشر آمنوا به عن عقيدة وصدق ايمان .

وحتى بعد أن خرجت هذه البلاد من حكم العثمانيين بقى الموحدون على دينهم يعبدون الله الواحد الاحد القهار رغم عسف الحكام الجدد وقسوتهم فى اجبار الناس على اعتناق الكثلكة

ولقد اغتصبت الروسية عدة مناطق من أوروبا وآسيا بعد ثورتها على الاحتلال المغولى الذى دام بها قرابة ثلاثة قرون واستولت النمسا على مناطق أخرى ، واستقلت اليونان تحت حماية القوى الاوروبية الكبرى فى أوائل القرن التاسع عشر واستولت ايطاليا على جنوبها والجزء المحيط بها بما فيها صقلية وسردينيا وأخذت فرنسا كورسيكا واحتلت

بريطانيا قبرص ومالطه . وانفردت الكنائس بأمر التعليم والتثقيف والتعبئة الروحية للناس ولكن رغم كل الصعوبات فقد بقى الناس على دينهم حتى اليوم .

حقا لقد تقلص العدد بشكل ملحوظ ولا زال يتناقص بحكم قسوة الظروف وانعدام السبيل نحو تعليم الاجيال الجديدة أمر دينهم .

٤ ــ الأوضاع الحالية للمسلمين في أوروبا

على أنه بالرغم من هذه العوامل فان تعداد المسلمين التقريبى فى هذه البلاد يقدر كالآتى (٣) :

٤٨ مليون مسلم فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى الاوروبية والآسيوية

٣ مليون مسلم فى يوغوسلافيا

٣ مليون مسلم فى بلاد البلقان (البانيا ، رومانيا بلغاريا ، المجر واليونان)

٢٠٠ الف مسلم فى بولندا

٦٠ الف مسلم فى فنلندا

كذلك فقد أعقب الحرب العالمية الثانية دخول مهاجرين مسلمين الى أوروبا قدموا من آسيا وافريقيا لاجل العمل أو التعليم أو اللجوء السياسى كما قدموا من البلاد الاوروبية لنفس الاغراض وبذلك وجدت جاليات اسلامية كبيرة فى المانيا وسويسرا والنمسا وفرنسا وايطاليا وأسبانيا وبريطانيا (٤) وتختلف حال المسلمين فى كل بلد من هذه البلاد قوة وضعفا شدة ورخاء تبعا للظروف السياسية لبلادهم .

وقد اتصلت شخصيا ببعض الجاليات الاسلامية فى أوروبا ولمست أحوالهم ومشاكلهم وفى المقالات التالية تقرير عنهم .

---

١) النمسا والاسلام : للدكتور اسماعيل باليش وهو نمساوى مسلم ويعمل بمدرسة التجارة العليا بفينا .

٢) يلاحظ أن هذا الزمن كان زمن الحروب الصليبية وظهور قوة عماد الدين زنكى وولده نور الدين

٣) هذه الارقام مؤخوذة من بيانات شبه رسمية للمسلمين فى تلك البلاد ..

٤) لا يمكن اعطاء أرقام محدودة عن أعداء هؤلاء المهاجرين المسلمين لتغير اعدادهم باستمرار ولان مصادر الاحصاء القومية لاتنشر بيانات عنهم . ولكن البيانات غير الرسمية تشير الى تفوق العدد الاجمالى فى هذه البلاد عن مليونين .

حق المساواة بين الناس

مبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى

للدكتور وهبه الزحيلى

ان الحملة الحضارية الانسانية الشاملة التى اقترنت بالاسلام اقتضت اقرار كل المبادىء الخلقية الاصيلة ونبذ كل مظاهر التخلف والتعثر والرجعية والتفرقة الظالمة بين أبناء البشر دون اعتماد على ميزان معقول أو حساب صحيح للنتائج ..

ومن الاصول الحضارية للاسلام ومنهجه الديمقراطى فى الحياة السياسية والاجتماعية اعلانه مبدأ المساواة التامة دون تمييز بين الناس بسبب الجنس أو العرق ، أو اللون أو النسب ، والحسب ، أو الدين ، أو المنصب والجاه وسلطة الحكم ، أو السن ، أو الغنى والمال أو المحبة والبغض وذلك تجاوبا مع نزعة الاسلام العالمية وعموم رسالته للبشرية واعتبار تنظيماته وشرائعه رحمة للعالمين ..

ومن أهم مظاهر المساواة اجمالا ثلاثة أمور :

١ — المساواة فى القيم الانسانية المشتركة : أى لا تفاضل فى الاجناس « فالجنس الآرى والحامى والسامى كلها سواء » ولا تفاضل فى الالوان « فالابيض والاسود والاحمر والاصفر على حد سواء » ، ولا تمييز فى

الانساب والاحساب « فالشريف والوضيع لهما حقوق متساوية » وبذلك ألغى الاسلام نظام الطبقات وحارب العنصرية البغيضة ، والعصبية الكاذبة الحمقاء وأهدر نظام الاسر الراقية والالقاب الفارغة وسوى بين دماء الناس ، فليس هناك دم أزرق نبيل وآخر عادى من دماء العامة .. !!

٢ — المساواة امام القانون والقضاء وفى تكافؤ الفرص : يعنى أن الناس جميعا متساوون فى التكاليف والالتزامات العامة والحقوق وفى نطاق الجريمة والعقاب وفى مبدأ تكافؤ الفرص بالنسبة للعمل والتوظف ونحو ذلك .

٣ — المساواة فى جزاء العمل : فما دام الاشخاص متكافئين فى العمل ، فهم يستحقون أجرا متساويا دون تمييز أو محاباة لأحد على حساب الآخرين . وعليه فلا يصح أن ينخفض اجر انسان ، لانه أسود مثلا ، ويعطى آخر أجرا أعلى ، لكونه أبيض أو منحدرا من سلالة رفيعة النسب عريقة المجد ، أو لقرابة ونحو ذلك . فالناس جميعا متساوون فى الاجور ، متفاوتون بقدر ما ينجزونه من أعمال ، أو يظهرونه من كفاية وابداع وانتاج .

الكرامة الانسانية أو الوحدة الانسانية :

وفى سبيل اقرار مبدأ المساواة فى مظاهره الثلاثة السابقة نظريا وعمليا نادى الاسلام بوحدة السلالة البشرية ، وان البشر ابيضهم وأسودهم من أب واحد وام واحدة وهم سواء فى مبدأ الكرامة الانسانية ، فلا ينبغى أن يترفع انسان على آخر أو يستعبد انسان غيره بسبب اللون ، أو الحسب ، أو القوة أو الغنى أو الفكر والمواهب والفضائل أو الجماعة الخاصة ، قال الله تعالى فى قرآنه الكريم : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » (النساء : ١) .

ويعلن القرآن مبدأ تكريم الجنس البشرى عامة فى قوله سبحانه : « ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » (الاسراء : ٧٠) فهذا النص الصريح يدل على أن التكريم العام شامل لكل انسان ، وكرامته ملازمة لانسانيته والانسان أخ للانسان أحب أم كره والانسانية مكرمة سواء فى السلم أم فى الحرب فالصراع على المصالح الخاصة وبالتالى اراقة الدماء واستباحة الانفس يجب الا يكون سببا لتلويث كرامة الانسان ، فلا تمثيل ولا تقتيل بدون حق ولا تشويه ولا تجويع ولا اظماء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم : « اياكم والمثلة » « اذا قتلتم فا « حسنوا القتلة » .

وكرامة بنى آدم تقضى عدم التفريق فى المعاملة بين طبقة وطبقة ، ولا بين جنس وجنس ، ولا بين فقير وغنى ، أو قوى وضعيف ، لأن الاسلام يجعل الناس جميعا سواء ، ومرجعهم الى اصل واحد ، العدل يعمهم ، والرحمة تشملهم ، والخير والسعادة حق كل فرد منهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع : « يأيها

الناس ، ان ربكم واحد ، وان اباكم واحد ، الا لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لاحمر على أسود ، ولا لاسود على أحمر الا بالتقوى ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم » (رواه البيهقى فى سننه عن جابر) « الناس مستوون كأسنان المشط ، ليس لاحد على أحد فضل الا بتقوى الله » (رواه الديلمى عن أنس) .

ولقد كان اعلان الاسلام لمبدأ الوحدة الانسانية — وحدة الاصل والمنشأ سبيلا لتقرير مبدأ المساواة بين الاخوة فى الحقوق الفطرية الطبيعية وللرد على اليهود الذين جعلوا رحمة الله حكرا على شعبهم ، وان الاله اله بنى اسرائيل وحدهم ، ولا يحق لأى شعب آخر الايمان به أو الانتماء اليه .

أما الاسلام فمبدؤه أن الله تعالى اله العالمين «الحمد لله رب العالمين» (الفاتحة : ٢) « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الانبياء : ١٠٧) « قل : أغير الله أبغى ربا ، وهو رب كل شىء » (الانعام : ١٦٤) .

ثم ان مبدأ الكرامة الانسانية يقضى تحرير الانسان ، وتوفير كل أسباب العزة والكرامة والشرف له ، عملا بتكريم الله له وازالة كل عوامل التفرقة بين أبناء البشرية بسبب الجنس واللون وغير ذلك من العوامل الآتية ، لأن الكرامة هى الاحساس المعنوى بشخصية الانسان، والانسان هو أساس كل القيم والحضارات التى تقوم على الخير والسلام والعدل والاخاء والحرية ولن يؤمن بالحرية من لا يؤمن بالانسان وكرامة الانسان ، فأى انسان يولد بالفطرة حرا متساويا فى الحق والكرامة مع سائر الناس .

١ — الجنس :

عرفنا أن الاسلام لا يميز بين الاجناس والاعراق فليس هناك جنس أو شعب هو بنشأته وعنصره ودمه أفضل من غيره ، وانما الناس جميعا اخوة فى النسب ، ووحدة فى الاصل والمنشأ . قال تعالى : « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (الحجرات : ١٣) فمهمة الشعوب فى العالم هى التعارف والتعاون والتآلف، لا التناكر والتفاخر والتراحم غير الشريف ، ولا تفاضل الا بالايمان الصحيح والتقوى والعمل الصالح البناء ، فبالعمل والانتاج وبالنفع العام للانسانية يفضل الشخص غيره .

وبهذا هدم الاسلام برج العصبية القاتلة والقبلية أو العنصرية البغيضة ، وحارب كل أشكال التمييز العنصرى وأزال كل الوان الفوارق الطبقية عملا بمبدأ المساواة الانسانية العامة . وسبب محاربة الاسلام لفكرة الطبقية والعنصرية : هو أنها تكون عادة سبيلا للظلم والتحكم والطغيان ، وغمط الحقوق ، والانحراف عن جادة الحياة المستقيمة ، والسلوك الرشيد ، والعدالة لذا قال نبىالاسلام : « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية » (حديث حسن رواه أبو داود عن جبير بن مطعم) « من قتل تحت راية عمية يدعو لعصبية أو ينصر عصبية ، فقتلته جاهلية » (رواه مسلم والنسائى بسند صحيح) . وقال تعالى : « اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على

رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها ، وكان الله بكل شيء عليما » (الفتح : ٢٦) .

واذا كانت الدول الحديثة قد أعلنت مبدأ حقوق الانسان عام ١٧٨٩ م وقررت الامم المتحدة اعتبار عام ١٩٧١ كله لمكافحة ومحاربة التمييز العنصرى بكل أشكاله ، فان ذلك ما يزال أمرا نظريا لا عمليا ، فما زال الرجل الابيض يستذل الاسود فى قلب أوروبا ، وما تزال أمريكا زعيمة العالم الحر وبريطانيا تؤيدان مبدأ التفرقة العنصرية الذى يشجبه العالم كله والضمير الانسانى والشرائع السماوية ، سواء فى قلب أمريكا ضد الزنوج أم فى قارة أفريقيا متمثلا ذلك فى حكومة روديسيا ودولة جنوب أفريقيا ، والمستعمرات البرتغالية ضد الملونين .

وعلى أساس هذه النظرة العنصرية قامت فى الشرق العربى دولة اسرائيل العنصرية التى تمثل أحط صور المفهوم العنصرى ضد الشعب العربى الذى تضطهده أجهزة الحكم الاسرائيلى ، فتمنع حقوق الانسان وتمارس ضد السكان الشرعيين الاصليين كل أنواع القتل والسجن والتعذيب والتشريد والطرد ومصادرة الممتلكات الخاصة والعبث بأوقاف المسلمين وباحراق المسجد الاقصى .

وبمثل ذلك تفعل دولة أثيوبيا ضد العرب المسلمين فى الحبشة وأرتيريا حيث القتل والهدم الكامل للقرى والمدن والابادة الجماعية للسكان .

٢ — اللون :

كذلك لا تمييز بين الناس بسبب اختلاف اللون ، فهذا من أثر البيئة الجغرافية أو الاصل البشرى قال تعالى : « ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، ان فى ذلك لآيات للعالمين » (الروم : ٢٢) « ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه ، كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور » (فاطر : ٢٨) .

وقد فطن الاسلام الى مشكلة اللون فى بادىء الامر ، فقرر مبدأ المساواة التامة بين الابيض والاسود ، حدث مرة أن النبى صلى الله عليه وسلم سمع أبا ذر الغفارى يعير صحابيا بأمه ، ويدعوه : يا ابن السوداء فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا ، وقال مستنكرا : طف الصاع ، طف الصاع ، طف الصاع (أى تجاوز الامر حده) ، ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى أو بعمل صالح ، فما كان من أبى ذر الا أن وضع خده على التراب وقال لصاحبه : دس بقدمك على رأسى ، لما استشعر من تعديه عليه .

وفى عبارة أخرى لهذه القصة أن رجلا قال : لقيت أبا ذر بالربذة (مكان قرب المدينة) وعليه حلة وعلى غلامه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : انى ساببت رجلا ، فعيرته بأمه فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم : يا أبا ذر أعيرته بأمه ؟ انك امرؤ فيك جاهلية ، اخوانكم خولكم (أى أعوانكم وحشمكم) جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » . وقد شاهد عمر رضى الله عنه قوما فى مكة يأكلون ، والخدم يقفون لهم ، فغضب وقال للسادة : « ما بال قوم يستأثرون على خدامهم ؟ » وأمر بالخدم فأكلوا

مع السادة فى أجفان — أى آنية واحدة . وقال الرسول صلى الله عليهوسلم مؤكدا نبذ التمييز بالالوان : « أنا أخو كل تقى ، ولو كان عبدا حبشيا ، وبرىء من كل شقى ، ولو كان شريفا قرشيا » « سلمان منا أهل البيت » .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « لو كان سالم مولى أبى حذيفة حيا لوليته » أى الخلافة . وقد تولى فعلا كثير من الموالى المسلمين قيادة الجيوش وامارة المدن . قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يرفع بهذا الكتاب — أى القرآن — أقواما ويضع به آخرين » .

فأين هذه المحاربة للعصبية القبلية والعنصرية فى نطاق الاسلام مما تفعله الحضارة الحديثة التى تبيح للامريكان افناء عنصر الهنود الحمر بطريقة تدريجية منظمة ، أو القيام بتخصيص مدارس ومطاعم وناقلات خاصة ومقاهى وغير ذلك للزنوج الملونين ، بل تحرمهم من أبسط الحقوق المدنية والسياسية ، وتسن لهم القوانين الخاصة ، وتحول دون انتفاعهم بمظاهر المدنية الجديدة كالكهرباء والطرق والمرافق العامة المنظمة والمساكن الصحية والمشافى اللائقة ، ولا تمنحهم الاجور العادلة .. ويتم مثل ذلك فى حكومة جنوب أفريقيا التى تجاهر بالقوانين العنصرية ضد الملونين ؟

٣ — الدين :

لم يفرق الاسلام بين الناس فى النظرة الانسانية بسبب العقيدة أو الدين ، فاذا لم يكن هناك حرب ولا عدوان فلا فرق بين مسلم وغير مسلم فى مظاهر المساواة الثلاثة السابقة :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يحرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » (الممتحنه : ٨ — ٩) .

ويمنح الاسلام حقوقا مساوية للمشركين المعاهدين عند الاعتداء على الدماء ، فيوجب نفس الدية والكفاره الواجبتين بقتل المؤمن خطأ : « ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله ، الا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة » (النساء : ٩٢) .

وهذا نقيض ما تفعله بعض الدول الحديثة فى الشرق أو الغرب أو فى أفريقيا من تعمد افناء المسلمين وتشريدهم فى الآفاق .

كما أنه ليس فى الاسلام ما يعرف بطبقة رجال الدين الذين يتمتعون بامتيازات معينة أو لا يخضعون للقانون .

٤ — النسب :

ان من أصول الاسلام الثابتة قطعا ألا تأثير للنسب فى مركز الانسان ، ولا فى المفاضلة بين الناس ، قال الله تعالى : « فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون » (المؤمنون : ١٠١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا صفية بنت عبد المطلب ، يا فاطمة بنت محمد يا بنى عبد المطلب : انى لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم » (رواه الترمذى عن

عائشة رضى الله عنها) وفى عبارة أخرى مماثلة : « يا معشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا » (رواه البخارى ومسلم) .

وفى نداء آخر من الرسول موجه لقومه وأقاربه : « يا بنى كعب بن لؤى ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد مناف ، انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى هاشم انقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب انقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة بنت محمد ، انقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لك من الله شيئا » (رواه البخارى فى الادب المفرد عن أبى هريرة) أى أن قرابة الرسول عليه السلام لا تفيد أحدا شيئا ولا تكون سبيلا للمفاضلة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم محددا الغاء دور النسب فى الاعمال بصفة نهائية : « ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (رواه مسلم عن أبى هريرة) .

وبذلك تقرر فى الاذهان ألا نفع لغير العمل ، قال عمر بن الخطاب : « والله لئن جاءت الاعاجم — غير العرب — بالاعمال ، وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله لم يسرع به نسبه » وفى كتاب عمر الى سعد بن أبى وقاص : « ان الله ليس بينه وبين أحد نسب الا بطاعته ، الناس شريفهم ووضيعهم فى ذات الله سواء » .

٥ — الحسب (ما تعده من مفاخر آبائك ، أو المال ، أو الدين ، أو الكرم ، أو الشرف فى الفعل ، أو الفعال الصالح ، أو الشرف الثابت فى الآباء) :

ان الاعتماد على الحسب أمر موهوم أيضا ، فصاحب الحسب الشريف لا ميزة له على غيره فى تطبيق أحكام الشريعة ، ففى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقعت حادثة سرقة من امرأة قرشية ذات حسب ونسب ، واسمها فاطمة المخزومية ، فأتى أهلها أسامة بن زيد ، فكلموه ، فكلم النبى صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : يا أسامة لا أراك تشفع فى حد من حدود الله عز وجل ، ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فقال : انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف (الضعف هنا : الصغار فى المجتمع) قطعوه ، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها ، فقطع يد المخزومية » (رواه أحمد ومسلم والنسائى) .

وفى فاتحة التاريخ الاسلامى واقعة أخرى مشهورة وهى : لما أسلم جبلة بن الايهم الغسانى ، وكان من ملوك آل جفنة كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج اليه فى خمسمائة من أهل بيته ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه ، فلبسوا السلاح والحرير ، وركبوا الخيول معقودة أذنابها ، وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، فلما انتهى الى عمر رحب به والطفه وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة . فبينما هو يطوف بالبيت ، وكان مشهورا بالموسم ،

اذ وطىء ازاره رجل من بنى فزارة ، وهو يطوف بالكعبة فانحل ، فرفع جبلة يده ، فهشم أنف الفزارى فاستعدى عليه عمر رضوان الله عليه ، فبعث الى جبلة، فأتاه ، فقال : ما هذا ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين ، انه تعمد حل ازارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف ، فقال له عمر : قد أقررت فاما أن ترضى الرجل ، واما أن أقيده (القود : القصاص أى العقاب بالمثل) منك . قال جبلة : وماذا تصنع بى ؟ قال : آمر بهشم أنفك كما فعلت ، قال : وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهو سوقه وأنا ملك ؟ قال : ان الاسلام جمعك واياه، فلست تفضله بشىء الا بالتقى والعافية قال جبلة : قد ظننت يا أمير المؤمنين أنى أكون فى الاسلام أعز منى فى الجاهلية . قال عمر : دع عنك هذا ، فانك ان لم ترض الرجل أقدته منك . قال : اذاً أتنصر ، قال : ان تنصرت ضربت عنقك ، لأنك قد أسلمت فان ارتددت قتلتك .

ثم استمهل جبلة الى الغد ، وفى جنح الظلام فر مع خمسمائة رجل من قومه الى بلاد الروم ، فدخل الى هرقل ، فتنصر وقومه (أنظر تمام القصة فى سيرة عمر بن الخطاب للاستاذ على الطنطاوى وأخيه ناجى : ١/٣٦٠ ، الطبعة الاولى) .

فهذا تطبيق عملى حاسم لمبدأ المساواة فى العقوبات ، حيث لا مجاملة ولا محاباة ولا استثناء قل أن نجد نظيره فى تاريخ الامم .

٦ ــ المنصب والجاه وسلطان الحكم :

سوى الاسلام بين الحاكم والمحكومين ، والولاة والرعية أمام القانون والقضاء ، فلم يجعل لصاحب المنصب أو الولاية أى امتياز على غيره فى تطبيق أحكام الشريعة، قال النبى صلى الله عليه وسلم قبيل انتقاله الى الرفيق الاعلى : « ألا من كنت جلدت له ظهرا ، فهذا ظهرى فليستقد (أى فليقتص) ، ومن كنت شتمت له عرضا ، فهذا عرضى فليستقد منه » (رواه الفضل بن عباس فى الكامل لابن الاثير : ١٥٤/٢) .

وكان الخلفاء الراشدون بعد النبى صلى الله عليه وسلم يعلنون فى أول خطبة سياسية لهم : « انى وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله ، فلا طاعة لى عليكم » .

فليست ذات الحاكم مقدسة أو مصونة ، وانما هو وغيره سواء . كذلك ليس فى الاسلام امتيازات خاصة بالاسرة الحاكمة أو ما يسمى بطبقة الاشراف .

فهذا عمر بن الخطاب يقيم عقوبة الحد على ولده عبد الرحمن عندما شرب شرابا مسكرا ، وكتب الى واليه عمرو بن العاص يهدده بالعزل ويؤنبه حينما بلغه أنه جامل ابن عمر فى اقامة حد السكر عليه (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ٢١٨/١ وما بعدها) .

وقدم رجل قبطى من أهل مصر شكوى الى أمير المؤمنين عمر ، فقال : أجرى عمرو بن العاص بمصر الخيل ، فأقبلت فرسى ، فلما رآها الناس ، قام محمد بن عمرو

(والى مصر) ، فقال : فرسى ورب الكعبة ، فلما دنا منى عرفته فقلت : فرسى ورب الكعبة ، فقام الى يضربنى بالسوط ، ويقول : خذها وأنا ابن الاكرمين ، وبلغ ذلك عمرا أباه فخشى أن آتيك ، فحبسنى فى السجن ، فانفلت منه ، وقد أتيتك . فلم يزد عمر الخليفة على أن قال له : اجلس . ثم كتب الى عمرو : اذا جاءك كتابى هذا فأقبل ، وأقبل معك بابنك محمد ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك .

وفى وسط جمع كبير من الناس بعد أن قدم عمرو وابنه ، قال عمر للمصرى : دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين . فضربه حتى أثخنه ، وعمر يقول : اضرب ابن الاكرمين ، ثم قال : أجلها على صلعة عمرو ، فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه . قال : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى .

ثم قال الخليفة عمر : أيا عمرو ، متى تعبدتم (استعبدتم) الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ فجعل يعتذر ويقول : «انى لم أشعر بهذا» (سيرة عمر بن الخطاب ، المرجع السابق : ٢٣٩/١ وما بعدها) .

وشكا يهودى على بن أبى طالب فى خصومة ، فأحضرهما عمر ، وقال عمر لعلى : قف يا أبا الحسين بجانب خصمك ، فتأثر على ، فقال له عمر : أكرهت يا على أن تقف الى جانب خصمك ؟ فقال : لا يا أمير المؤمنين ، ولكنى رأيتك لم تسو بينى وبينه ، اذ عظمتنى بالتكنية ، ولم تكنه .

وجمع عمر عماله (أى ولاته) فى موسم الحج ، ثم قام فقال : « أيها الناس ، انى والله ما أبعث اليكم عمالى ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أبعثهم اليكم فيعلموكم دينكم وسنة نبيكم فمن فعل به سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفسى بيده لأقصنه منه » (المرجع السابق : ٢٢٦/١) .

٧ ــ الغنى والمال :

لا فرق فى الاسلام بين غنى وفقير ، وانما الاغنياء والفقراء سواء أمام الشرع ، فلا ألقاب ولا امتيازات للاغنياء ، ولا احتكارات ولا استغلال ولا استعباد ولا اقطاع لشريف ، وانما التقدير للعمل والكفاية قال تعالى : « وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى ، الا من آمن وعمل صالحا ، فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ، وهم فى الغرفات آمنون » (سبأ : ٣٧) « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه وكان أمره فرطا » (الكهف : ٢٨) ، « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ، ولو على أنفسكم أو الوالدين والاقربين ، ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا ، وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا » (النساء : ١٣٥) .

وكان عمر بن الخطاب يرى أولا المفاضلة فى العطاء من بيت المال ، ثم لما رأى المال قد كثر ، رجع الى رأى أبى بكر آخذا فى التسوية بين الناس فى القسمة ، وقال : لئن عشت الى قابل ، لألحقن آخر الناس

بأولهم حتى يكونوا فى العطاء سواء، فتوفى رحمه الله قبل ذلك » (سيرة عمر ، المرجع السابق : ١/٢٦٥ ، ٢٧١) .

ولم يقسم عمر الاراضى المفتوحة فى العراق والشام ومصر بين الغانمين الفاتحين ، حتى لا يأتى الذين بعدهم فلا يجدون شيئا لهم (الخراج لابى يوسف : ص ٢٨ — ٣١) .

قال أبو بكر الصديق فى أول خطبة له بعد استخلافه : « الضعيف فيكم قوى عندى حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله » .

٨ — الشهرة والسمعة :

ان الشهرة أو السمعة الادبية عن الشخص فى العلم أو الدين أو الخلق لا تجعل له ميزة عن غيره فى استحقاق جزاء فعل ارتكبهأو باعفائه من التزام واجب مفروض عليه ، فهو وغيره من الناس العاديين أو المغمورين أو الجاهلين سواء أمام حكم الشرع فى المثول أمام القضاء . وأما اشادة القرآن بالعلم فى قوله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (الزمر : ٩) فالقصد منها تعظيم قدر العلماء المستقيمين ، وأنهم يستحقون جزاء أوفى .

٩ — العمر أو السن :

الناس كبارا وصغارا بالغين سواء أمام الحق ، وفى مجال التنافس الشريف ، وفى الولايات وادارة الاعمال، فقد ولى النبى صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد الشاب قيادة الجيش وفيه أبو بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة .

وأما تقديم الاكبر سنا فهو فقط فى مجال المجاملات الادبية كالدخول والخروج والتوقير والاحترام والاطعام والمساعدة ونحو ذلك ، قال غلام لأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز : « أصلح الله أمير المؤمنين ، انما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ، فاذا منح الله عبدا لسانا لافظا ، وقلبا حافظا فقد استحق الكلام ، وعرف فضله من سمع خطابه . ولو أن الامر يا أمير المؤمنين بالسن ، لكان فى الأمة من هو أحق بمجلسك هذا منك . فقال : صدقت ، قل ما بدا لك .

١٠ — نوع الحرفة :

ليس فى الاسلام حرفة أو مهنة مبتذلة ، وأخرى شريفة ، ويقدس كل صاحب عمل لعمله ، ولا يؤثر ذلك على مركزه الحقوقى اطلاقا ، فكل عمل ضرورى للامة ، ولا بد من تقدير ذوى الحرف لما فى ذلك من عود النفع على الآخرين ، فقد ذكرنا سابقا أن عمر بن الخطاب مر يوما بمكة ، فرأى الخدم وقوفا لا يأكلون مع سادتهم، فغضب ، وقال لسادتهم مستنكرا صنيعهم : « مالقوم يستأثرون على خدامهم ؟ » ثم يدعو الخدم للاكل مع السادة فى اناء واحد . وقال الله سبحانه : « أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ،

ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ، ورحمة ربك خير مما يجمعون » (الزخرف : ٣٢) أى ليسخر بعضهم بعضا فى الاعمال لاحتياج كل واحد من البشر الى غيره .

١١ ــ المحبة والبغض :

ان عاطفة المحبة أو الكراهية ينبغى الا تؤثر فى ميزان العدالة والحق والمساواة ، قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله (أى كونوا قوامين بالحق لله عز وجل لا لاجل الناس والسمعة) شهداء بالقسط (أى وكونوا شهداء بالعدل لا بالجور) ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، (أى لا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم ، بل استعملوا العدل فى كل أحد صديقا كان أو عدوا) ، أعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون » (المائدة : ٨) .

ومن الوقائع العملية للتغلب على عاطفة البغض أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجل : انى لا أحبك . فقال : أتنقصنى شيئا من حقى ؟ قال : لا ، قال : فما يفرح بالحب بعد هذا الا النساء .

وخلاصة القول أن الاسلام كان شعاره منذ بدء أمره هو اقرار واحترام حقوق الانسان بشكل كامل، فهو الشريعة الفريدة بين الشرائع التى ضمنت توفير ذلك الاحترام من الناحية التطبيقية العملية ، وذلك يعنى أنه لم تقتصر على مجرد اعلان ما يسمى مجددا بحقوق الانسان ، ولاسيما احترام مفاهيم الكرامة الانسانية والحرية والعدالة والاخاء والمساواة ، وانما كان القضاء الاسلامى مثلا رائعا فى تنفيذ وتطبيق تلك المفاهيم ، حتى أن أعمال المسلمين اصطبغت بهذا اللون الاخاذ من المساواة المادية والمعنوية فى عباداتهم وأعرافهم وتقاليدهم وتعاليمهم وأحكامهم القضائية حتى مع غير المسلمين .

ومرجع تحقيق المساواة هو السلطة ، فالحكومة الاسلامية منوط باختصاصها لا باختصاص الافراد تحقيق المساواة نظريا وعمليا . وما على السلطات الحكومية القائمة الآن الا أن تحذو حذو الاسلام فى هدم الطبقية ونبذ التفرقة العنصرية وازالة كل الفوارق التى تتنافى مع كرامة الانسان والشعور بالمعنى الانسانى الصحيح ، وبذلك يسقط امتياز النسب أو المال أو أرستقراطية المواهب والفضائل أو أى أرستقراطية اخري تقوم على الفكر أو التجمع أو العنصرية القومية أو الدينية أو الايدلوجية : « والله يقول الحق وهو يهدى السبيل » .

مظهر التقوى في أدب العرب

للأستاذ منذر شعار

كان الادب العربى مزاج ما بين الدين وغليان النفس ، كما تمزج الكهرباء اليوم النور والحركة ، فمن ينظر فى أدب العرب بعد الاسلام يجد شعرا ونثرا عريضين مرتاحين لانبساط النفس ، سيالين برغباتها ومكنونها ، ولكنه ان أنعم النظر وألقى قلبه وراء السطر والقافية أحس الدين ، وما من شك فى أن الاسلام حين مس العرب هزهم هزة مباركة ظلت ، عبر القرون ، تحدو مواكبهم — جيوشا وأنفسا — نحو مجد الحياتين .

فما يعقل أن يسلم العرب مناهج وسبل دولة ولا يسلم أدبهم ، بل ان الكلمة المهتزة تسبق غيرها من جوانب الكون البشرى الى الدين ، ومهما يلقها العربى فى جريان الادب ومهما يلبسها من لبوس ، فان التقوى وراءها ان لم تكن بمظهر الطيلسان فهى بسر الكهرباء . ولا نريد من هذا القول شعر الزهد والتصوف وذكر الموت والآخرة ، ولكننا ننساق فى ركب الادب المحض حيث لا يظن ظان أن تقوى وراءه فننظر ونغوص ونلمس فاذا الدين قائم فى كل معـــان واذا التقوى موجودة وراء الحركة النفسية التى منها القافية والكلمة والادب العريض ، واذا بنا نرى أن العرب أسلمت بقوة واتساع حتى لقد أسلمت خلجاتها البعيدة وأغوار عواطفها السحيقة . وبدا ذلك فى أدبها عبر العصور فكان للتقوى مظهر فى الادب الذى هو حرية فى التفكير وربما شطحـــة فى الخيال .

ولسنا نريد ههنا الا حوادث من التقوى لطيفة جرت على هامش الادب ، فى تلك الاحوال التى تصنع نفسها ولايصنعها المرء ، بل تصنعها التقوى المستكنة فى نفوس أولئك الذين كانوا دعاة الله فى أرضه مهما يتقلب بهم الزمان .

من ذلك ما رواه أبو العباس المبرد قال : نزل اعرابى من طىء يقال له المثنى بن معروف بأبى جبر الفزارى ، فسمع الطائى أبا جبر — وهما يتسامران — يقول : والله لوددت أنى أبيت الليلة خاليا بابنة عبد الملك بن مروان ، كلام جار مجرى ما يسمى اليوم ((اللامبالاة)) ، ولكن الطائى ينتبه للكلمة ، ولا تمر على حسه النقى ، وتقواه الفطرية مرورا غبيا ، يتمنى الفزارى وهو المضيف ، أن يبيت ليلة خاليا بابنة الخليفة القرشية الجميلة !!. فى كلام معتاد هاذر .. فلا يحبس الطائى نفسه عن أن يسأل مضيفه : أحلال أم حرام ؟؟ نعم .. تحديد للفكرة وتقييد للكلمة العابرة ، انه لا مزاح فى عالم التقوى ولا شطط ، والمسلم أبدا جاد ، لــه من نفسه على نفسه رقيب ، ومن دينه وعقله على لسانــه محاسب ... أحلال أم حرام ؟ ولكن المضيف الفزارى فى نشوة السمر ، وبحبوحة الترف الطامع ، والامنية المتمردة ، وهو يحسب أن الكلام حر ، والفكرة مشاع ، فيقول مجيبا : ما أبالى !!.. فيثب عليه الطائى الضيف فيضرب رأسه برحالة (١) ، ويمضى عنه قاليا ضيافته . وكأن شيئا كالنار فى ذهنه يدور ويشتعل ، كيف يبيح مسلم لنفسه شطط الحديث بلا تقوى ولا جلال ، وهل نساء الامة عرض فمن شاء مزقهن بأمانيه فى غير تحرج ، شىء كثير عنيف دار حينئذ بذهن المثنى ، ولكنه سلسله رقيقا لطيفا فى هذه الابيات :

أبلــغ (٢) أمير المؤمنين رسالـــة — على الناى أنى قد وترت أبا جبر
كسرت على اليافــوخ منه رحالــة — لنصر أمير المؤمنين وما يــدرى
على غير شىء غير أنى سمعتــه — بنى بنساء المسلمين بــلا مهر (٣)

هذه الابيات هى التى قربت الحادثة من بساط الادب . وهى التى — من بعد — خلدتها على العصور ، وكان المثنى الطائى تقيا حتى الغايــة ، لم ينس تقاه فى ساعة السمر والحديث المغامر ، فكان ممن يحاسبون أنفسهم وغيرهم على ما يظن الآن أنه سهل يسير ، وما هو بيسير ، لأن المتساهل بالفكرة مؤداه أن يتساهل بالعمل ، وهذا — اذن — ضوء ساطع من أضواء التقى فى أدب العرب ، كثير الدلالــة على الحساب الجــاد للنفس واللسان ، ظاهره الخشونة وباطنه التحرج أبــدا من الاثــم وما يدانيه .

ومما يروى من هذه الدلائل ما ساقــه الاصفهانى فى أخبار الشاعر المخضرم لبيد بن ربيعة ، وهو شاعر فحل من أصحاب المعلقات ، وهن مذهبات شعر الجاهلية ، ومعلقته كبيرة الشهرة فى المعلقات وأولهــا :

عفت الديــار . محلهــا فمقامهــا — بمنى تابــد غولها فرجامهــا

وكان لبيد قد أدرك الجاهلية والاسلام جميعا ، وحسن اسلامه حتى أنه لم يقل شعرا بعد الاسلام الا نثرات فى الملمات ، فروى عنه الاصفهانى هــذا الخبر قال : ((لم يسمع من لبيد فخر فى الاسلام غير يوم واحد ، فانه كان فى رحبة غنى (٤) مستلقيا على ظهره ، قد سجى نفسه بثوبه ، اذ أقبل شاب من غنى فقال : قبح الله طفيلا (٥) حيث يقول :

جزى الله عنا جعفرا (٦) حيث أشرفت — بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملــونا ولو أن أمنــــا — تلاقى الذين يلقون منا لملت

ليت شعرى ما الذى رأى من بنى جعفر حيث يقول هذا ؟ قال فكشف لبيد الثوب عن وجهه وقال يا ابن أخى . انك أدركت الناس وقد جعلت لهم شرطــة يزعون بعضهم عن بعض ، ودار رزق تخرج الخــادم بجرابها فتاتى برزق أهلها ، وبيت مال ياخذون منه أعطيتهم ، ولو أدركت طفيلا يوم

---

(١) الرحلة : السرج ، أو من جلود لا خشب فيه/القاموس/غير أن سباق الابيات بعد يقتضى أن فى الرحالة خشبا .

(٢) البيت مخروم عروضيا ، والخرم حذف فاء فعولن وأكثر ما يكـــون هــذا فى صدر الطويل .

(٣) عن كتاب الكامل للمبرد ج ١ ص ٣٥٤ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥١ .

(٤) هم بنو غنى بن أعصر ، احدى قبائل مضر .

(٥) طفيل بن عــوف . أحد شعراء الجاهلية الكبار ، وكان وصافا للخيل .

(٦) هم بنو جعفر بن كلاب ، قبيلة الشاعر لبيد وفخره الادنى ، والمعنى اذن . جزى الله قبيلة جعفر .

يقول هذا لبنى جعفر لم تلمه . ثم استلقى وهو يقول : استغفر الله ، فلم يزل يقول استغفر الله حتى نام (١) . فأكرم بهذه تقوى مزهرة ، وأحسن بلبيد مسلما حسان (٢) بالــدين على رهافــة وحصافة ، فانه كان تقيا مع كونه شاعرا أديبا ، وفحوى القصة هــذه أن الشاب الغنوى مــر بلبيد وهو من بنى جعفر ، فتعجب من أبيات كان قالها فى الجاهلية الشاعر طفيل الغنوى يمدح بنى جعفر قوم لبيد ، ويقول ما كان طفيل صادقا أو مصيبا للحق فى مدحــه بنى جعفر ، فيســتاء لبيد ويزيح الثوب عن رأسه ويرد عليه بتلك الكلمات البليغــة . ولكن لبيدا بعد أن رد العيب ونافح عن قومه . تذكر على الفور أن الفخر محرم فى الاســلام ، فرجع يستغفر الله مرددا تائبا مع أن الذى قاله ليس شيئا ازاء الفخر القديم المتعصب الطاغى ، وما هو ههنا الا رد لجاحد ، ليس غير ، بكلام عذب فيه علم وحقيقة ، ولكن لبيدا التقى كره كل ذلك ، واستغفر من جمــاح لسانه ، وندم ندما شديدا دل عليه ترداد الاستغفار حتى أخــذه النوم . وهــذا كله لا يكون لــولا التقــوى البعيدة الغور فى نفس لبيد المسلم المؤمن ، ولا عجب ، فلبيد كانت لــه أخبار فى الاسلام حسان ، وهو القائل فى الجاهلية :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل ... وكل نعيم لا محــــالة زائـــــل

وهو القائل فى الاسلام :

ان تقوى ربنــا خير نفــــل ... وباذن اللـــه ريثى وعجـــل

أحمد اللــه ولا نــد لــــه ... بيديــه الخير ما شاء فعــــل

من هــداه سبل الخير أهتـــدى ... ناعم البــال ومن شاء أضــل

وقد روى لــه صاحب الاغانى خبرا جميلا بليغــا فى الدلالــة على حسن التقوى فى أدب العرب ، وفحوى الخــبر أن عمر بن الخطــاب رضى الله عنه كتب الى عاملــه على الكوفــة المغيرة بن شعبة أن استنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوه فى الاسلام ، فأرسل المغيرة الى الشاعرين المفردين فى مصره : لبيد والاغلب العجلى ، فأما الاغلب فقال للمغيرة :

أرجــزا تريـــد أم قصـــيدا ... لـــقد سألت هينا موجـــودا

واستمهلــه حتى يكتب ما أحدث ، وأما لبيد فجــاء يوم الموعد ومعه صحيفة ، فقدمها الى المغيرة، فنظر فيها المغيرة فاذا فيها سورة البقرة . وتعجب المغيرة والتفت الى لبيد ، فاذا هو مبتسم يقول : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر (٣) . انه لجواب ، وانها لتقوى ظاهرة ، فلبيد يعــلم أن الشعر مكروه فى الاسلام ، خلا شعرا ينافح به عن دين الله فى ظرف مخصوص ، وأن آيات الله حلت محل أبيات الشعراء فى العظــة والعلم والجمال الادبى ، واستولت تقــاه على منافذ نفسه وسكنت حينا وبرزت وقت الحاجة كأحسن ما تكون ، وكانت ألطف ما تزين بــــه صحائف الادب ودواوين الشعراء .

وقد كانت التقوى مبسوطة فى نفوس العرب نساء ورجالا ، فقد روى أن عزة صاحبة الشاعر المشهور كثير بن عبد الرحمن دخلت على الخليفة عبد الملك بن مروان ، فقال لها : أنت عــزة كثير ؟ فأجابت : أنا عزة بنت حميل الضمريــة .. كأنها كرهت أن تنسب الى شاعر غريب عنها ، يشبب بهــا ، ويشهرها بالحب ، مع أن كثيرا قال فيها ما تنحنى على جماله الثريا ، وتنبســط لرقراقة البحار ، وكانت عزة تسر بما يقوله فيها — وكان لا يقول الا خيرا — ونجد فى نفس الزهو أنهــا مهبط إلهام شاعر ، ولكنها وقت الجد ترجع الى تقواها ، وتأنف من أن تنسب الى غير الاب أو الزوج أو العشيرة ، ثم يقول لها عبد الملك : هل تروين قول كثير فيك :

وقد زعمت أنى تغيرت بعدهـــا ... ومن ذا الــذى يا عز لا يتغـــير

---

(١) عن الاغانى للاصفهانى ج ١٥ ص ٣٩٦ — ٣٦٧ ط بيروت دار الثقافــة .

(٢) حسان . شديد الاحساس ، وهو فعلان من الحس كقولك عطشان من العطش . وهو أجود مــن قولهم « حساس » .

(٣) الاغانى ج ١٥ ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

وظاهر من هذا البيت أن عزة تتهالك على كثير ، فقالت للخليفة : لا أعلم هذا ولكنى سمعتهم يقولون :

كأنى أنادى صخرة حين اعرضت ... من الصم لو تمشى العصم زلت (١)
صفوحا فما تلقاك الابخيلة ... فمن مل منها ذلك الوصل ملت (٢)

وهما بيتان لكثير فى عزة يصف هجرانها وقسوتها ونفورها من الوصل وبعدها من الريبة ، وتمام الخبر أن عبد الملك أمر أن تدخل عزة على زوجه عاتكة بنت يزيد ، فدخلت فسرت بها عاتكة ثم قالت لها : أخبرينى ياعزة عن قول كثير فيك :

قضى كل ذى دين فوفى غريمه ... وعزة ممطول معنى غريمها

ما كان ذلك الدين الذى له عليك ؟ فقالت عزة : قبلة وعدته إياها ثم أخلفت . فتقول عاتكة : هلا كنت قضيتها له وعلىَّ إثمها . يقول الراوى : ثم ندمت عاتكة على هذه الكلمة ، واستغفرت واعتقت عنها أربعين رقبة . (٣) فهذا خبر مزدوج فيه أدب ، وعلى الادب التقوى ظاهرة ، فعزة تأنف من قران اسمها وحالها باسم كثير وحاله ، ولا مانع الا تقوى الله ، وكثير يصف هذا منها فى شعره ويذكره أليما له . مع أن المعشوقات كن يجبن الشعراء فى الجاهلية ، كما يدل على ذلك قول امرىء القيس :

ويا رب يوم قد لهوت وليلة ... بآنسة كانها خط تمثال (٤)

وجل الشعراء الجاهلين قد ذكروا استجابة حبائهم لهم ، ووصفوهن وصفا ماديا حتى اذا جاء الاسلام تحرجت النساء ، ومنعهن التقى كالذى رأينا من عزة ازاء كثير وأحسن من ذلك وأدل على حس التقوى فى غضون الادب ندم عاتكة بنت يزيد على حماستها لكثير وعلى تمنيها لو أن عزة أجابت كثيرا الى القبلة ، ثم استغفارها وعتقها لذلك أربعين رقبة ، وكل ذلك من أجل كلمة عابرة قالتها فى جريان الحديث وأخذ الحماسة والرقة ، ندم فاستغفار،فاربعين رقبة . كم كان خوف عاتكة من الله شديدا ومحاسبتها لنفسها كبيرة ، حتى فعلت ما فعلت . وهذه تقوى شديدة . ونعم قوم يحاسبون أنفسهم على خلجات وكلمات ، ونعم ما طرزت به تقوى القلوب آداب العرب .

وان أكرم مظهر للتقوى فى أدب العرب ماحدث فى ضرام الحب البدوى والقروى بعد الاسلام ، فمما لا شك فيه أن العرب كانوا ذوى نفوس مرهفة رقيقة ، وحين استولى الدين على هذه الانفس ، ثم جاشت غوارب الحب اصطرع الهوى والتقى،فنجم حب مطهر صاف ما فيه ريب ، وحفظت لنا الكتب أخبارا عظاما من أولئك العشاق الذين انتصرت فيهم التقوى على الهوى ، وغنى شعرهم ذلك النصر ، فهذا الشاعر جميل بن معمر يقول لبثينة فى أعلى أحوال الغرام .

وأنت التى أن شئت كدرت عيشتى ... وان شئت ، بعد الله ، انعمت باليا (٥)

فهو حين ألقى نفسه على سجية هواه وجعل بثينة سبب سعادته وشقائه تذكر — والبيت لم يكمل — أنه مسلم وأنه قبيح به أن يقول الشطط ، ويتعدى الدين ، فاستدرك وهو حيران ولهان ،

---

(١) العصم . ج أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو احداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والوعول مسكنها الجبال ، والصخرة أشد ما تكون اذا كانت ملساء تزلق عليها الوعول مع مرانها عليها ، وعزة اذا ناداها العاشق كتلك الصخرة الهائلة فى عدم الجواب .. بلاغة فى وصف العفة واستطراد من عزة لوصف الصخرة .

(٢) صفوحا : هاجرة تخيلة ممرضة ..

(٣) أتم ما رويت به هذه الحادثة الادبية جاءت فى كتاب « ثمرات الاوراق » ، لابن حجة الحموى ص ٣٨ المطبعة الوهبية بمصر سنة ١٣٠٠ هـ .

(٤) الديوان ص ١٠٧ طبعة لسند وبى سنة ١٩٢٠ المطبعة الرحمانية بمصر . والبيت مقبوض عروضيا عند قوله « بآنسة كانها » ولم يكن الا القدماء يأتونه هنا .

(٥) ديوان جميل ص ٧٥ طبعة صادر بيروت .

فقال : « بعد الله » فجـــاء استدراكه ههنا نصرا للبلاغـــة وللتقوى جميعا ، فما أحسن « بعد الله » هنا فى حس الفن الادبى الشعرى ، وما أحسنها فى معنى التقوى وحساب النفس أمام دين الله .

ومن هذا النوع قول جميل فى موضع آخر من ديوانه :

أصلى فأبكى فى الصلاة لذكرها	لى الويل مما يكتب الملكـــــــــان (١)

فشعوره بمن يكتب عنه حسناته وسيئاته غاية التقوى ، ومن يشعر وهو فى قوة الحب بقوة الملكين لا يكن الا تقيا على أن أحسن ما يستشهد به هنا ذلك الحوار الرائع الذى جرى ذات عصر بين عبد الرحمن القس وبين سلامة المغنية ، وكانا متحابين متعاشقين كأقوى مايكون بين الرجل والمرأة ، ضمهما يوما مجلس منفرد فماذا يقولان والهوى ضرام ، والشوق دفّاع . قالت سلامة : أنا والله أحبك .

فقال عبد الرحمن : وأنا والله الذى لا إلـــه الا هو .

فقالت سلامة : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك .

فقال القس : وأنا والله .

فقالت : فما يمنعك ، فوالله ان الموضع لخال .

فقال القس : يمنعنى قول الله عز وجل « الاخـــلاء يومئذ بعضهم عدو الا المتقين » (٢) فاكـــره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة . (٣) ..

وعبد الرحمن القس شاعر ، ولكنه وراء الشعر تقى ، لا يقول ولا يفعل الا صدورا من الدين وورداً اليه ، وله أشعار حسان فى سلامة وحاله ومأساته ، وهو واحد منعشرات ومئات كانوا قبل الادب أتقياء فمـــا اشتطوا وماغلوا وخلفوا للتراث العربى بدور كلام فى سماء تقوى عريضة .

وهذا المعنى العفيف الذى سيطر على غرام الشعراء كان منتشرا عند الكثرة الكثيرة ، ونقدة الشعر أجمعوا على أن الاسلام كان هو السبب فى نشوء الحب العذرى المعروف ، وظل هذا النهج حتى عصور بعيدة من تاريخ الاسلام ، يـــدل على ذلك قول الشاعر أبو عبيد اللـــه ابراهيم ابن عرفـــة :

كم قد ظفرت بمن أهوى فيمنعنى	منه الحياء ، وخوف الله ، والحذر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم	وليس لى فى حـــرام منهم وطـــر
كذلـــك الحب ، لا اتيـــان معصية	لا خير فى لذة من بعدها سقر(٤)

ويقول هذا الشاعر أيضا :

ليس الظريف بكامل فى ظرفـــه	حتى يكـــون عن الحـــرام عفيفـــا
فاذا تعفف عـــن محـــــارم ربـــه	فهناك يدعى فى الانام ظريفـــا (٥)

وقد كان من مظاهر التقوى على هوامش الادب أن يرغب الممدوح بمدح الروح فوق مـــدح الجسد ، وبان يوصف بما يناسب الدين أكثر مما يناسب الدنيا . كالذى جرى بين الخليفة عبد الملك ابن مروان والشاعر عبد الله بن قيس الرقيات ، فقد كان هذا الشاعر مختصا بمصعب بن الزبير ، يمدحه ويهاجم بنى أمية ، فلما قتل عبد الملك مصعبا وتمزق أمر الزبيرية آب عبد الله الرقيات الى عبد الملك . فدخل عليه يمدحه بقصيدة أولها :

عادلـــه من كثيرة الطـــــرب	فعينـــــه بالدمــــــوع تنســـــــكب

حتى اذا وصل الى قوله فى عبد الملك :

أن الاغـــر الـــذى أبوه أبو الـــ	ـــعاصى عليه الوقار والحجب (٦)

(١) ديوان جميل ص ٧٧ طبعة صادر بيروت .

(٢) الآية ٦٧ من سورة الزخـــرف .

(٣) آثرنا نقل هذا الحوار من كتاب وحى القلم ج ١ للرافعى ، وهو مبثوث فى كثير من كتب الادب .

(٤) عن زهـــر الآداب ج ٣ ص ١٥١ ، ١٥٢ .

(٥) عن زهر الآداب ج ٣ ص ١٥١ .

(٦) أبو العاصى بن أمية جد عبد الملك ، وهو أيضا جد عثمان بن عفان (رضى الله عنه) .

يعتـدل التاج فـوق مفرقــه   على جبين كأنـــه الذهـــب

صاح فيه عبد الملك . ما زدت على أن جعلتنى علجا من أعلاج العجم ، هلا قلت فيّ ما قلته فى مصعب .

انما مصعب شـهاب من اللـــ   ـه تجلت عن وجهــه الظلمـــاء

ملكـه ملـك عـزة ليس فيـه   جبروت ولا بـــه كبريـــــاء (١)

رغب الخليفة عن مدح الدنيا الى مديح الآخرة ، وكره أن يشبه بذوى التيجانمن الاعاجم ، وأحب صفات تقربــه من الدين ، ولا سبب الا التقوى التى يستشعرها إزاء كل عمل . وعبد الملك كان قبل الخلافة يسمى حمامـة المسـجد لطول ملازمته المسجد الحرام فى مكة المكرمة .

ورغبة الامراء والخلفاء فى مديح دينى ورغبة الشعراء فى ذلك كثيرة فى شعر العرب وان خفى بعض الاحيان على النظر الاول ، ولا عجب أن يرغب فى ذلك معشر لم يزالوا يرددون قوله تعالى (أن أكرمكم عند الله أتقاكم) (٢) ، فيتسامون لذروة التقوى فى قول وفعل ، ومن الادلـــة على ذلك بائية أبى تمـام فى مـدح الخليفة المعتصم يوم انتصر على الروم فى وقعة عمورية ، فهى قصيدة ذهبت مثلا أدبيا رائعا فى تراث العرب وحوت من البيان والبلاغـة والتأريخ ما لا تبلغــه قصيدة أخرى ، ولكن المتمعن فيها يجد أبا تمام حريصا على وصف ممدوحه بما يقرب من التقوى وبما يدخل أبياته العظيمة فى باب الدين من أفق واسع ، فهو يقول فى فتح عمورية :

فتح تفتح أبواب السماء لــــه   وتبرز الارض فى أثوابهـا القشب

ويخاطب ذلك اليوم فيقول :

أبقيت جد بنى الاسلام فى صعد   والمشركين ودار الشرك فى صـبب

ويتحدث عن الخليفة المعتصم بهذا الاسلوب :

تدبيـر معتصم باللـه منتقــم   للـه مرتغب فى اللـه مرتقـب

هكذا كل نأمـة عمل ، كل هجمة فكرة فهى لله وفى سبيل الله ، ثم يوضح أبو تمام وجـه التقوى فى مدحه فيخاطب المعتصم قائلا :

رمى بـك الله برجيهـا فهدمها   ولو رمى بـك غيـر الله لم تصب

انه يجعل سبب النصر الله سبحانه ، فهو الذى رمى بواسطة المعتصم ، ولو رمى غير الله بواسطة المعتصم لما أصاب ولما نجح ، هكذا يربط الشاعر عمل الدنيا بطلب الآخرة ، ويلبس الخليفة القائـد وشاحا دينيا ويسره اذ يرده الى التقوى لا الى شىء سواها ، واذ يبارك لــه سعيه فى سبيل الدين ، واذ يقول لــه :

خليفة الله .. جازى الله سعيك عن   جرثومة الدين والاسلام والحسب (٣)

ويختم رائعته بهذا القول العظيم الدال بقوة على ما نذهب اليه من أمر التقوى فى أدب العرب فيقول :

أن كان بين صروف الدهر من رحم   موصولة أو ذمـام غيـر منقضـب (٤)

فبين أيامـك اللاتى نصرت بهـا   وبين أيـام بـدر أقـرب النسـب

ومثل أبى تمام المتنبى حين مدح سيف الدولة الحمدانى اثر معركة الحدث فقال :

ولسـت مليكـا هازما لنظـيره   ولكنـك التوحيـد للشرك هـازم

وهذا أمر كثير فى شعر العرب القدماء ، يصعب حصره ، أما الشعر الذى يصف أصحابه فيه عفة نفوسهم وخوفهم من الله فشىء ضخم واسع ، وانما أردنا مظهرالتقوى الخفى الظاهر فى حيث لا يظن ظان أنه موجـود ، فلا شك فى أن كثيرا من أدباء العرب كانـوا أتقياء مع كونهم أدبـاء وشعراء ، وكانت يومئذ أمة سواء ذات أصالة وسداد ، تنبثق عن رشد وتنتشر برشد ، ولا ينسى انسانها أنه مؤمن حيثما جذب ، أوجذبته الحيـاة .

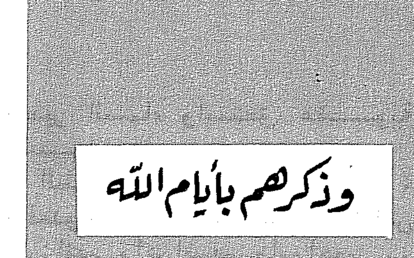
---

(١) القصة هذه فى الاغانى مع تغيير فى اللفظ ج ٥ ص ٧٠ طبعة دار الثقافة بيروت .

(٢) جزء من الآية ١٣ من سورة الحجـرات .

(٣) الجرثومـــة : الاصـــل ..

(٤) منقضب : منقطع .



الدعوة الموسوية

نظرة في العرض القرآني لها

للأستاذ : محمد صبيح

يتحدث القرآن الكريم فى قصةموسى عليه السلام ،عن شخصيتين: هما فرعون ، وهامان .. ويصف فرعون بأنه علا فى الارض وقسم الناس الى طبقات ، استضعف طبقةمنها ، وسامها العذاب ، وكان يقتل الذكور من ابنائها .

وبعد أن عرض القرآن لرحلةموسى الى بلاد مدين ، التى وصفته فيها احدى فتاتى شيخ القبيلةبأنه ((القوى الامين)) ، جاءته النبوة ، ولخصت دعوته فى آياتبينات :

((اننى أنا الله لا اله الا أنا ،فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى .))
((ان الساعة آتية أكاد أخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى .))
((فلا يصدنك عنها من لا يؤمنبها،واتبع هواه فتردى .))
(طه)

ومؤدى هذه الرسالة ان النبوة فى صورتها الموسوية تدعو الى ثلاث:

* وحدانية الله ، ولا يعبد الا هو منزها عن كل شبيه ونظير .
* الصلاة لله تعالى ، أى الاتجاه بالدعاء له وحده .
* الايمان بالبعث وبالحساب فى الآخرة عن أعمال الانسان فى الحياة الدنيا . وعدم الاستجابة لمن يدعو الى غير هذه السبيل .

وقد استعان موسى على اقناع فرعون بوحدانية الاله بمنطق سهل

بسيط ، فعندما سأله فرعون عن ربه :

« قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم هدى . »

« قال فما بال القرون الاولى . »

« قال علمها عند ربى فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى . »

« الذى جعل لكم الارض مهدا ، وسلك لكم فيها سبلا ، وأنزل من السماء ماء . »

« فأخرجنا به ازواجا من نبات شتى . »

« كلوا ، وارعوا انعامكم ، ان فى ذلك لآيات لاولى النهى . »

« منها خلقناكم ، وفيها نعيدكم ، ومنها نخرجكم تارة اخرى . »

واذن فقد تحدث موسى عن الاله الواحد ، الذى خلق وحده كل شىء وكل حى ، وهو اله الحاضر والماضى والمستقبل ، ليس قبله شىء ، وليس بعده شىء . وان من آيات وجوده هذا النبات ، ودورته حتى يصبح حياة ، ويصبح طعاما للانسان والحيوان . والله الواحد الاحد ، خلق أيضا الانسان ، ثم اماته ورده الى الارض ، ثم هو الذى يبعثه حيا فى يوم معلوم .

هذه حدود الرسالة الموسوية المبلغة الى مصر ملكها ، وقائد جيشها (هامان) ، او لعله كبير كهنتها .

الطغيان وما يجر اليه :

أما لماذا استحق حاكم مصر واعوانه هذا التبليغ من رب السماء والارض ، على لسان موسى واخيه هارون .. وما الاثم الذى ارتكبه فرعون فتحدده الآية :

« اذهبا الى فرعون إنه طغى »

فقد عد الطغيان كبيرة الكبائر ، والاثم الذى لا يعد له اثم واستحق تحذير السماء واستحق عقوبة السماء .

الطغيان هو مجانبة العدل ، والعدوان على حريات الناس وارزاقهم واعراضهم وارواحهم ..

الطغيان هو الاعتزاز بالقوة ، واهدار آدمية البشر ، وهم خلق الله .. أعظم خلق الله .. أعظم من الملائكة واجل شأنا .. هم صورة الله فى أرضه .. فمن نسى الله فى عباده ، فقد استحق هذا الوصف القرآنى . استحق ان يكون طاغية .

ولم يكن استبداد فرعون موجها الى اليهود وحدهم ، وكانوا ضيوفا على مصر منذ اربعة قرون وبعض قرن ، ولكنه انصب أيضا على شعب مصر ، لان الطاغية لا يعرف حدا يقف عنده ولا يعرف ناسا يؤثرهم ويكرمهم ، وآخرين يبعدهم ويذلهم ، الا بمقدار ما يحقق مصلحة .

وقد كره القرآن الكريم الطغيان، وأعطى صيغة مبالغة لمن يتصف به، فهو « الطاغوت » واحب القرآن العدل ، وحث عليه ، وجعله من صفاته تعالى ، قرن به الرحمة التى لا تميل على الضعف والضعفاء ولكن تمد لهم يد المساعدة حتى يزول ما بهم من هوان ، ويسيروا مع الناس فى مسيرة الحياة الحرة باقدام ثابتة ليس فيها مجال للخوف، ولا للتهديد به .

اذهبا الى فرعون انه طغى .. هذا هو أمر السماء . وقولا له قولا كريما سهلا ، وهو انه انسان خلقه الله ، وان الناس جميعا من خلقه ، حتى هؤلاء الذين اذلهم حكمه وهم اليهود . والله لم يخلق الناس، ولكنه خلق النبات كذلك ، وخلق الحيوان ، وخلق كل شىء . وانه هو، وليس فرعون واهب الحياة ، وهو

الذى يستردها ، فلماذا الطغيان ، ولماذا الاذى ؟ . .

وما حدث كان مقدرا له ان يحدث، فقد شاعت دعوة موسى الى التوحيد ، والى العدل بين الناس ، والى ترقب الموت والحساب فىحياة اخرى . . شاعت بين كثير من المصريين بل اعتنقها بعض امراء واميرات البيت المالك المصرى فى ذلك الوقت . .

واذن فلم تكن الدعوة الموسوية موجهة الى اليهود وحدهم ، ولا هى قاصرة على هذه القبيلة من بنى يعقوب ، ولكنها كانت دعوة عامة .

وليس عجيبا ان تكون هناك دعوة سماوية توجه الى قوم الحضارة من أبناء النيل ، بل لعلها لم تكن الدعوة الاولى . فقد سبقتها صيحة اخرى من أجل التوحيد ، ونبذ عبادة الاوثان ، صحبت وجود يوسف الصديق الى مصر ، قبل ان يتحدث بها موسى . وفى هذا نص صريح فى سورة المؤمن :

« ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات ، فما زلتم فى شك مما جاءكم به ، حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا . كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب . »

وتوالت الاحداث من بعد ذلك ، فقد واجه موسى ملك مصر ، ووجه اليه دعوته فأجاب اجابة ساذجة ، وهو انه سيبنى برجا عاليا ، يصل الى السماء ، ليرى اين يوجد اله موسى، ليواجهه . ولكن هذا البرج لم يبن، على الرغم من أن مصر بلاد البناء والتشييد ، واكتفى فرعون بمواجهة عامة بين معجزات موسى ، ومايمكن ان يقوم به سحرة مصر ، وعلماؤها، وكهانها لابطال هذه المعجزات والتفوق عليها . وقد وصف القرآن كلا من هؤلاء الافراد بأنه « سحار عليم » وقد تفوق موسى ، فهو مؤيد من السماء .

وذهل فريق العلماء والكهان والسحرة لما راووا بأعينهم . ولا بد أن هذه المباراة كانت صاعقة مفحمة، لم يملك مشاهدوها من المصريين (باستثناء فرعون وبعض اركان حكمه) من أن يخروا سجدا ، ويعلنوا على الملأ أنهم آمنوا برب موسى ، وكان تحديهم لفرعون ، يدل على شديد تأثرهم . لقد رفضوا تهديد الطاغية بأن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وان يصلبهم على جذوع النخل ، ويسومهم من العذات مالا قبل لبشر به . . أكثر من عذاب الآخرة فى زعمه .

فى ثقة ويقين قال هذا الحشد لفرعون الطاغية : « فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا » وقد عدوا ما كانوا فيه من عبادات وطقوس وثنية خطايا تمنوا على الله ان يغفرها لهم .

واذن فقد آمن بدعوة موسى الى التوحيد هذا الفريق الكبير من مفكرى مصر وكهانها وكانوا قد وفدوا للاجتماع الخطير من أقصى البلاد وادناها ، من الدلتا والصعيد وما بينهما . . وارجح الظن ان هذا اللقاء كان فى منف (الجيزة) فهى حاضرة البلاد الثانية بعد طيبة (الاقصر) ، وذلك لقربها من جاسان (الشرقية) حيث استقر اليهود واقاموا .

ولم تقتصر دعوة موسى على من شهد المعجزات ، بل لعل التمهيد للدعوة سبق هذا الموقف ، فان القرآن الكريم يحدثنا عن **« رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه »** ، ولا عجب أن يكون لموسى فى القصر الملكى أصدقاء وأوفياء ، فقد نشأ

فيه وعاش حتى بلغ سن الاربعين ولا بد أنه كان يتحدث عن عقيدة التوحيد كما جاء بها ابراهيم الخليل، وهو حديث هامس ولا شك لم تعلم به السلطات الحاكمة، وان كانت سجلت عندها ان موسى قتل رجلا من المصريين وانه هرب من مصر حتى لا يحل به العقاب.

لقد تصدى هذا الرجل من آل فرعون للملك، عندما قرر أن يعدم موسى، حتى لا يبدل دين المصريين جميعا .. وكان منطقه فى الدفاع عن رسول دعوة السماء، انه اذا كان كاذبا فعليه وحده الذنب، **« وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم »**. ويبدو أن هذا المصرى المؤمن بالتوحيد كان وافر العلم، وافر الشجاعة، فقد ضرب أمثلة لما حدث للظالمين من الحكام السابقين فى شعوب أخرى.

وانتهى أمر المواجهة بين ملك مصر ونبى الله موسى، لتستمر باقى المعجزات التسع التى اريد بها اظهار سلطان الله تعالى على الخلق جميعا، وكل آية تكبر التى قبلها.

المسيرة الى سينا :

وفى ليلة من ليالى الربيع المصرى أوحى الله الى موسى، أن يسير بقومه من اليهود الى سينا ...

وكانت مصر فى هذا الفصل من العام بادية الرونق، مروجها مزهرة، وقنواتها جارية، ولقد أصاب بعض الاضطراب جنبات الحياة، على يد موسى ومعجزاته التسع، فان آخر منظر رآه اليهود فى مصر مما لا ينمحى من الذاكرة. وقد ورد وصف سريع فى ذلك الوقت ضمن ما تحدث به القرآن عن خروج اليهود .. قال :

« كم تركوا من جنات وعيون ».
« وزروع ومقام كريم ».
« ونعمة كانوا فيها فاكهين ».

وما أكثر ما كانت تنبت مصر من أصناف الغذاء .. « من بقلها، وقثائها، وفومها (١)، وعدسها، وبصلها » .. وما أكثر خير النيل عندما كانت أسماكه تغذى الناس بأشهى غذاء .. ولكن هذه الوسائل الميسرة للحياة، لم تكن كافية لتشعر اليهود، وشعب مصر من حولهم بالراحة النفسية والرفاهية الحقيقية، طالما أن سلطان القانون قد اختل فى يد حاكمهم، وهانت عليه أرواح الناس وأموالهم فكان طاغية، وحق لليهود وهم غرباء عن البلاد، أن ينجووا بأنفسهم، متبعين داعيهم الاكبر موسى الكليم، وأخاه هارون.

وقد عرض كثير من الباحثين للطريق الذى سلكه موسى وقومه فى خروجهم من مصر. قالت التوراة أن موسى لم يتجه مباشرة عبر سينا الى فلسطين، حتى لا يفزع اليهود من محاربة الفلسطينيين ولم يكونوا مستعدين لهذه المعارك، فيعودوا ادراجهم الى مصر، أرض عبوديتهم.

ووصفت التوراة الماء الذى اجتازه اليهود بأنه، بحر سوف « وقد اخترنا من بين المراجع عن رحلة الخروج كاتبا، كان قنصلا للولايات المتحدة فى مصر منذ قرن من الزمان تقريبا، او على وجه التحديد عام ١٨٧٦ ميلادية. وقد سهل له الخديو اسماعيل القيام برحلة علمية متبعا خط سير موسى وقومه، ودارسا على الطبيعة، ما كان عليه طريق العبور فى ذلك التاريخ البعيد .. هذا القنصل، واسمه (البرت فارمان » (٢).

قام هذا الرحالة الامريكى برحلتين واحدة على شواطىء بحيرة المنزلة، ثم الى موقع مدينة (زون) القديمة، أو (تانيس) كما أسماها الاغريق، او (صان) وهذا هو اسمها الحديث .. قال فى يوميات رحلة :

« اختلفت الآراء بالنسبة للمكان الذى استقر فيه الاسرائيليون أثنـاء اقامتهم فى مصر . فهـؤلاء الذين يتمسكون بنظرية مرورهم بالفعـل من المكان الذى يعتبر الآن جزءا من البحر الاحمر . يقولون ان هـذا المكان فى اقصى الجنوب ، بينمـا يعين آخرون ذلك المكان فى اقصى الطرف الشمالى الغربى من البـلاد « وتدل القرائن اللغـوية على أنه من المحتمل ان يكونوا قد احتلوا الجزء الاكبر من الاقليم الواقع فى شمال الدلتا ، وشرق فرع دمياط من النيل عندما اصبح عددهم كبيرا . ويشمل هذا الاقليم أخصب الاراضى المصرية انتاجا (كذا) . وكان كافيا لاقامـة مليون نسمة . ولقد أصبح الجـزء الاكبر من هذه الاراضى صـحراء غطتها المستنقعات ، بعد ان كانت من أغنى الاراضى زراعة .

« وكان يوجـد بالمنطقة المجاورة لبحيرة المنزلة أراض وطيئـة تنتج الحشائش الرديئة التى تتغذى عليها الماشية . وكانت تحد شرقا بالصحراء التى تنتج من النباتات فى كثير من الاماكن فى فصـل الشتاء ما يكفى لتغذية عدد محدود من الماعز والاغنام .. وكان يبلغ عدد ذرية يعقوب وقت نزولهم مصر ستا وستين نفسا .. ولقد أقاموا فى بقعة صـغيرة من الارض الخصبة المجاورة للصحراء، مثلهم فى ذلك مثل اعراب الوقـت الحاضر . كما انهم ضموا اليها جزءا من الاراضى اللاطبـة المجـاورة للبحيرة . وكان هـذا بالنسبة لهم اختيارا موفقا ، فهى حديقة فيحاء . وكان هذا هو الواقع اذا قورنت هذه الاراضى بالاراضى الصخرية الوعرة التى هاجروا منها . كانت هـذه الارض ملائمة تماما لحياة الرعاة ، ولحفظ قطعانهم التى احضروها معهم ولأنها لم تكن مرغوبة لدى المصريين .

وبعد رحلة استكشافية فى الارض المجاورة لشواطىء بحيرة المنزلة . والوقوف عند اطلال مدينة صان عاد القنصل الامريكى وصحبه ، واذا بهم امام مفاجأة لم تكن فى الحسبان . فقد وجد القارب الذى كانوا يستقلونه فى البحيرة ابتعد بضعة أميال عن موقعه الذى تركوه فيه . وذلك لان الرياح الشمالية ترفـع المياه وتغير مناسيبها . فهى فى وقت من اليوم ضحلة قليلة الغور يمكن السير منها بالاقدام العارية ، ونفس المـكان فى وقت آخر موفور الماء يغطى قامات الرجال مثنى وثلاثا .

وكانت بحيرة المنزلة تمتد عشرات الاميال خارج حـدودها الحالية ، وكانت للنيل فروع تصب منها جفت الآن ، وربما كانت البحيرات المـرة الحالية من مخلفات بحيرة المنزلة .

يقول هذا المصدر ، وينقـل عن الأثريين الذين عاصروه :

« فى مخطوطات التوراة القديمة، كانت الكلمات التى ترجمت بالبحـر الاحمر هى (يم سوف) ، والكلمـة العبرية (سوف) تعنى الأعشـاب والبوص وسمار الحصر ونبـات البردى .

وهى تشير الى منطقة صالحـة للملاحة مغطاة بالنباتات المائية مثل بحيرة المنزلة . وكانت تطلعه على البحيرات والمستنقعات الواقعة فى شمال شرق مصر .. وقد صنع تابوت موسى من السوف ، أى من السمار والبردى .

ووصف رحالة قديم (ديو دورس) هذه المياه بقوله : « ان سـطح المستنقع الذى يمتد أميـالا ، كان مغطى برمال جارفة تغوص فيهـا الاقدام . لقد غصت حتى ركبتاى تقريبا فى الوحل) .

وكانت البحيرات الضحلة ممتدة على طول الساحل ، وتكون عديدا من الخلجان ، وما بين هذه الخلجان يمكن العبور الى شاطىء البحر . وقد

ورد فى التوراه أن بنى اسرائيل فى خروجهم تملكهم الفزع و (جعل الله البحر ينحسر بواسطه ريح شرقيـــة قوية هبت طوال الليل واحالت البحر ارضا يابســـة) .

وذكر الرياح الشرقية فى هـــذه الرواية يجعـــــل طريق العبور بين بحيرة المنزلة والبحر الابيض حيث يمكن ان تتراجع المياه الضحلة اذا دفعتها رياح قوية كما ورد فى هذا الوصف . واستمرت معجزة العبور طوال الليل ، فلما قدم فرعون وجنده، مقتصين أثر القبائل الهاربة ، تابعوها على نفس الارض ، دون ان يتنبهوا الى أن انحسار الماء عنها ، هـــو أمر مؤقت ، فلما سكنت الريح انطبق الماء من الجانبين : جانب البحيرة ، وجانب البحر ، فغرق فرعـــــــون ومن معه .

وقد ورد فى التوراة ان المياه كانت على جانبى طريق العبور كالجـدار من يمين ومن شمال وقد أدى هـــذا الوصف المجازى بتصور أن هـــذا الماء هو ماء البحر الاحمر ، وعلى هذا الاساس تصور سيسيل دى ميل وخبراؤه فى فيلم السينما الذى عرض لهذا الحادث ، قاع البحر الاحمـــر بأعماقه البعيدة ، والماء من الجانبين أعلى من جدار كل أهرام فى البلاد .

ومحققو القـــــرن الماضى الذين راجعوا طبيعة الارض المصرية على امتداد خليج السويس والبحـيرات المرة ، استبعدوا كل مـــــكان الا شواطىء بحيرة المنزلة .

وكانت الحملة المصرية وراء اليهود الفارين مكونة من ٦٠٠ عربة حرب، وكانت المطاردة فى أواخر الليل ، وقد غاصت العجلات فى الوحل ، ثم ما لبث مد البحر ان غمر الطريق.

وبعد ان أوغل الاسرائيليون فى الصحراء متجهين جنوبا ، دار البحث عن جثث الغرقى ، وامكن انقـــاذ جثة فرعون ، كما ورد فى القرآن لتكون للناس عبرة . وقد وجدت جثث الفراعنة الاربعة الذين تعاقبوا فى الاسرة الثامنة عشرة الفرعونية، وأحدهم على أرجح الاقوال ، هـــو فرعون الخروج ، وجثثهم الاربعة من بين ما يحفظه متحف القاهرة .

وقد ورد فى القرآن أن فرعون ، وقد رأى الموت يحتويه ، تأكد ان معجزات الله طالته هو فهتف يعلن ايمانه ، ولكن هيهات .. تقول سورة يـــــونس :

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر، فاتبعهم فرعون وجنوده » .

« بغيا وعدوا ، حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه » .

« لا اله الا الذى آمنت به بنـــو اسرائيل ، وانا من المسلمين . »

« فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية »

« وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون » .

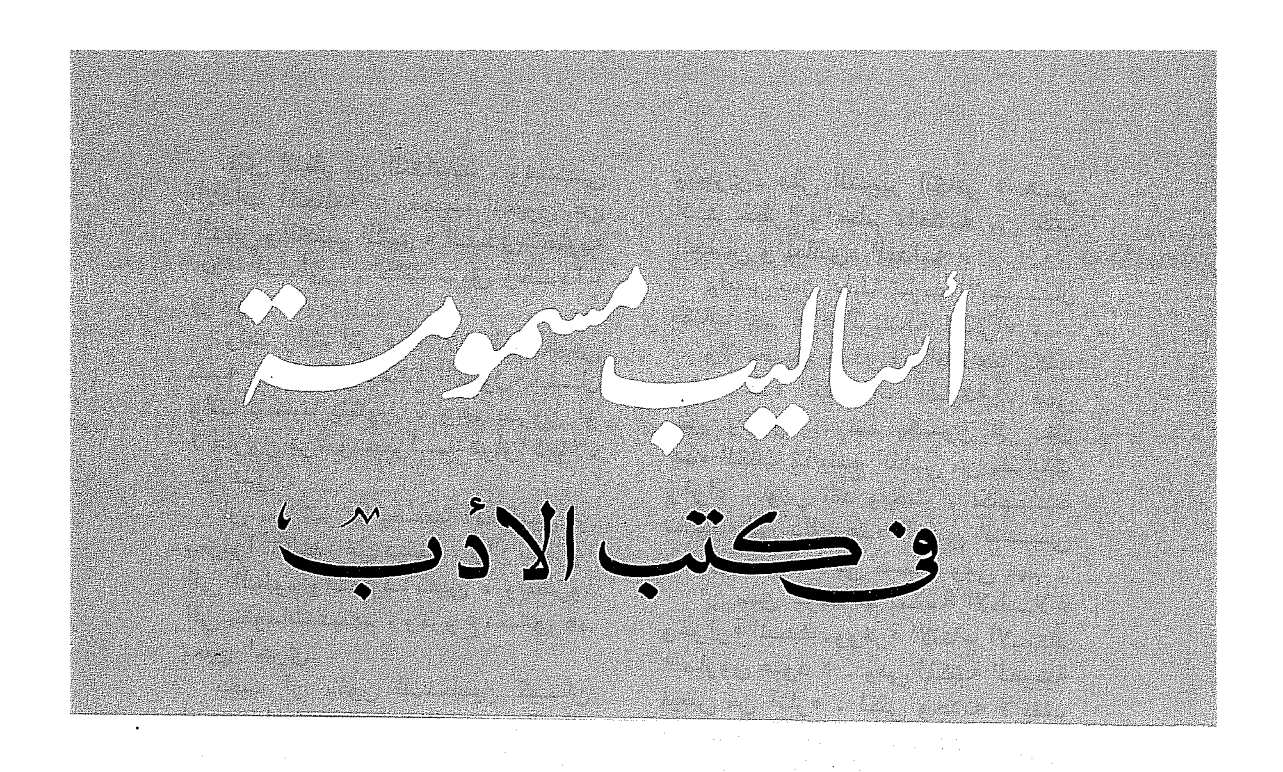
وفى هذه اللحظة الحاسمة ، يتبين لنا أن نقطة الخلاف بين العقائـــــد المصرية فى ذلك الوقت ، وعقيـدة موسى هى « التوحيد » والايمـــان باله واحد أحد .

وهكذا أغلق باب من هداية السماء فى مصر ، حاول اخناتون فيما بعد ان يفتحه قليلا ولكن لم تستمر محاولته ولم تفلح ، وظل الامر كذلك حتى جاء المسيح عليه السلام ، فأقبـــــل المصريون على رسالته ثم جاء محمد بن عبد الله ، فكانت مصر ، وما زالت كلمة التوحيد الكبرى » .

---

(١) الفوم هو الحنطة .

(٢) كتاب مصر وكيف غدر بها تاليف البرتفارمان ترجمة المجاهد الوطنى ، من شـــباب ثورة سنة ١٩١٩ الاستاذ عبد الفتاح عنـــايت



للدكتور محمد كامـــل الفقى

اكثر شبابنا لا يفطنون حين يتلقون ثقافتهم من كتب الأدب ــ وغيرها ــ لما فى هذه الكتب من أساليب مسموحة ، يسرى سمها الناقع الى الافكار والعقـــول ..

أنهم يشغلون بما فى هذه الكتب من صور جديدة ، وقصص مثيرة ، عن التعبيرات الخبيثة التى لا تلتقى مع مبادىء الدين الاسلامى فى شىء . ويبيح اصحابها لأنفسهم من الحرية والانطـــلاق ما يشتهون ، دون حساب لقيم ، او مراعاة لمثل . انما هى جراة وتبجح . يحاول بها اصحابها ، بعد الحاح ومثابرة ، أن يصلوا الى خط من الشهرة . وأن يعقدوا بينهم وبين الناشئة الفا وآصرة .

ومن عجب أن هذه الكتب تجد رواجا ملحوظا ، ويتهم بالجهل والتخلف من قصر عن النظر فيها . والعلم بها .

ان شبابنا يقرأون كتب التبشير وهم فى حذر ويقظـــة ، ويرتادون ميادينها ليعرفوا اسلحة خصومهم . ووسائل كيد هؤلاء للاسلام واهله .

والدين نفسه لا يكره أن يقرا المسلم حجة اعدائه او يناقش ما تكاد تفتن به العقول القاصرة ..

بل لعل الذى يتصدى لاحباط كيد المارقين . يجد نفسه امام حاجـــة ملحة للنظر فى هذه الضلالات ليحفظ الأغرار من خطرهـــا .

ولا سيما حين نعلم أن هنالك أكاديميات علمية فاجرة تكيد لدين الله كيدا . ولديها من العدة والمال ما تدخل به الى نفوس كثير من النشء وهم غافلـــون ..

لكن النظر فى الثقافات ، وفى الآداب المختلفة ، يعصب العيون عن الدس والتدبير اللئيم ، الذى تحتويه هذه السطور . خلف بريق وخداع واغراء .

ولقد راينا اثر هذه الاساليب فى شبه رانت على بعض العقول . بل راينا شبابنا ينقلون . وهم يدرون او لا يدرون قولا وتعبيرا مما قراوا لهؤلاء المارقين .

ان من شر ما يصيب المسلمين ان يعزلوا ثقافتهم عن دينهم . وان ينظروا الى العلوم والمعارف بعين . وينظروا الى مقومات دينهم ، وفروع دستورهم بعين اخرى .

يجب أن يكون للمسلمين كيان أدبى خاص . وما ينبغى بحال ان نتميع حتى تذوب افكارنا فى بحر لجى من الكفر والضلال .

فليس أحد من غير المسلمين بالذى يخضع علومه ومعارفه لسلطان الإسلام ، ومهما قرأ من كتبنا . فانه يعزل ما قراه — ولو فتنة — عن علومه ومعارفه .

ليست حرية الكلمة تعنى أن يهرف مسيحى فيما يخرجه للناس بتعبيرات غريبة ضالة ، ويسلط اغراءها على عقول المبتدئين فيشبوا على الفتنة بها .

ولا ازعم انى مبالغ أو مزيد اذا قلت ان البلاد الاسلامية فى أشد الحاجة الى فرض رقابة قوية واعية على كل كتاب يصل الى حدودها .

هذه فتن ومزالق ، وتلك اغراءات ومعاول . تطبع فى نفوس ابنائنا ما شاءه هؤلاء الضلال من انحراف وضلال .

وكما نسهر على عصمة أبنائنا وحمايتهم من كتب الجنس والمبادىء الهدامة . يجب أن نضع فى اعتبارنا وفى عملنا ومنهاجه أن الكتب التى تحاول أن تحل عرى العقائد ، وتجرىء على التعبير الكافر ، هى اشد خطرا واعظم فاحشة من كتب الجنس والمبادىء الهدامة .

وليس يعز علينا ضرب الامثال بكتاب لهم هذه الرسالة النكراء .

ولا يضيق صدرنا واطلاعنا بكتب حوت هذه التعبيرات المارقة . فهى كثير وكثير .. لقد يكون فى مثل هذه الكتب ما ينفع الناس من نظريات وآراء . ومن نقد وبحث . لكنها تضيف الى ذلك هذه الحمى التى تسرى عدواها فى صمت وفى نهم .

ان ممن عرفناهم بسعة الاطلاع وغزارة البحث . ووفرة الانتاج الاستاذ « مارون عبود » . وفى المكتبة العربية فيض من آثاره . لكنى وجدته لا يقف فى حرية التعبير عند مدى . ويبيح لنفسه من الاساليب ما هو عجيب ومثير ومنكر حقا . انه راض كل الرضا عما يفعل . بل لعله فخور يملأ الزهو نفسه ، لما يجده من جدة فى تعبيره واسلوبه .

واذا كان هو مسيحيا لا يتعارض مع كيانه ذلك الذى يقذفنا بحممه ، فاننا مسلمون ، نزن بميزان الدين القيم . كل قول . كما نزن به كل عمل .

والاستهتار طبعا هو الذى يحدو الكاتب الى أن يرسل القول على عواهنه فى هذه الأساليب ، فلا حرمة لعقيدة . ولا هيبة لدين ، أو احد

لقد اخترت كتابا واحدا من كتب هذا الكاتب لأعرض على الناس بعض ما جاء فيه . وليس كل ما جاء فيه ليفتحوا عقولهم على شىء غريب . حين يقرأون هذا التجديد .

ففى موضوع « الأدب والحياة » يقول الكاتب فى الصفحة الخامسة « .. الكلمة قوام الادب . ولولاها لم يكن شىء مما كان . فالله سبحانه وتعالى هو الأديب الأول . انشأ

بالكلمة هذا الكون » .

وفى موضوع « ثورة على القديم » يقول فى الصفحة الثامنة : « جدد الله فى حياته الازلية الابدية مرتين الأولى حين كانت الارض خربة وخالية والظلام يسودها فقال : ليكن نور فكان نور . .. وبعد حين رأى الله أن أبناء آدم زاغوا وفسدوا فشاء أن يقوم بتجديد جديد شامل . فأرسل الطوفان العرمرم . وأفنى بنى البشر الا نفرا قالوا أنهم كانوا من الصالحين » ..

وفى هذه الصفحة يقول فى الموضوع ذاته : « ان الذين ينكرون الماضى لفى ضلال . فهم لن يفلتوا من براثن الامس . وبرهانى على ذلك أننا ما زلنا نحنى الهام عندما نذكر راسين وهو ميروس وشكبير وفرحيل وأمرأ القيس وسليمان وداود ومحمد وعيسى وغيرهم » .

فقد ذكر محمدا وعيسى عليهما الصلاة والسلام مع هؤلاء ، وقدم عليهما هؤلاء .

وفى موضوع « الشيوخ والشباب » يقول فى الصفحة السادسة عشرة : « .. شباب شيوخ ، قديم جديد ، هذا نزاع أزلى سرمدى . فالملائكة ثاروا فى شبابهم على الله القديم الأجيال .

هذه حجة العاجز فاصفعوا بها لحيته . الحياة شباب . وان لم نصدق الله سبحانه وتعالى فمن نصدق ؟ انه لم يعلل عبيده الابشباب دائم .. لم يعللهم بالحكمة والكهول والعجائز بل بجنة للشباب فى حافاتها زجل . كل من فيها أمرد ، ولا ملتحى فيها غيره سبحانه وتعالى » .

« أومن بأدب عربى واحد ، لا فينيقى ولا فرعونى تألم وصلب على عهد الحريرى واليازجى . وأومن بالشباب والمشيب والروح القدس المنبثق منهما . وبكنيسة أدبية واحدة جامعة » ..

وفى موضوع « من ذكريات جيل » فى الصفحة الواحدة والثلاثين قال : « فى أورشليم الأمس حيث عبد الحب . وتأله الاحساس بالجمال . فى بيباوس ملعب الاله المغامر . فى مدينة الثالوث هيكل الاله الذى صرعه الخنزير » الخ .

وبعنوان أباطيل قال فى الصفحة الثالثة والخمسين : « تحت يدى الآن ديوانا شعر لطالبين جامعيين أحدهما عراقى ، وعنوان ديوانه أباطيل . والثانى لبنانى وعنوانه « فى دروب المغيب » الديوانان من قطع واحد ، وعدد صفحاتهما واحد . ولا فرق بينهما الا أن الجلد العراقى احمر .. والجلد اللبنانى أزرق . أما الفكرة فى الديوانيين فهى واحدة . ثورة على الله المسكين .. الخ .

هذا كتاب واحد من عدة كتب .

وهذا كاتب واحد من جملة كتاب .

ماذا يفعل شبابنا حين يقرأون هذه المزالق ؟ أليسوا متأثرين حتما بها ؟ هل هم من الوعى والحذر واليقظة حين يفتحون عيونهم عليها بحيث ينقدون ويسخطون ؟

اغلب الظن انهم سيغفلون عن النقد والسخط بما فيهما من بريق ورواء وجدة وابتداع . ليس لدى اقتراح محدد بهذا الصدد فى هذه الكارثة الادبية التى تنتهى الى كارثة اجتماعية ودينية ووطنية .

لكنى أنادى بتنحية هذا الخطر عن أفلاذ أكبادنا .

والوقاية خير من العلاج .

وربما كان من الزم ما يكون فى أعناقنا أن ننوه دائما بمن هم فى عداد هؤلاء الكتاب . وأن نشير فى وضوح ونور الى امثال هذه الكتب حتى لا نخدع السذج والاغرار .



« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القـــوم الظالمين » .

(قـــرآن كريم)

خمس .. ؟

رأى المنصور فى منامه ملك الموت فسأله كم بقى لى من العمـــر ؟ فأشار اليه باصابعه الخمس ، فانتبه مذعورا ثم سأل عن تأويل رؤياه فقيل خمسة أعوام وقيـــل خمسة شهور وقيل خمسة أيام ، وأخيرا سأل احد العلماء ــ فقال المشار اليه خمسة أمور انفرد الله بعلمها وهى أن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت .

أول مولـــود فى الاســـلام مـــن المهاجـــــرين

عبد الله بن الزبير بن العـــوام ــ ابوه الزبير حوارى رسول اللـــه وامه اسماء ذات النطاقين بنت أبى بكـــر الصديق وجدته صفيـــة بنت عبد المطلب عمة رسول الله وعمة أبيه خديجة بنت خويلـــــد ام المؤمنين وخالته عائشة ام المؤمنين .

هاجرت أمه أسماء وهى حامل به فولدته فى (قباء) فى السنة الأولى من الهجرة وهو أول مولود فى الاسلام من المهاجرين بالمدينة .

فيـــل المدينـــة

روى أنه حضر فيل فى المدينة المنورة وكـــان مالك بن أنس يدرس فى المسجد فقال قائل حضر الفيل فقام تلاميذ مالك ينظرون الفيل وتركوه الا يحيى بن يحيى الليثى الاندلسى فقال له مالك ــ لم لم تخـــرج لتـــرى هذا الخلق العجيب وليس فى بلادك ؟ قال ــ انما أتيت لآخذ علمك ولم آت لانظر الفيل ..

العلم والسلاح

مجالسة السوق مذمومة
ومنه مجالس قد تحتسب
فلا تقربن غير سوق الجياد
وسوق السلاح وسوق الكتب
فهاتيك آلة أهل الوغى
وهاتيك آلة أهل الادب .

فى اللغة

قال عبد الملك يوما فى بعض مجالسه — أيكم يأتينى بحروف المعجم فى بدنه مرتبة وله على ما يتمناه ؟
فقال سويد بن غفلة — أنا لها يا أمير المؤمنين فقال — هات فقال سويد — أنف بطن ترقوة ، ثغر ، جمجمة . حلق خد دماغ ..
فقال آخر فى المجلس — يا أمير المؤمنين — أنا أقولها فى جسد الانسان مرتين ، فقال سويد أنا أقولها ثلاثا — أنف أسنان اذن واستمر فأعجب عبد الملك من بديهته وأجازه .

الفيل والهرة

حكوا عن هارون بن موسى الازدى أنه كان يحارب مع المسلمين فى أرض الهند وقد اكتشف سرا خطيرا وهو أن الفيل يخاف من الهرة فلما حضرت الوقعة جاء ومعه هر فلما دنا الفيل منه رمى الهر فى وجهه ففزع الفيل وولى هاربا وهربت الفيلة على أثره وتساقط الاعداء من فوقها .

أفضل من عجل

سئل أحد الزعماء الذين يقدسهم أتباعهم — أحقا أنك تحمل روح الله فى بدنك وانك لهذا تعبد ؟

سكت الرجل قليلا .. ثم قال ضاحكا — أنا أولى بالالوهية من غيرى انهم فى الهند يعبدون البقر وأحسبنى أفضل من عجل ..

بغداد

كانت بغداد قبل أن يبنيها المنصور الخليفة العباسى الشهير ضيعة صغيرة يجتمع فيها على رأس كل سَنَة التجار من الاماكن القريبة منها فلما عزم المنصور على بنائها أحضر المهندسين وأهل المعرفة بالبناء والعلم بالمساحة وقسمة الارضين ثم وضع بيده أول حجر فى بنائها وقال — بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال ابنوا على بركة الله وبلغ مجموع ما أنفق على بنائها أربعة ملايين وثمانمائة ألف درهم وبلغ عدد العمال المشتغلين فيها مئة الف وكان لها ثلاثة أسوار يلى الواحد منها الاخر وبلغ عدد سكانها مليونى نسمة وبلغت عدد روابيها وسككها ستة الاف بالجانب الشرقى وأربعة الاف بالجانب الغربى وكان فيها عدا دجلة والفرات أحد عشر نهرا فرعيا تدخل مياهها الى جميع بيوت بغداد وقصورها وكان فى دجلة وحده من المعديات (المعبرانيات) ثلاثين الفا أما حماماتها فقد بلغت ستين ألف حمام .
وأما مساجدها فقد بلغت ثلاثمائة ألف مسجد . وأما سكانها وكثرة العلماء والادباء والفلاسفة فذلك فيها ما لا يحيط به حصر .

المدينة الفاضلة وصلتها بالأخلاق عند الفارابي

للأستاذ : سعيد زايد

أبو نصر الفارابى الذى لقب بالمعلم الثانى ، عاش فى النصف الثانى من القرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع الهجرى ، فقد استنتج تاريخ مولده فقيل إنه كان حوالى ٢٥٩هـ أما تاريخ وفاته فهو مؤكد برواية المؤرخين وكان سنة ٣٣٩هـ ولقد هوى أبو نصر التنقل والأسفار ، ونشأ على ثقافة لغوية دينية ، وأقبل على العلوم الاسلامية من فقه وحديث وتفسير ، وتعلم اللغة العربية والتركية والفارسية ، وقد كانت رحلاته وراء البحث عن الدراسات العقلية فذهب الى بغداد وحران وحلب ودمشق .

ولم يكن المعلم الثانى بالرجل الذى تغريه مظاهر الدنيا والجاه ، بل إنه قضى حياته كلها فى شظف من العيش ، وكان يكسب قوته بعمل يديه ، حتى إنه كان يعمل ناطورا إبان الفترة التى ذهب فيها الى دمشق . وقد توفى فيها . وكرمه سيف الدولة بن حمدان بأن صلى على جثمانه مع بعض خواصه ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

وفلسفة الفارابى من الفلسفات ذات المعالم الواضحة والأهداف المحددة ، ترتبط أجزاؤها بعضها ببعض ارتباطا وثيقا ، بحيث تبدو منسجمة متناسقة . وقد كتب فى جميع فروع الفلسفة من منطق وأخلاق وفيزيقا وميتافيزيقا .

وقد ارتبطت نظريته فى الأخلاق بفكرته عن المدينة الفاضلة ارتباطا وثيقا . ان السعادة هى الغاية القصوى التى يشتاقها الانسان ، واذا كان كل ما يسعى اليه الانسان ، هو فى نظر المعلم الثانى خير وغاية فى الكمال ، فان السعادة هى أسمى الخيرات جميعها ، فبقدر سعى الانسان الى بلوغ الخير لذاته تكتمل سعادته .

وينال الانسان سعادته بممارسة الأعمال المحمودة عن إرادة وفهم متصلين ، ولذا فان أى انسان يستطيع عمل الخير ويسير فيه ، وينال السعادة ، اذا أراد ذلك فما عليه إلا محاولة تنمية خصال الخير الموجودة فى نفسه بالقوة لتصير ملكة راسخة تتجه دائما الى عمل الخير . فان الممارسة عنصر هام ، عند الفارابى ، لاكتساب الأخلاق المحمودة أو المذمومة ، ومن الممارسة تتولد السعادة .

ويحاكى الفارابى أرسطو فى اعتباره أن الفضيلة وسط بين حدين : الإفراط والتفريط . فهو فى كتابه « التنبيه على سبيل السعادة » يعتبر العمل الصالح هو العمل المتوسط ، فالشجاعة — مثلا — حد وسط بين التهور والجبن ، والكرم يتوسط بين البخل والتفريط ، والعفة تقع بين الخلاعة وعدم الشعور باللذة .

واذا كانت اللذات الجسدية تأتى عن طريق الحواس ، فان اللذات الفكرية طريقها العقل . واذا كانت الأولى سهلة المنال فهى أيضا سريعة الزوال ، بعكس الثانية التى لا تكتسب الا بممارسة الخصال الحسنة مثل جودة الروية والتمييز وقوة العزم ، وجودة التمييز — كما يقول المعلم الثانى — هى التى نحصل بها على المعرفة والمعرفة نوعان : نوع يُعلم ولا يعمل ، مثل علمنا أن العالم محدث وان الله واحد ، ونوع يُعلم ويعمل ، مثل علمنا أن طاعة الوالدين حسنة . أى ان المعرفة عبارة عن العلم النظرى والعلم العملى ، وهما يؤلفان الفلسفة التى بها تنال السعادة ، واذا كنا نصل الى الفلسفة وننال السعادة بجودة التمييز فاننا نصل اليها بوساطة المنطق .

ويذكر المعلم الثانى فى كتابه « تحصيل السعادة » أن الأشياء الانسانية التى بها تحصل السعادة للناس فى الدنيا والآخرة عبارة عن أربعة أجناس ، وهى :

١ — **الفضائل النظرية** : وهى العلوم الأولى ، أى المبادىء الاولى للمعرفة ، منها ما يحصل للانسان بلا شعور ، ومنها ما يحصل نتيجة للتأمل والفحص والاستنباط والتعليم والتعلم ، مثل : المنطق والبحث عن مبادىء الموجودات .

٢ — **الفضائل الفكرية** : وهى لا تفارق الفضائل النظرية ، وبها يمكن للانسان أن يستنبط ما هو أنفع بالنسبة لغاية فاضلة ، وهى على حد تعبير الفارابى « أشبه أن تكون قدرة على وضع النواميس » ولذا فانها فضائل فكرية مدنية .

٣ — **الفضائل الخلقية** : وهى فى مرتبة تالية للفضائل الفكرية ، لأن الفضائل الفكرية شرط لها ، وبها يلتمس الخير .

٤ — **الفضائل العملية** : وهى تحصل للانسان اما بالأقاويل الإقناعية وإما بالاكراه .

هذه هى الفضائل الأربع التى يذكرها الفارابى فى كتابه « تحصيل السعادة » . وهو يرى أن من الفضائل ما هو كائن بالطبع ، ومنها ما يكون بلا إرادة ، فمن أوتى طبعا فائقا عظيما تحصل عنده الفضائل النظرية والفكرية والخلقية العظمى ، وكذلك تحصل عنده الصناعة العلمية العظمى . ومن الممكن أيضا الحصول على الفضائل الانسانية بالإرادة ، وذلك يأتى بمراقبة الانسان لنفسه

والعمل على تلافى نقائصها فاذا وصل الى درجة الفضيلة المتوسطة عد فاضلا .

وبالتعليم والتأدب تحصل الفضائل المختلفة فى الأمم ، فالأول طريق للفضائل النظرية ، والثانى طريق للفضائل الخلقية والصناعات العملية ، ويحصل الأول بالقول فقط ، أما الثانى فيحصل أحيانا بالقول وبالفعل .

ومن يقوم بمهمة التعليم والتأدب ، معلم أو مؤدب ، وهو رئيس المدينة أو من ينتدبه الرئيس لهذا الغرض . فرئيس المدينة — الذى هو واضع النواميس والشرائع — هو المعلم والمرشد والمدبر ، ذلك لان الفطر تختلف بين كافة البشر ، فمن أوتى فطرة قوية وحصل على السعادة ، يقف موقف المعلم والمرشد لمن لم يعلم السعادة من تلقاء نفسه .

ورئيس المدينة عند الفارابى ، تجتمع فيه جميع الخصال الحميدة ، قوى الشخصية ، تام الأعضاء ذكى ، لبق ، قانع فى المأكل والمشرب والنكاح ، غيرى لا محبا لذاته ، صادق لا يكذب ، كبير النفس ، كريم، عادل ، مبغض للجور والظلم ، قوى العزيمة ، شجاع لا يخاف . وقد ذكر المعلم الثانى صفات الرئيس فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » .

ذلك أن مهمة الرئيس ليست سياسية فحسب ، ولكنها خلقية أيضا . فمن الناحية السياسية هو الرئيس الاعلى لكل المدينة ، ووزراؤه ومساعدوه ليسوا إلا منفذين لأوامره ومن الناحية الخلقية هو النموذج الذى يقلده المدنيون والمثال الذى يحتذونه ويترسمون خطوات سيره . وما على الرئيس الا أن يحاول ما استطاع أن يصبغ جميع الأفراد بطبيعته هو .

وهذه الصفات التى يرى المعلم الثانى ضرورتها فى رئيس المدينة ، اذا اجتمعت فى رجل واحد كان هو ، بالطبع ، رئيس المدينة ، أما اذا توزعت على عدة رجال ، كانوا جميعا الرؤساء الأفاضل بشرط أن يكون هؤلاء الرجال متلائمين . أى أن يكون منهم الحكيم ، والعادل ، وصاحب العزيمة .. وهكذا ، أما إن خلوا جميعا من رجل حكيم ، فان المدينة تبقى بلا ملك ، ويكون رئيسها ليس بملك ، وبذا تتعرض للهلاك .

هذا باختصار بعض ما يتعلق برئيس المدينة الفاضلة . فما هى المدينة الفاضلة ؟

الانسان مدنى بطبعه ، وليس من الممكن أن يبلغ كمالا ما اذا عاش منفردا دون معاونة الناس . فان الانسان مفطور فى بلوغ أفضل كمالاته الى أشياء كثيرة لا يمكنه القيام بها وحده ، فالاجتماع وسيلة لبلوغ الكمال ، والحياة فى المجتمعات تهيىء الانسان لنيل السعادة التى هى غاية الفرد .

والمجتمعات عند الفارابى قسمان : مجتمعات كاملة ، ومجتمعات غير كاملة .

اما الكاملة فهى ثلاث : العظمى ، وهى جماعة من أمم كثيرة اى عبارة عن المجتمع الانسانى بأسره .

والوسطى ، وهى عبارة عن أمة واحدة . والصغرى ، وتتكون من اهل مدينة واحدة .

واما غير الكاملة ، فهى مجرد اجتماعات فى القرى او فى الطرق أو فى البيوت ، ومن الطبيعى أن تختلف

الأمم بعضها عن بعض بفعل العوامل الجغرافية والأخلاق والشيم الطبيعية واللغة ، وما الى ذلك .

والتعاون بين أفراد المجتمع الواحد هو وسيلة السعادة ، وبه تنال ، وتصير المدينة فاضلة ، وبه أيضا تصير الأمة التى هى مجموعة من المدن أمة فاضلة ، وبه كذلك يصير المجتمع الانسانى الذى هو مجموعة من الأمم مجتمعا انسانيا فاضلا . فالمدينة الفاضلة أشبه بجسم الانسان يختص كل عضو من أعضائه بعمل معين ، فاذا قام كل عضو بعمله على الوجه الأكمل صار الجسم فى مجموعه صحيحا ، وكذا المدينة الفاضلة فطر افرادها بفطر متفاضلة ووجهتهم إرادتهم نحو فعل الخير ، وبذا تصبح المدينة سعيدة .

وكما أن القلب هو العضو الرئيسى فى البدن تخدمه جميع الأعضاء ، وكما أن للنفس — عند الفارابى — وحدة ، وتترتب قواها بحيث نجد القوة الغازية فى المرتبة الدنيا ، والقوة الناطقة فى المرتبة العليا ، فكذا المدينة الفاضلة ، فيها مراتب رئاسات تبدأ بالرئيس الأعلى وتنتهى الى مرتبة من الخدمة « ليست فيها رئاسة ولا دونها مرتبة أخرى » وكذلك تصير المدينة الفاضلة فى انسجامها وتسلسل مراتب افرادها شبيهة أيضا بمراتب الموجودات .

والى جانب المدينة الفاضلة ، ذكر المعلم الثانى بعض مدن أخرى هى :

ا — **المدينة الجاهلية :** وهى التى لم يعرف أهلها السعادة ولم تخطر ببالهم . وجل اهتمام أهلها هو سلامة الأبدان والحصول على الثروة وممارسة اللذات ، وهم يرون فى ذلك سعادتهم . وللمدينة الجاهلية عدة أقسام منها :

١ — المدينة الضرورية ، ويقتصر أهلها على الضرورى مما يحفظ عليهم صحتهم .

٢ — والمدينة البدالة ، ويتعاون أهلها على الثروة لذاتها .

٣ — ومدينة الخسة والشقوة ، ويقتصر أهلها على التمتع باللذة المحسوسة .

٤ — ومدينة الكرامة ، ويتعاون أهلها على أن يصيروا مكرمين ذوى عظمة وشهرة ، سواء بالقول أو بالعمل .

٥ — ومدينة التغلب ، وغاية سكانها التغلب على غيرهم ، وسعادتهم فى هذه الغلبة .

٦ — والمدينة الجماعية ، ويعيش أهلها حسبما يشاءون ، وليس لأحد منهم على أحد سلطان .

٧ — ومدينة النذالة ، ويتعاون سكانها على جمع الثروة فوق ما يحتاجون ، ولا ينفقون منها .

ب — **المدينة الفاسقة ،** وهى التى عرف أهلها ما يعرفه اهل المدينة الفاضلة ، ولكن اعمالهم تشبه أعمال اهل المدن الجاهلة .

ج — **المدينة المتبدلة ،** وهى التى كان يعتقد أهلها ما يعتقده أهل المدينة الفاضلة من آراء ، ولكنهم تبدلوا ، فدب الفساد فى آرائهم وأفعالهم .

د — **المدينة الضالة ،** وهى التى لا يسير أهلها على العقيدة الصحيحة فى الله ويخدع رئيسها الناس ، ويدعى انه موحى اليه .

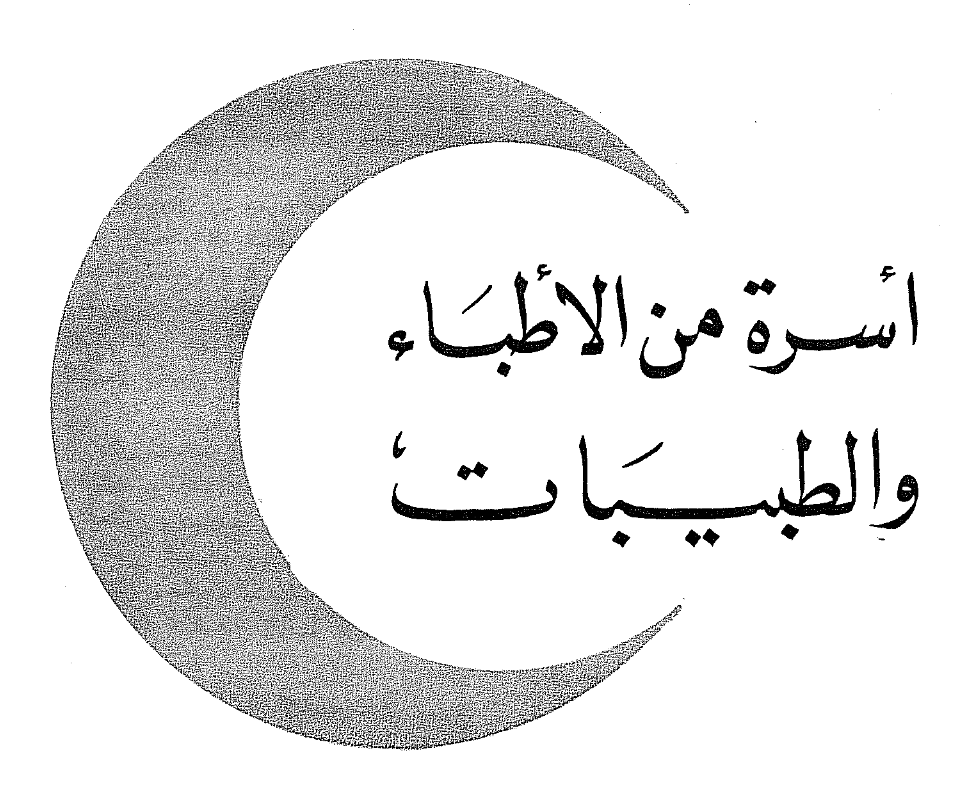
هـ ـ **النوابت** ، وهذه توجد فى المدن الفاضلة نفسها ، وفى غيرها من المدن ، وهم عبارة عن أناس يضرون بالمجتمع ، ومثلهم ـ كما يقول الفارابى ـ مثل الشوك النابت بين الزرع . ومنهم البهيميون بطبعهم وهم لا يعدون مدنيين ، بل هم أشبه بالبهائم الانسية أو البهائم الوحشية ، يأوون البرارى متفرقين أو مجتمعين، أو يأوون قرب المدن ، منهممن يعيش على اللحوم النيئة ، ومنهم من يعيش على النبات ، ومنهم من يفترس مثل السباع ، فمن كان من هؤلاء إنسيا يترك ويستعبد وينتفع به كما ينتفع بالبهائم ، والا فيقاتل كما تقاتل سائر الحيوانات الضارة .

هذه ، باختصار ، أشكال المدن الجاهلة والضارة ، أما آراؤهم فصبغتها الجهالة والضلالة ايضا .

فهم قوم أنانيون ، يرى بعضهم أن الاجتماع لا يقوم الا على الحاجة والضرورة ، ويرى البعض الآخر أنه يقوم على التحاب . ولكنهم اختلفوا فيما يكون به التحاب . فقيل ان أساسه القربى ، وقيل ان أساسه التماهد ، وقيل ان أساسه تشابه الخلق والاشتراك فى اللغة ، وقيل ان أساسه الاشتراك فى السكنى أو فى السكة أو فى الملة . وهم فى الجملة يرون العدل من وجهة نظر خاصة ، لا تخرج عما يدعو اليه الطبع ، ففعل الغالب عدل دائما ، وعلى الضعيف اتقاء شر القوى بممارسة القناعة وقبول الاستعباد .

هذا على عكس صفات أهل المدينة الفاضلة التى تقوم على النظام والعلم وتعشق الفضيلة ، فكل عضو يقوم بالعمل الذى يصلح له .





أسرة من الأطباء والطبيبات

وطبيبات مسلمات

للاستاذ مصطفى الشهابى

طالعت بمزيد الاغتباط ذلك المقال الذى دبجته يراعة الدكتور محمد أبو شوك تحت عنوان « أسرة من الاطباء » فى مجلة الوعى الاسلامى وفيها تحدث عن الاطباء من تلك الاسرة الفريدة « أسرة ابن زهر » حديثا يثلج له صدر كل مسلم اذ جلى فيه ناحية من النواحى التى يجهلها الكثيرون عن حضارة الاسلام .

غير اننى لا ادرى لماذا أغفل

السيد الدكتور ابو شوك الحديث عن طبيبتين من تلك الاسرة قد نوه بهما ابن أبى أصبعة فى كتابه الذى أشار اليه سيادته .

وخشية أن يمر هذا الموضوع دون استدراك خاصة وقد اهتمت المجلة بمشروع « رابطة تاريخ الطب العربى » ، لذلك بادرت بالكتابة اليكم فى هذا الصدد ، استكمالا للبحث فأقول :

كان للحفيد ابى بكر بن زهر اخت وابنتها وكانتا عالمتين بصناعة الطب والعلاج وامتازتا بخبرتهما فى علاج أمراض النساء ولذلك كان المنصور لا يقبل معالجا لنسائه الا اخت ابى بكر فلما توفيت الاخت عهد بالعلاج الى ابنتها .

وقد ماتت ابنة الاخت هذه مع خالها اثر تناول سم فى بيض دسه لهما ابن يوجان وزير المنصور .

وتشاء عدالة الله تعالى أن يموت ابن يوجان هذا مقتولا .

وغير بنات زهر سجل لنا التاريخ نساء مسلمات اشتغلن بالطبابة منذ فجر الاسلام نذكر منهن :

١ — السيدة عائشة زوج النبى وابنة الصديق :

ذكر ابن الجوزى فى (صفوة الصفوة) عن هشام بن عروة قال :

« كان عروة يقول لعائشة رضى الله عنها : يا أماه ، لا أعجب من فقهك ، أقول زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنة ابى بكر ، ولا أعجب من علمك بالشعر وايام الناس اقول ابنة ابى بكر وكان من أعلم الناس ولكنى أعجب من علمك بالطب؟ فضربت على منكبه وقالت : « أى عروة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتنعت له الانعات فكنت أعالجها من ثم » .

وفى تاريخ الاسلام الذهبى ، قال عروة بن الزبير :

« ما رأيت أعلم بالطب من عائشة، فقلت : يا خالة من أين تعلمت الطب ؟ قالت : كنت أسمع الناس ينعت بعضهم البعض فأحفظه » (١) .

٢ — أم عطية الانصارية :

وهى من النساء المسلمات اللائى روى عنها بعض الاحاديث محمد بن سيرين واخته حفصه وغيرهما ، هذه السيدة الجليلة غزت مع النبى صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ، كانت تطهو فيها للمجاهدين طعامهم فى رحالهم وتداوى جرحاهم وتقوم على المرضى منهم .

٣ — رفيدة الاسلمية :

كان أبوها انصاريا من بنى أسلم أسمه سعد وكانت من فضليات عصرها اشتهرت بالتمريض وعلاج الجرحى ولذلك اختارها النبى لتقوم بالعمل فى خيمة متنقلة واقامت بمسجده خيمة تداوى فيها المرضى وتسعف الجرحى وفى واقعة الخندق أصيب سعد بن معاذ بسهم فقال النبى : « اجعلوه فى خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب » .

وقد تناولها بعض الشـعراء فى قصائدهم ومنهم الشاعر احمد محرم فى ملحمته الاسلامية الذى قـال يناجيها وهو يصف مشهدا من مشاهد قتال المسلمين ، يـوم الاحزاب ، ومطلع هذا الجزء :

رفيدة علمى النـاس الحنانا
وزيدى قومك العـالمين شانا
خذى الجـرحى اليك فاكرميهم
وطـوفى حـولهم آنا فآنـا

ويفهم من ذلك أمور ثلاثة :

أولا : ان النبى صلى الله عليه وسلم اول من أمر بالمستشفى الحربى المتنقل .

ثانيا : عناية الاسلام باسـعاف وعلاج رجال الحرب قبل ان يعـرف ذلك ابناء اوروبا .

ثالثا : ان رفيدة هذه سبقت فى ظهورها « فلورنس نيتنجيل » (٢) التى يعتبرها الانجليز وغيرهم رائدة فن التمريض الحربى ، بنحو ١٢ قرنا

٤ ـ الشفاء بنت عبد الله :

صحابية جليلة اسلمت قبل الهجرة اشتغلت بالطب ومما اشتهرت بـه معالجتها النملة (الاكزيما) .

٥ ـ زينب طبيبة بنى أود :

واشتهر فى عصر الامويين مـن النساء اللاتى اشـتغلن بالطبابة ، زينب طبيبة بنى أود ، وكانت ماهرة فى صناعة الكحالة (أى طب العيون) . ذكرها أبو الفـرج الاصفهانى فى كتابه « الاغانى » فقال :

« قال رجل من الاعراب : أتيت امرأة من بنى أود لتكحلنى من رمـد أصابنى فكحلتنى ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء فى عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت قول الشاعر :

امخترمى ريب البنون ولم أزر
طبيبة بنى أود على النأى زينبا

« فضحكت وقالت : أتدرى فيمن قيل هذا الشعر ؟ قلت : لا ، قالت فى والله قيل وانا زينب التى عناها الشاعر ، أنا طبيبة بنى أود : أفتدرى من الشاعر ؟ قلت لا ، قالت : هـو عمك ابو سماك الازدى » .

٦ ـ بنت أبى الصائغ المصرى :

وهى ابنة أحمد بن سراج الدين المعروف بابن الصائغ المصرى الذى كان رئيسا للاطبـاء بدار الشفاء المنصورى بالقاهرة (قلاوون) وشيخا لاطباء مصر ، فلما توفى عام ١٠٣٦ هـ لم يعقب الا بنتا واحدة تولت مكانه مشيخة الطب (٣) .

٧ ـ أم الحسن بنت القـاضى أبى جعفر الطنجالى :

وهى من أهل لوشة (الأندلس) ، كانت تجيد القرآن ونواحى اخرى منها نظم الشعر ، قال عنها لسان الدين ابن الخطيب فى كتابه الاكليل الزاهر ما نصه :

« ثالثة حمدة وولادة ، وفاضـلة الادب والمجادة ، تقلدت المحاسـن من قبل ولادة واولدت ابكار الافكـار قبل سن الولادة ، نشأت فى حجـر أبيها ، لا يدخـر عنها تدريجـا ولا

سهما ، حتى نهض اداركها وظهر فى المعرفة حراكها ودرسها الطب ففهمت اغراضـــــه وعلمت اســـبابه واعراضه » (٤) .

وهناك غير من تقدمن كثيرات أقل شأنا وشهرة منهن :

١ — خرقاء العامرية :

وكانت احدى نساء بنى عامر بن ربيعـــة .

كانت تحل فلجا (٥) ويمر بهــــا الحاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم. كانت كحالة فداوت عينى ذى الرمة الشاعر المعروف من رمد كان بهما فـــزال فقال لها ما تحبين فقـــالت عشرة أبيات تشبب بى ليرغب الناس فى اذا سمعوا أن فى بقية للتشبيب ففعل ، وكانت تقول أنا منسك من مناسك الحج لقول ذى الرمة فيها :

تمام الحج أن تقف المطـــايا
على خرقـــاء واضـــعة اللثام

٢ — حبــــة :

وقد ذكر لسان العرب فى مادة (نظر) انها امرأة علقها جنى فكانت تطبب بمـــا يعلمها وفى ذلك قيل :

ولو أن منظورا وحبة اســلما
لنزع القذى لم يبرئا لى قذاكما

والى جانب هؤلاء وغيرهن يمكننا أن نسجل بفخر ان عددا كبيرا من النساء المسلمات قمن بانشــــــاء بيمارستانات أوردها الدكتـــور أحمد عيسى بك فى كتـــــابه « تاريـــــخ البيمارستانات فى الاسلام » ومـــن أشهرها بيمارستان الســــيدة الذى انشأته ببغداد السيدة شغب جارية المعتضد وام المقتدر بالله عام ٣٠٦هـ وكانت تنفق عليه كل شهر ستمائـــة دينار . وبيمارستان قيسارية التـــى توجد جنوبى شرقى انقره المسمى دار الشفاء الذى انشأته عام ٦٠٢ هـ السيدة كوهى خاتون ابنـــة قليج ارسلان السلجوقى الذى كان يحكم بلاد الروم (الاناضول وتركيا الحالية).

رحمهن الله جميعا وأثابهن على حسن صنيعهن .

---

(١) تاريخ البيمارستانات فى الاسلام للدكتور أحمد عيسى بك صفحة ٥ ، ٦ .

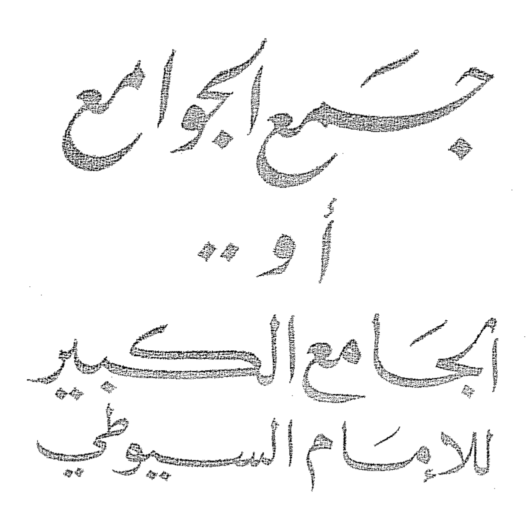
(٢) فلورنس هذه تشتهر باسم سيدة المصباح نشات فى اسرة كريمة ، وقـــد مالت الى التمريض ودرست نظمه فى انجلترا واوروبا ثم عينت رئيسة لمستوصف نسوى صـــغير حيث شرعت فى اعداد ممرضات مدربات . وفى سنة ١٨٥٤ هالها كثرة المرضى والجرحى والوفيات فى حرب القـــرم التى قامت بين روسيا وبين انجلترا ودول اخرى ، فلمـــا طلب اليها الانتقال الى القرم وافقت وهناك قامت بجهود جبارة انخفضت فيها نســـبة الوفيات من ٤٢ ٪ الى ٢ ٪ وبعد انتهاء تلك الحرب ساهمت فى تنظيم التمريض فى انجلترا وغيرها كما دعت الى الاهتمام بجــــرحى الحرب وكان من ثمار دعوتها انشاء هيئـــة الصليب الاحمر .

(٣) خلاصة الاثر فى اعيان القرن الحادى عشر للمحبى الجزء الاول صفحة ٢٠٤ .

(٤) الاحاطة فى اخبار غرناطة لابن الخطيب تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان صفحـــة ٤٣٨ المجلد الاول .

(٥) الفلج : النهر الصغير او القناة والفلوجة هى الارض المصلحة للزرع .





للاستاذ حسين عيسى عبد الظاهر

- **العصر : عصر تدوين موسوعى فى كل فنون العلم والمعرفة**
- **المؤلف : معلمة اسلامية واسعة الاطلاع غزيرة الانتاج**
- **الكتاب : أكبر موسوعة أبجدية فى السنة النبوية**

من المعلوم أن سنة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما نقل الينا بطريق التواتر المقطوع بصحة نسبته اليه وهو القليل ، ومنها ما نقل بغير هذه الطريق المقطوع بها ، بل بطرق مرجحة ومرجوحة .

ولقد تفاوتت الكتب التى تصدت لجمع هذه السنة من حيث الكم والكيف فمنها ما هو مقل فى الجمع ومنها ما هو مكثر . وكلاهما فى اقلاله واكثاره بنى على معايير محددة ارتضاها لاختياره ورده ، ولم يدع أى منهما أن ما جمعه هو كل ما صح عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وما عداه غير صحيح ، كما لم يدع واحد أنه استقصى كل سنته ، والا كانت دعوى يحيلها العقل اذ أن ما فعله وما قاله وما أقره فى حياته بعد البعثة خلال ثلاث وعشرين سنة تفوق أضعاف المرات أى كتاب جامع للصحيح أو لغيره . بل انه قد استدرك على أئمة السنة كثير مما فاتهم وعلى معاييرهم التى أرتضوها فى تدوينهم للسنة .

والناظر فى كتب السنة بعامة يرى أنها يتكامل بعضها ببعض فى الجمع الا أنها فرادى لا تعطى الا القليل .

من هنا كان لزاما بل ودينا فى عنق الأمة الاسلامية القيام بعمل موسوعة تضم — ما أمكن — كل ما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وثبتت نسبته اليه ، وبرغم ما قام به السلف الصالح من محاولات لهذا الجمع فلا زالت الحاجة ملحة لعمل هذه

الموسوعة ، وكتاب (جمع الجوامع) الامام السيوطي خطوة رائدة لهذا المشروع بل ونواة طيبة يمكن البناء عليها مع جهد فى التهذيب والتكميل ومحاولة استقصاء فى الجمع ، بل هو يمثل اكتمال مرحلة من مراحل تدوين السنة يمكن أن تسمى مرحلة الموسوعات فقد سبق بمحاولات فذة ومخلصة اقتفى أثرها وحاول أن يضيف اليها جديدا وقد كان له من عصره ونشأته ركائز قوية أرتكز عليها فى عمله هذا .

عصر السيوطي :

ولد السيوطي ونشأ فى عصر كانت شمس الحضارة الاسلامية فيه تؤذن بكسوف فى شرق العالم الاسلامى على يد المغول ، وفى مغربه على يد الاسبان . وكان شر ما ابتليت به هذه الحضارة من شقى هذه الرحى فى شرق وغرب احراق المكتبات الاسلامية وما تحويه من تراث لا يقدر بثمن ، ففى بخارى ونيسابور وغيرهما من بلاد المشرق كان البلاء على يد (جنكيز خان) الذى أحرق المدن وفى الأندلس فى المغرب كانت سلسلة من المآسى ختمت بشر خاتمة فى آخر القرن التاسع على يد الكردينال (زيمتسى) الذى أحرق مكتبة غرناطة وكانت تضم بينجنباتها ما يقارب ثمانين ألف مجلد فى عصر لم تعرف فيه الطباعة وكتبت بالجهد البشرى .

فى هذا العصر كانت الحضارة الاسلامية انتهت الى أوج استقر فيه الفكر الاسلامى على لون من التأليف والتدوين استوعب — تقريبا — كل فنون العلم والمعارف وتفريعاتها .

ثم هب عليه هذا الاعصار من شرق وغرب ليأتى عليه بالحرق والابادة فى صورة همجية جاهلة حقود .

وكانت يقظة العلماء فى مواجهة هذه التيارات العاصفة يستنقذون منها تراث الأمة ويعيدون تجميعه وتدوينه وتنسيقه فى صور شتى اتسمت بالجمع الموسوعى الضخم وذلك لأمور :

منها : ما وقع ويقع تحت سمعهم وبصرهم من زحف مبيد على هذا التراث ومحو معالمه وطى سجلاته مما كان داعية لاعادة التدوين والجمع الموسوعى المستوعب لجل الكتابات فى أى فرع من الفروع .

ومنها : أن حركة التدوين والتأليف كانت قد انتهت فى ذلك العصر الى لون استقرت فيه أصول العلوم وفروعها واتسم كل منها بحده ورسمه فلم يكن المجال — آنذاك فى معظم امره — مجال اجتهاد وابتكار بقدر ما كان مجال بسط وتخريج وتفريع وتجميع وبخاصة ما كان منها متصلا بعلوم الرواية . وفى ذروتها علم الحديث .

ومنها : أن هذا الاكتفاء أو التكامل كان داعية الى لون من اعادة النظر فى هذا التراث بالنقد والتمحيص والحذف والاضافة والانتخاب والاختيار فى التصنيف والتجميع .

ومنها : أن هذه الفنون من المعرفة وقد استوت على سوقها اتجه التأليف فيها الى شرح أصولها باسهاب بل واستطراد فى كثير منها كما نرى فى « فتح البارى » لابن حجر « وعمدة القارى » للعينى ، اتسمت حركة التأليف بهذه السمات فى كل فن تقريبا فأبرزت نوعا من التأليف الموسوعى الذى يحق للأمة أن تفخر به فى وقت لم يتسن لغيرها الا بديهيات المعرفة وأبجديتها ، وكان هذا عملا حفظ

للأمة تراثها بل وكان قدوة للعصور والأمم من بعد .

نرى من ذلك فى عالم اللغة موسوعات ومعاجم كان فى الريادة منها . (لسان العرب) لابن منظور (٧١١ هـ) و (القاموس المحيط) للفيروز أبادى (٨١٧ هـ) .

وفى التاريخ والأدب (نهاية الأرب) للنويرى (٧٣٢ هـ) ، و (المقدمة . والتاريخ) لابن خلدون (٨٠٨ هـ) و (صبح الأعشى) للقلقشندى (٨٢١ هـ) ..

وكذلك كان الشأن فى فن الحديث والذى بلغ أوج الجمع الموسوعى فيه بكتاب (جمع الجوامع) للسيوطى .

السيوطى ونشأته :

أما اسمه فهو : عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى .

ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب عام ٨٤٩ هـ بالقاهرة وبها نشأ وتربى يتيما فحفظ القرآن الكريم وهو دون ثمان سنين . ثم حفظ العمدة ومنهاج الفقه والأصول وألفية ابن مالك وأخذ الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ . وأجيز بتدريس العربية فى مستهل عام ٨٦٦ هـ وكانت سنه اذ ذاك ١٧ سنة يقول : وقد الفت فى هذه السنة فكان أول شىء ألفته (شرح الاستعاذة والبسملة) وأوقفت عليه شيخنا شيخ الاسلام علم الدين البلقينى فكتب عليه تقريظا — ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الامام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى فواظبته أربع سنين وكتب لى تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى (جمع الجوامع فى العربية) تأليفى وشهد لى غير مرة بالتقدم فى العلوم بلسانه وبنانه . ورجع الى قولى مجردا فى حديث .. وشرعت فى التصنيف فى سنة ٨٦٦ وبلغت مؤلفاتى الى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه ..

وسافرت بحمد الله تعالى الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور (غرب أفريقية) ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور منها : أن أصل فى الفقه الى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى . وفى الحديث الى رتبة الحافظ ابن حجر . وأفتيت فى مستهل سنة (٨٧١) وعقدت املاء الحديث من مستهل سنة (٨٧٢) ورزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع .

وقد كملت عندى الآن آلات الاجتهاد بحمد الله تعالى أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرا ..

وقد أزف الرحيل وبدا الشيب وذهب أطيب العمر . ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية ومداركها ونقوضها وأجوبتها والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله لا بحولى ولا بقوتى .

وأما مشايخى فى الرواية سماعا واجازة فكثيرون أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه وعدتهم نحو مائة وخمسين . ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهم وهو قراءة الدراية . وهذه أسماء مصنفاتى لتستفاد .. »

ثم أخذ رحمه الله يصنف كتبه فنونا ذاكرا مع كل فن ما معه من

كتب بادئا بالتفسير والقراءات مثنيا بفن الحديث وما يتصل به وأحصى فيه وحده تسعين كتابا منها :

أسعاف المبطأ برجال الموطـأ ، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج اللآلىء المصنوعة ، تدريب الراوى ، الأزهار المتناثرة ، الجامع الصغير . ثم الجامع الكبير .

وكان ــ رضى الله عنـــه ــ قد اعتزل الناس فى أواخر أيامه وترك الافتاء والتدريس وسكن فى جزيرة الروضة متجردا للعبادة والاشتغـــال بالتأليف . وألف فى ذلـــك كتابه (التنفيس فى الاعتذار عـــن الافتاء والتدريس) وبقى على ذلك فـــى الروضة لم يتحول عنها الى أن مات . وكانت وفاته سنـــة ٩١١ هـ ودفن بالقاهرة فى مشهد عظيم فى المكان المعروف ببوابة السيدة /عائشة فى حى السيدة عائشة فى طريق الذاهب الى مسجد الامام الشافعى . بعـــد حياة حافلة بالعلم والتدريس والفتيا والعفة والصلاح والتقوى لا يمد يده لسلطان ولا يقف على بابه حتى سعى اليه الأمراء والوزراء يقول الشبلى فى (السنى الباهر) : (ولما مات لم يتعرض أحد فى تركته مع أن الزمن كان زمن جور ، وقـــال الغورى (السلطان الغورى) : لم يقبل الشيخ منـــا شيئـــا فى حياتـــه نتعـــرض لتركته) .

كتابه : جمع الجوامع أو الجامع الكبير :

كان جمع السنة من أفواه الرواة وتدوينها والنظر فى رجـــال الأسانيد ودراستهم وبيان علـــل الحديث من صحيحه كاد ذلك كله ينتهى بانتهـــاء القرن الرابع الهجرى ، وسلـــك المؤلفون بعد ذلك فيها مسلك التهذيب والترتيب والاختصـــار والبسط ثم الجمع فى موسوعات تضم الكثير من الكتب . وبدأ ذلك بالجمـــع بين (الصحيحين) قام به كثير منهـــم الجوزقى ، وابن الفرات ، والحميدى ــ الخ ــ ثم الجمع بين الكتب الستة وممن قام به الاشبيلى ، وقطب الدين المكى ، والسرقسطى فى كتابـــه (تجريد الصحاح) الذى هذبه ورتب أبوابه وأضاف اليه ما أسقطه مـــن الأصول ابن الاثير الجزرى ٦٠٦ هـ ثم اختصر هذا الجامع المـــروزى ثم الحموى ثم الزبيدى ثم جاءت مرحلـــة كان يؤلف فيها جوامع عامة شاملة .

منها : (جامع المسانيد والألقاب) لأبى الفرج الجوزى جمع فيـــه بين الصحيحين ومسند أحمـــد وجامـــع الترمذى ومنها : (مجمع الزوائـــد ومنبع الفوائد) للهيثمى جمع فيـــه زوائد مسانيد أحمد وأبى يعلى والبزار ومعاجم الطبرانى الثلاثة . ومنها : (المطالب العالية بزوائد المسانيـــد الثمانية) لابن حجر ثم منها : (جمع الجوامع) فى الحديث للسيوطى .

تعريف بالكتاب : هـــذا الكتاب (جمع الجوامع) يعد من أضخم كتب السنة باطلاق جمع فيه مؤلفـــه بين الكتب الستة وغيرها فـــى محاولـــة جادة ومثابرة لجمع السنة بأسرهـــا التى يصل اليها جهده . يقول فـــى مقدمته : (قصدت فيه الى استيعاب الأحاديث النبوية وأرصدتـــه مفتاحا لأبواب المسانيد العلية) .

والكتاب مخطوط فى عـــدة نسخ مختلفة فى خطها وحجمها والـــزمن الذى نسخت فيه وموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة .

منها نسخة (بدار الكتب) بالقاهرة برقم ٩٥ حديث (قوله) .

ومنها نسخة بدار الكتب بالقاهرة برقم ١٦٩٥٦ نسخ أحمد بن أحمد ابن محمد بن أحمد بن ابراهيم المعروف بابن العجمى وعليه تعليقات كتبها أحمد مرتضى .

ومنها نسخة برقم ٤٧٣ كتبخانه الخديوية المصرية .

ومنها نسخة بالمكتبة الأحمدية بالجامع الأعظم من نسخ يوسف الشرقاوى ١٤١١ .

ومنها نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق حديث ١٩٥ تاريخ النسخ ٩٤٩ بخط عبد الخالق عبد الرحمن ابن عباس مدون على ورقتها الاولى : (هذا ما وقفه الوزير المكرم والمشير المفخم الحاج أسعد باشا محافظ الشام على مدرسة والده المرحوم الحاج اسماعيل باشا) .

وكل هذه النسخ مكتوبة بخط نسخ دقيق بعضها يقرأ بسهولة وبعضها يحتاج الى جهد وعناية وتوجد مصورات لهذه النسخ كلها برواق لجنة السنة بمجمع البحوث الاسلامية وكذا نسخة مخطوطة للقسم الثانى من الكتاب من محفوظات مكتبة المعهد الدينى بدمياط .

منهج الكتاب :

التزم الامام السيوطى فى جمعه لهذا الكتاب عدة أمور بعضها لم يسبق اليه ، الامر الاول : أنه اقتفى أسلوب الجمع لسابقيه من الكتب وزاد عليه أنه لم يقصر جمعه هذا على كتب محددة بل جنى فى كتابه هذا ثمار ما يزيد على ستين مؤلفا ذكرها فى مواطنها عند المنقول منها بين صحاح ومسانيد ومراسيل وبعضها يكاد يكون انتهى تماما من المكتبة الاسلامية ولا أثر له الا فى كتابه هذا . وبعضها لا يزال فى أضابير المخطوطات الخاصة والعامة يعمل فيه الزمن عمله .. فهو بهذا وبجانب أنه عمل موسوعى قد حفظ على الأمة فى كتابه هذا تراثا لولاه لضاع وضاعت به فوائد جمة فى عصر تحاول فيه الامم أن تحفظ كل كلمة كتبت وتكتب فى حضارتها فى مجالات الأديان والشرائع والعلوم بل وأقامت لذلك المؤسسات الضخمة لحفظ مثل هذا التراث .

الأمر الثانى : قسم كتابه الى قسمين كبيرين وأولهما أكبر من ثانيهما :

القسم الأول : أسماه (السنن القولية) يسوق فيه متن الحديث مباشرة ثم يتبعه بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة مع بيان من رواه من الصحابة واحدا الى عشرة أو أكثر . وبهذا يعرف الباحث اسم الصحابى الراوى واسم الكتاب المنقول منه واسم مؤلفه ان شاء رجع اليه للبيان والاستيعاب .

القسم الثانى : السنن الفعلية أو المشتملة على قول وفعل أو سبب أو مراجعة أو نحو ذلك .

الأمر الثالث : التزم فى ترتيب القسم الأول ترتيبا لغويا على حروف المعجم مراعيا أول الكلمة فما بعده . وبدأه بالحديث الشريف (آتى باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد . فيقول : بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) حم ، وعبد بن حميد ، م ، عن أنس ، والتزم فى ترتيب القسم الثانى ترتيبه على مسانيد الصحابة رضى الله عنهم بادئا بمسانيد العشرة المبشرين ثم بالباقى على حروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات

ثم بالنساء ثم بالمراسيل .

الأمر الرابع : أنه فى جمعه لهذا الكتاب ناقل عن أئمة هـذا الفن وعما دونوه ويعزو كل نقل الى مصدره ولو تعددت المصادر مختارا لفظ واحد منهم ومشيرا اليه واليهم برمز مصطلح عليه مثل خ للبخارى ، م لمسلم وهكذا ..

الأمر الخامس : لبيان معرفة درجة الحديث فانه سلك طريقة يعرف منها صحة الحديث أو حسنه أو ضعفه وذلك بتصنيف المؤلفين الى درجات بحيث تعرف درجة الحديث بالعزو الى واحد منهم فيقول : (ورمزت للبخارى خ ، ولمسلم م ، ولابن حبان حب ، وللحاكم فى المستدرك ك ، وللضياء المقدسى فى المختارة ض ، وجميع ما فى هذه الخمسة صحيح فالعزو اليها معلم بالصحة سوى ما فى المستدرك من المتعقب ..) وهكذا ثم يعدد بعد ذلك كتبا أخرى كسنن أبى داود وجامع الترمذى وغيرهما ويقول : (وهذه فيها الصحيح والحسن ، والضعيف فأبينه غالبا) ثم يذكر ثالثا : (وللعقيلى فى الضعفاء عق ، ولابن عدى فى الكامل عد ،وللخطيب خط ، فان كان فى تاريخه أطلقت وإلابينته ، ولابن عساكر فى تاريخه كر ، . وكل ما عزى لهؤلاء الاربعة أو للحكيم الترمذى فى نوادر الأصول أو الحاكم فى تاريخه أو لابن النجار فى تاريخه أوللديلمى فى مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو اليها أو الى بعضها عن بيان ضعفه) ولم يترك — رحمه الله — القارىء أمام هذا التعميم بل كان دقيقا فى عبارته وتعقبه فيقول مثلا بالنسبة لأبى داود : فماسكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلته عنه ..

ويقول عن الترمذى : وأنقل كلامه على الحديث ، ويقول عن الكتب التى فيها الصحيح والحسن والضعيف : « والضعيف فأبينه غالبا) :

وسار على هذا المنهج فجمع ما يقارب مائة ألف حديث وسنة ثم وافاه أجله قبل اتمامه .

هذا الكتاب الجامع أختار منه مؤلفه عدة آلاف من الأحاديث رتبها أبجديا وأسماها (الجامع الصغير) عدته أربعة وثلاثون وتسعمائة وعشرة آلاف حديث ، ثم جاء علامة الهند الشيخ علاء الدين على بن حسام الدين الهندى الشهير بالمتقى المتوفى ٩٧٥ هـ فجمع كلا الجامعين الكبير والصغير مع اضافات وترتيب وتبويب وأسماه (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) وهو فى صورته تلك يعتبر كتابا ذا منهج مستقل عن منهج السيوطى ، ثم طبع المنتخب منه مع مسند الامام أحمد بعد حذف المكرر الذى يقارب ثلث الكتاب .

أما كتاب (جمع الجوامع) للسيوطى فحتى عام ١٣٩٠ هـ — ١٩٧٠ م كان فى عداد المخطوطات الموزعة فى مكتبات العالم الاسلامى عامة وخاصة حتى هيأ الله له بعض الصالحين من عباده ليقفوا وراءه بعزم المؤمنين لاخراجه للأمة الاسلامية .

ويقوم مجمع البحوث الاسلامية الآن باخراجه مطبوعا الطبعة الأولى على أجزاء محققا ضمن مطبوعاته (من موسوعة السنة) وخرج منه حتى ربيع الاول ١٣٩٢ هـ تسعة أجزاء تضم ستا وثمانين وخمسمائة وثلاثة آلاف حديث تتلوها بقية الأجزاء

بعون الله تعالى وتوفيقه .

وتقدم هذه الطبعة لأول مرة من واقع المخطوطات التى سبقت الاشارة اليها . ولا تكاد تكون نسخة منها كاملة بل هى كلها فى مجموعها متكاملة وقد نهجت اللجنة القائمة بتحقيقه منهجا علميا بينته فى مقدمة الجزء الأول اذ راجعت وقابلت بين صور هذه المخطوطات ثم نسخت صورة كاملة من مجموع هذه النسخ مستعينة بالرجوع الى اصول الكتب المنقول عنها — ما أمكن — وقد التزمت فى التحقيق بأصل من هذه المخطوطات جعلته عمدة فى النسخ والطبع ونبهت على الخلاف الذى يكون بينه وبين بقية النسخ مع الاشارة — ما أمكن — الى تمام النص فى مصدره الذى نقل عنه السيوطى أو الاحالة عليه وبيان قول العلماء فى درجته وبخاصة ما كان متكلما فيه بالتوهين أو الوضع وهو جهد نسأل الله تعالى أن يكون مقبولا عنده ..

ملاحظات وتعقيبات :

لم يسلم هذا الكتاب — كأى عمل علمى بل كأى جهد بشرى — من بعض ملاحظات هى اذا ذكرت انما لتداركها وسد ثغراتها والمؤمن مرآة لأخيه يسد عيبته . لا انتقاصا من جهد سلف صالح ينوء بمثله العصبة من الرجال .

من ذلك ما ذكره صاحب (كنز العمال) من أنه : (لا يمكن كشف الحديث الا اذا حفظ رأس الحديث ان كان قوليا ، واسم راويه ان كان فعليا ، ومن لا يكون كذلك يعسر عليه ذلك) وذلك نظرا لترتيبه أبجديا فى قسمه الاول . وعلى المسانيد فى قسمه الثانى ، ومن ذلك : أن بعض الاحاديث ترد فى غير ترتيبها الابجدى وذلك راجع اما الى خطأ من النساخ عن الاصل ، واما أن المؤلف كان يستدرك ما يفوته فيضعه كيفما اتفق على أن يعود اليه بالترتيب . وقد وافاه الاجل قبل ان يحقق ذلك .

ومن ذلك أن المؤلف حين التزم الترتيب الابجدى ليبسر على القارىء العثور على طلبته من الحديث فقد فاته بذلك الوحده الموضوعيه بين الحديث وسابقه ولاحقه فقد يكون السابق فى العبادات والتالى فى الجنايات واللاحق فى مكارم الاخلاق وهكذا .

.. .. ..

وهذه الملاحظات يمكن تداركهاحين يستكمل الكتاب بفهارس كامله ابجديه وموضوعيه واعلام تكوندليلا يوضح للقارىء معالم هذه الموسوعه الفريده .

ومن ذلك : ان يكون للحديث عده روايات مختلفة المطلع فيختار المؤلف واحدة منها محيلا القارىء على مصادر بقية الطرق واحيانا يبينراوى اللفظ المختار .

وقد عالجت اللجنة — ما أمكن — مثل هذا الوضع بالهوامش بالتنبيه على صاحب الرواية المذكورة بقولها: اللفظ لفلان — وتورد احيانا الرواية بطولها لبيان الحال ومايفيده من أحكام .

.. .. ..

يبقى بعد هذا أمران اشتد النكير بهما على المؤلف من بعض السادة العلماء المعاصرين شدة بلغت حد الاغماض عن فائدة هذا السفر الجليل والتراث الرائد الى درجة المناداة باهماله وتناسيه .

الامر الاول : أن بالكتاب أحاديث موضوعة . وهذه لا يصح أن تخرج الى الناس ما دام قد حكم

بوضعها .

الامر الثانى : أن المؤلف أحيانا يختار طريق روايته للحديث أقل درجة بينما يكون للحديث طريق أخرى أقوى .

والخطب فى هذين الامرين أيسر من أن ينادى برفض هذا العمل الضخم بل باستدراك ما فيه وتصحيحه .

ذلك ان أمر (الوضع) فى السنة قد بينه علماء هذا الفن ودرسوه وحصروه ووضعوا القواعد الوافية لمعرفة الصحيح والزيف مما لم يعهد فى أمة من الامم وأفردوا له المصنفات مثل (اللآلىء المصنوعة) و (تنزيه الشريعة) و (موضوعات) ملا على القارى . مما أصبحت معه السنة المطهرة فى مأمن من كل دخيل عليها . يعرفه كل متذوق ودارس للسنة .

ثم إن الحكم بالوضع يختلف حسب المعايير التى أرتضاها الائمة ومنهم المتشدد المغالى ومنهم دون ذلك وقد يصح عند هذا مالا يصح عند ذاك . ومالا يتفق على الحكم بوضعه لا يصح أن يترك اذ هناك ضوابط للاخذ والترك .

ونحن فى كتابنا هذا أمام موسوعة ضخمة لم يدع مؤلفها أنه جردها للصحيح أو الحسن بل هو فيها بصدد عمل مستوعب يجمع فيه من كتب الصحاح وغيرها ويعزو كل نقل الى من نقل عنه ويبين درجته .. ولم تكن له مندوحة — بحكم أنه ناقل عن غيره نقلا أبجديا — أن يغفل فى كتابه هذا نقل ما تكلم فيه من أحاديث وذلك حتى يضع القارىء وجها لوجه أمام تراث السنة وما فيه .. وعمل الموسوعات من شأنه الاستقصاء والاستيعاب لا الاختيار والانتقاء .

على أن ايراد الضعيف او الموهن أو الموضوع فى هذه الموسوعة منبه عليه من المؤلف بالنص صراحة أو بحكم ما وضعه من قاعدة وتصنيف لمعرفة ذلك . وما يكون قد فاته فان لجنة تحقيقه تنبه عليه . فهو حين يقرأه القارىء انما يقرأه مقرونا بالحكم عليه بدرجته وما على القارىء حين يقرأ حديثا موهنا لم يكن يعرف توهينه الا انه سيفيد فائدة جديدة بمعرفته لدرجة مثل هذا الحديث الذى قد يكون درج على لسانه وتناوله بالقراءة أو الحفظ أو التداول فيعرف بذلك مثلا أنه موضوع فيأخذ الحيطة له وتكون أمانة العمل به أو تركه معصوبة برأسه اذ أن المؤلف قد أخلى عهدته ببيان الحال والدرجة والمصدر . ولم يكن ليقطع بالحكم بالوضع — وهو بصدد النقل الا فيما اتفق على الحكم بوضعه لا ما اختلف فى شأنه وهذا منهج علمى سليم .

صحيح أن ما اتفق على الحكم بوضعه كان المقتضى أن يستبعد عند النقل اذ لا يسع مسلما أن يقر كلاما أو فعلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تثبت صحة نسبته اليه ، والامام السيوطى على دين وتقوى نعيذه بهما أن يقر ذلك عن علم متثبت منه . ولو كان امتد به الاجل وأتيحت له فرصة للمراجعة لكان له شأن آخر فى مثل هذا — وهو على أى حال قليل لا يحجب رؤية جلال هذا العمل وضخامته وفائدته .. ولجنة تحقيقه بصدد عمل ملاحق له ومنها ملحق خاص بالموضوعات التى فيه لحصرها والتنبيه عليها وسبحان من له الكمال وحده .

الامر الثانى : أن المؤلف حين يختار الرواية الضعيفة تاركا الاقوى منها فلعله بذلك يريد ان يترك الاقوى لقوته ويقف بجانب الرواية الضعيفة

يوردها ويقويها بالشواهد التى هى أقوى منها حتى تستقيم على سوقها بالشاهد والمتابع والاقوى ولا يتركها للاندثار .

وبعد : فاذا كانت الامة الاسلامية فى حاجة ملحة الى موسوعة ضخمة تجمع كل ما أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم محققا ومرتبا فان هذا أمل يراود كل مسلم ودين فى عنق الامة واجب الوفاء وقد استشعر هذا مؤتمر علماء المسلمين المنعقد بمجمع البحوث الاسلامية فى رجب ١٣٨٦ هـ اكتوبر سنة ١٩٦٦ م فأوصى بوضع موسوعة مفهرسة للاحاديث النبوية الشريفة تتولى تحقيقها لجنة خاصة حتى يكون رجوع الناس الى المصدر الثانى فى الاسلام أمرا مأمونا وميسرا .

واذا كان مالا يدرك كله فلا يترك كله .

فان كتاب (جمع الجوامع) أقل ما يقال فيه انه نواة لهذه الموسوعة وخطوة رائدة فى الطريق اليها .. وان لم يكن له من ميزة الا انه اختصر كثيرا من خطوات مراحل الجمع لهذه الموسوعة وانه حفظ لنا كثيرا من كتب السنة التى فى حكم المندثر لكفاه .

فهو أساس صالح للبناء عليه وتدارك ما فيه . واخراجه وطبعه خطوة ميسرة لبناء موسوعة كاملة تتضافر عليها الجهود والاجيال والله الموفق لما فيه الرشد والصواب وصلى الله على سيدنا محمد صاحب السيرة العطرة والسنة المطهرة وعلى آله وصحبه وسلم . ورحم الله الامام السيوطى وجزاه عن جهوده فى خدمة السنة خير الجزاء ووفق كل عامل يسر لهذه الموسوعة طريقها الى المسلمين للافادة منها .

نتيجة الامتحان فى دار القرآن الكريم

أعلنت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية نتيجة امتحان الطلاب المنتسبين لدار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح فى الفترة الصباحية ٨٢٪ وفى الفترة المسائية ٧٩٪ فى امتحان الدور الأول .

وتقرر أن يكون امتحان الدور الثانى يوم السبت ٨ من شعبان ١٣٩٢ هـ الموافق ١٩٧٢/٩/١٦ وأن تبدأ الدراسة للعام الجديد ١٩٧٣/٧٢ يوم السبت ١٥ من شعبان ١٣٩٢ الموافق ١٩٧٢/٩/٢٣ م .


قصص لاتنسى ..

جريمة في المدينة!

للاستاذ محمد المجذوب

من حق الناس فى طيبة المباركة أن يدهشوا لهـذه الخيانة ويتحدثوا بها ، فهم لا يزالون يعيشون فى جو النبوة الذى أشرقت بـه نفوسهم ، وزكت به أرواحهم ، فارتفعوا على الشهوات والضرورات ، وبـات كل واحد منهم حارسا طبيعيا لمبادىء الاسلام يأمـر بالمعـروف وينهى عن المنكر ، ويؤمن ملء قلبه أن تلك هى وظيفته الاولى لضمـان استمرار الحياة السعيدة ، التى تركهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ولقد استمر على ذلك عهد الصديق ، الذى ثبت الله بـه كيان الدولـة المؤمنة ، ثم جاء عهد الفاروق امتدادا له وتوسعة لأمجـاده وخيراته ، حتى نعم الناس بما لم تحلم به الدنيا من العدالة والامن والتعاون على البر والتقوى ... وهم على تفاوت عقولهم ومفاهيمهم متفقون على الثقة بخليفتهم الملهم ، الذى جعل غاية مأمله أن يلحق بصاحبيه رسول الله وصديقه على الجادة نفسهـا التى سلكاها قبله .. ومن أجل ذلك جعل حياته جهادا متصـلا فى خدمـة المسلمين يفقههم فـى دينهم ويعنى بمصالحهم ، ويسهر لحمايتهم ، ويعلن فى كل مناسبة ، وفى كل موسم ، لوفود الحجيج والتجار ، وللمترددين على المدينة ، أنه وعماله ليسوا سوى أجراء مستعملين لرعاية شئون الامة كلها ، والطوائف التى تعيش معها فى ظل هذه الدولة الربانية ، مهما تباعدت أمصارهم ، وتباينت أفكارهم ..

ومن هنا كان استكبار الناس لهذه الحادثة ، التى ما كانوا ليتوقعوا مثلها فى بلد ما بـرح يتوهج فى أنـوار الوحى ، ويسعد بالعديد من تلاميذ النبوة السابقين الى الايمان ، على الرغم من توالى هجرتهم الى أنحـاء العالم ، الذى كلفوا إبلاغـه رسالة نبيهم ، وهدايـة شعوبه الشـقية المضللة الى سبيل ربهم ..

انها جريمة قتل لم يعرف مقترفها ، بالرغم من كل الجهود التى بذلـت لاظهاره .. وانهم ليتناقلون خبرها فى أسى عميق وحيرة بالغة ...

كان القتيل فتى يشارف الثامنـة عشرة ، صبيح الوجه أمرد لم ينبت الشعر فى عارضيه الا طلائع متفرقة، فهو أقرب الى منظر الانثى الناعمة منه الى منظر الرجل الخشن .. وقد ثبت أنه لقى حتفه بطعنة وجأت عنقه فاستنزفت دمه ، وأنـه حمل بعـد مقتله الى تلك البقعـة الواقعة فى طريق الناس ، فكأن القاتل قد خشى المفاجآت ، فلم يتسع لـه الـوقت للابتعاد به عن مجال العمران .

بيد أن هذه المعلومات لم تخفف من حيرة الفاروق ، ولم تكف مـن تساؤلات الناس ، الذين ذهبوا فى تقدير أسبابها وعواملها مذاهب شتى .. ولكنهم مع كل ذلك لا ييأسون من انكشاف الحقيقة على يدى خليفتهم ، الذى يشعرون أنه محفوف بتوفيق الله فمهما تعقدت الامـور ، وعميت الطرق ، فـلا قنوط من الفرج ، ولا مندوحة عن معرفة القاتل ولو بعـد حين !...

وأطرق أمير المؤمنين يفكر فى هذه المعضلة ، وراح يتتبع بتصوراته حال هذا القتيل ... من هو ؟ ... وكيف تم القضاء عليه ؟.. وأين حدث ذلك ؟ ... ومن الـذى حمله الى تلـك البقعة ؟!.. ولم يسـتطع أن يأمن من قلقه وحيرته الا باللجـوء الى الدعاء ، فرفع يديه ، وهو فى مصلاه من بيته ، يضرع الى ربه فى حرارة « اللهم .. اظفرنى بالقاتل !...)

. .... .

ومرت الايام ، وتلاحقت الاشهر ، وقل حـديث الناس عن الجريمة ، حتى كادوا ينسونها .. لولا هـذه المفاجأة التى ووجهوا بها منذ فجر اليوم ... ويالها مفاجـأة أن يعثر الناس على وليد ابن يومه ، فـى البقعـة نفسها التى عثروا بها على القتيل قبل تسعة أشهر !...

وحمل الصغير اللقيط الى أمير المؤمنين ... وكانت لحظة قاسـية جددت قلق الناس ، وألهبت ما هدأ مـن مشاعرهم التـى أوشكت أن تنطفىء ... فليس باليسير أن تقـع الفاحشة فى الحرم المطهر ، وان يلقى بثمرتها عـلى أعين الناس دون أن يعثروا على الفاعل ، الذى جرؤ على الاستهانة بحدود الله ، ثم لم يكتف بذلـك حتى راح يتحـدى الدولـة الحارسة لشريعته باعـلان جريمته على هذا النحو الشرس !...

وفى المسجد النبوى ضـم أمير المؤمنين الوليد البرىء الى صـدره وهو يتأمله فى حنان أبوى لا يوصف .. ولكنه بدلامن أن يتغضن جبينه من الغضب المهيب ، تلألأت على وجهه — ذى البيـاض النقـى المشرب بالحمرة — ابتسامة غامضة .. وتمتم فى صوت لا يكاد يسمع (ظفرت بدم القتيل ان شاء الله ...) (١) ..

وتململ الوليد على ذراع الخليفة ، وانطلق يصرخ كأنه يطالب بحق .. فتنبه الخليفة الى ما كاد ينساه ، وهمس فى أذن احدهم (ايتنى بفلانة حالا ..) وما هو الا القليل حتى عاد بها تتبعه على الاثر ...

وبعد الفاروق يديه بالصغير الى المرضع وهو يقول (قومى بشأنه وخذى منا نفقته ..)

وكادت المرأة تغيب عن ناظره بحملها المظلوم ، حين استوقفها ، ثم مضى حتى انتهر اليها بعيدا عن الناس ، وهناك قال لها فى صوت منخفض (انظرى من يأخذه منك .. فاذا وجدت امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فاعلمينى بمكانها ..)

وتلقت المرضع كلمات الفاروق هذه بكثير من الرضى ، اذ شعرت انه انما يعبر لها عن ثقته بذكائها وحكمتها ... فلم تر جوابا له خيرا من قولها (سمعا وطاعة .. وأرجو أن يوفقنى الله الى ما يسر أمير المؤمنين ...)

وعادت المرأة برضيعها وقد قررت أن تعطيه من الرعاية كل ما تستطيع تقديرا لحسن رأى الخليفة ... ولم يغفل أمير المؤمنين أمر الصبى ولم يكن لينساه ، فكان لا يكتفى بتأمين نفقته وإكرام مربيته ، وزيادة أجرها كلما تقدم فى مدارج النمو ، بل كان يقصد اليه لتفقده بين الحين والحين، فيحمله ويداعبه ويطرفه بالهدايا المبهجة للطفولة .. ثم يعود الى عمله فى خدمة المسلمين وتفقد أوضاعهم وأسواقهم ، وهو يردد دعوته الاولى التى رفعها الى الله قبل سنتين (اللهم اظفرنى بالقاتل ..)

وبينا هو ذات صباح — يغادر مدخل المسجد النبوى فى أعقاب صلاة الفجر ، تلقى سمعه صوتا يناديه بما يشبه الهمس فيتجه صوبه ، فاذا المرأة التى ائتمنها على الصبى، وكأنه توقع أمرا هاما ، فأسرع اليها يسأل « هل من جديد ؟ .. » وبمثل ذلك الهمس تقول « نعم عندى الجديد الذى تنتظر يا أمير المؤمنين . »

وكأنما كان على موعد مع هذا الجديد ، فلم يبد عليه أى تأثر ، ولم يحدث فى لهجته أى تغير ، بل قال للمرأة (اذن فالى المسجد) .

وعاد أدراجه ، والمرأة خلفه ، وقد كاد المسجد يخلو من آخر المصلين عندما جلس على الحصباء يستمع اليها وهى تحدثه فى انفعال لا تستطيع كتمانه :

(كان ذلك مساء أمس .. حين جاءتنى جارية فلان ...)

ولم يتمالك الفاروق أن يقاطعها فى لهجة مشحونة بالتعجب ، وكأنه ينبهها الى وجوب التثبت مما تذكر « تقولين » جارية فلان ..

— وعادت المرأة فى تصميم الواثق « بلى .. جارية فلان الشيخ الانصارى نفسه ... »

— حسن .. فأتمى ما تريدين ..)

وتابعت المرأة « قالت الجارية »

وتابعت المرأة « قالت الجارية : « ان سيدتى فلانة .. أعنى ابنة الشيخ يا أمير المؤمنين .. »

ولم ير أمير المؤمنين حاجة لذلك التفصيل فقال « تلك فتاة مشهورة بالفضل . فلا ضرورة لتعريفها ... أتمى حديثك » .

— قالت لى ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى اليها بالصبى تراه وترده عليك ...)

ـــ حسن .. حسن .. ثم ماذا ؟!
ـــ رأيت أن أحقق رغبتها على أن أكون مع الصبى أراقب ما تصنع .. تماما كما أمرتنى يا أمير المؤمنين ..)
ـــ نعم ما فعلت . ثم ماذا ؟..)
ـــ لقد أخذت الصبى فقبلته وضمته اليهـــا ..)

ولم يجد الخليفـــة حاجة لمزيد من التفصيل فقال للمرأة « حسبك .. حسبك ، وانصرفى راشدة .)

. . . . .

ووقف عمر على الشيخ الانصارى وهو متكىء على باب داره ، فحياه ، وأخذ يسألـــه « ما فعلت ابنتـــك فلانة ؟!.. »

ورد الـــرجل فى لهجـــة راضية « جزاها الله خيرا يا أمير المؤمنين هى من أعرف الناس بحق أبيها ، مع حسن الصلات والقيام بالدين ..»
فقال عمر « قد أحببت أن أدخل اليها فأزيدها رغبة فى الخير وأحثها عليه .. »

ونهض الشيخ لفوره يؤذنها برغبة الخليفـــة ، الذى لحق بـــه علـــى الاثر .. وفى حجرة الفتاة اتخذ عمر مجلسه على جانب مـــن الفراش ، وأمر من هناك بالخروج ، حتـــى لم يبق ثمة سواهما هو والفتاة ...

وهنا كشف أمير المؤمنين طـــرف ردائه عن السيف الذى اشتمل عليه ، وأطبق قبضته على قائمه ، وهو يقول فى نبرات مركزة حاسمة « أصدقينى ... والا ضربت عنقك .. »

وأدركت الفتاة أنهـــا تلقاء انـــذار عمرى لا يعرف التردد .. فاستوت فى مجلسها ونظرت اليه من خلال نقابها بعينين تنطقان بالتصميم علـــى الرضى بكل شىء ... وجعلت تتكلم فى لهجة تصور عزيمتها القاطعة ...
ـــ على رســـلك .. فواللـــه لأصدقن .. »

وصمتت قليلا تجمع أفكارها ، ثم تابعت « انعجوزا كانت تتردد علينا حتى ألفناها دون أن نعرف منبتها .. وقد بلغت ثقتى بهـــا وحبى لهـــا أن اتخذتها مكان أمى التـــى توفيت ، فكانت تقابل ودى بمثله ، وتقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة .. حتى مضى لذلك حين .. ثم جاءتنى ذات يوم تقول « يا بنية .. لقد عرض لى سفر ، ولى ابنة فى موضع أتخـــوف عليها بـــه ان تضيع ، وقدأ حببت أن أضمها اليك حتى أرجع ...)

وعادت الفتاة هنا الى الصمت ، وأطرقت برأسها الى الارض كأنهـــا تريد أن تتخير الكلمات المجزئة .. ولم يشأ عمر أن يراجعها أو يستحثها على المتابعـــة ، بل جعـــل يدقق فـــى حركاتها ، ويتفطن الى نبراتها بوعيه العميق ، وقد مضت أصابعه فى فتل سبلتى شاربيه ، على دأبه حـــين يستغرقه الغضب والتفكير ، حـــتى رجعت الى مواصلة الحديث :

(وجاءت العجوز بابنتها الينا ، وتركتها لنا وديعة ريثما تعـــود ، وأكرمت البنت كما كنت أكرم والدتها وأكثر .. وقابلـــت هى إكرامـــى بالتقدير ، فكانت تخالطنى فى شئونى كلها ، وجعلت ترعانى باللطف نفسه الذى عهدته من أمها .. حتى كانت تلك الليلة المشئومة ...)

وعند هـــذه العبارة بدأت لهجتها تتغيز ، وخشن صوتها حتى أشـــبه السعال اليابس ، وتوقفت عن الكلام للحفاف الذى اعترى فمها .. وكأن

الخليفـــة قد خشى أن يعرض لها ما يؤثر على تصميمها فقال ويده علـــى قائم السيف « لا ينبغى لك أن تكتمى عنى شـــــيئا ، يجب أن أعلم كل شىء .. »

وأجابت الفتاة فى قوة « أبدا لن أكتم ... ان من حق أمير المؤمنين أن يحيط علما بكل ما جرى .. ان هذه الفتـــاة التى ألفتهـــا وأمنتهـــا وفسحت لها مكانا دائما من مخدعى ... قد انتهزت فرصة استغراقى فى نومى ذات ليلة ، فاذا هى تخالطنى ثم تعلونى .. ولم أســـترد يقظتى التامة الا بعد أن أصاب منى ذلـــك الغادر ــ الذى ظل يخدعنا بأنوثته المزورة حتى تلك اللحظة ــ كل ما أراد !...

ولم يستطع أمير المؤمنين الا أن يتعجل تتمة الاقـــرار فقـــال « ثم ماذا ؟... »

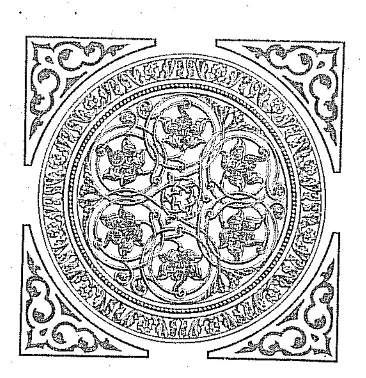
قالت الفتاة « لقد مددت يدى الى شفرة كنت أجعلها تحـــت فراشى فطعنته حتى استوثقت من نفوقه .. ثم أمرت به فألقى حيث رأيت .. »

وفجأة تتحول لهجتهـــا الى رقـــة محزنة فتقول « وقد شاء اللـــه أن اشتمل من ذلك الغادر على هـــذا الصبى ، فلما وضعته أمرت به فألقى موضع أبيه ..

ومسحت عينيها بنقابها ثم تابعت « ذلك والله خبرهما على ما أعلمتك بـــه ... »

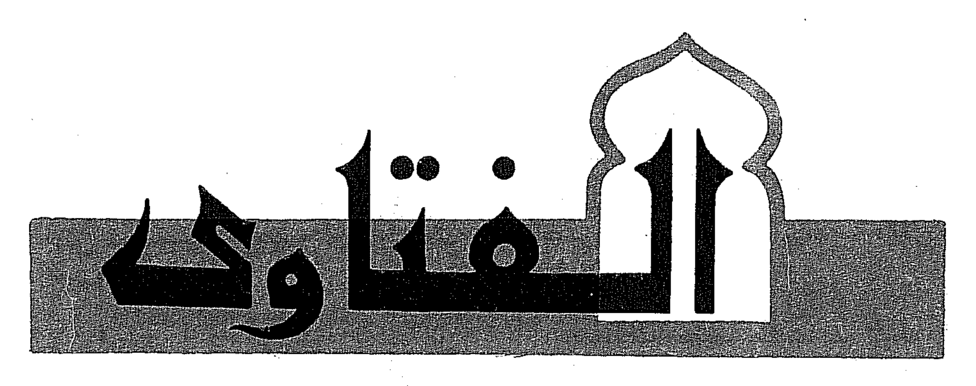
ولم يعد عمر فى حاجة الى مزيد من الكلام فنهض واقفا وهو يقـــول للفتاة « ولقد صدقت .. والله أسأل أن يزيدك من فضله ، فواصلى سبيلك فى طاعة الله وفى مرضاة والدك .. »

ثم غادر الحجرة ليلقى والدهـــا الشيخ ، وقد انتقع وجهه ، وغرق فى حيرة مبينة ، وأطرق برأسه ينظر فى ما بين يديه ، على صورة يمتزج فيها الخوف بالخجل !.. ولكن أمير المؤمنين لم يشأ أن يطيل قلقه ، فألقى عليه تحيته بلهجـــة ملأت قلبه غبطة وطمأنينة ، ثم غادر المنزل وهو يقول له « نعمت الابنـــة ابنتك أيهـــا الشيخ ... »



---

* اقتبست أصول هـــذه القصة من كتاب (الطرق الحكمية ...) للامام بن القيم .



تعلم النساء الكتابــة

السؤال :

قرأت حديثا منسوبا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونصه « لا تسكنوهن الغرف ؟ ولا تعلموهن الكتابة » فهل هذا الحديث صحيح ؟

الاجابة :

هذا الحديث الذى يشير اليه السائل لا تسكنوهن الغرف ولا تعلموهــن الكتابة رواه الحاكم فى المستدرك من طريق عبد الوهاب بن الضحــاك عــن عائشة ، وهو كاذب كما قال أبو حاتم ، متروك كما قال النسائى ، منكر الحديث كما قال الدار قطنى ، وقال الحافظ بن حجر فى الاطراف بعد ذكر تصحيح الحاكم له ــ بل عبد الوهاب متروك ، وقد تابعه محمد بن ابراهيم الشامى عن شعيب ابن اسحق ، وابراهيم رماه ابن حبان بالوضع ، وابن حبان هــو الذى روى حديثه هذا فى كتاب الضعفاء ، وقال الدار قطنى فيه ــ كذاب . وأخرج ابن حبان فى الضعفاء أيضا عن ابن عباس مرفوعا (لا تعلموا نساءكم الكتابة) وفى سنده جعفر بن نصر وهو متهم بالكذب كما قال الذهبى وهذه الروايات الواهية أو الموضوعة معارضة بروايات صحيحة فى مشروعية تعليم النساء الكتابة . منها حــــديث الشــفاء التى علمت حفصــــة أم المؤمنين الكتــابة وقال لهــــا النبى صلى الله عليه وسلم مرة مازحا (الا تعلمين هذه ، رقية النملة كما علمتها الكتابة) رواه أحمد وأبو داود بسند رجاله رجال الصحيح إلا ابراهيم بن مهدى البغدادى المصيصى وهو ثقة كما قال ابن القيم ، ورواه النسائى والحاكم وصححه وغيرهم وقد صرح كثير من العلماء بان حديث الشفاء يدل على جــواز تعــليم النساء الكتابة وفى الأدب المفرد للبخارى أن عائشة بنت طلحة كانت فى حجر عائشة أم المؤمنين تكاتب الرجال . كانوا يكتبون اليها من الامصار ويهدونهــــا

لمكانها من أم المؤمنين فتأمرهـــا أم المؤمنين بان تجيبهم على كتبهم وتثيبهم على هداياهم ، وعلى هذا جزى المسلمون فكان فيهم كثير من الكاتبات العالمـــات بالحديث والأدب والفنون وهن يدخلن فى عموم خطاب الشرع فى جميع أحكامه الا ما خصص ، ومن مقاصد الشرع اخراج الامة من الأمية وتعليمها الكتـــاب والحكمة كما هو منصوص فى كتاب الله تعالى ..

مجـــلس المعصيـــة

السؤال :

ما حكم الله تعالى ورسوله فى رجل يمضى وقتا كل يوم فى قهوة عمومية بها مسكرات ولعب ميسر ولعب بليارد وغير ذلك مع انه لا يتعاطى شيئا من ذلك كله ، وينكر ذلك بقلبه ، بل قصده تمضيـــة وقت فهل يجوز له الجلوس أم لا ؟

الاجابة :

قال الله تعالى : « **واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقـــون من حسابهم من شئ ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا » الآية** — وقال تعالى — **« وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات اللـــه يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » .**

هذا حكم الله فيمن يرى الباطل والمنكر أو يسمعه من غيره وهو أنه منهى عن القعود مـــع أهله لان أقل ما فى قعوده اقرار ما يرى ويسمع واحترام أهله والاستئناس به وهو نوع من المشاركة فيه ..

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان) رواه مسلم وغيره من حديث أبى مســعـــود البدرى رضى الله عنه وقال صلى الله عليه وسلم (إياكم والجلوس بالطرقات) قالوا — يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها . قال فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا — وما حقه ؟ قال (غض البصر وكف الأذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر) رواه البخارى

ومسلم ، والاحاديث فى هذا كثيرة ، وهى واضحة المعنى ، وقلما واظب أحد على مجالسة أهل المعاصى والأنس بهم الا وشاركهم فى معاصيهم ولو بعد حين ، وما يجده أولا من إنكار القلب وتوبيخ الضمير الذى هو أضعف الايمان يزول بالتدريج فليتق العاقل ربه ، ولا يغش مجالس المنكـرات ويجالس أهلها الا لضرورة وبقدر الضرورة ان وجدت وتقطيع الوقت ليس بضرورة ولا حاجة صحيحة بل الوقت أثمن ما يملك العاقل فعليه أن يصرفه فيما ينفعه فى دينه أو دنياه لا فيما يعد وسيلـة الى أضاعتهما جميعا .

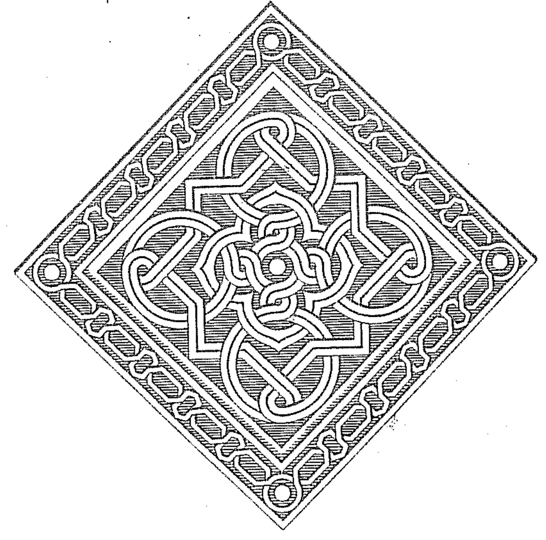
قراءة العامى للحـديث

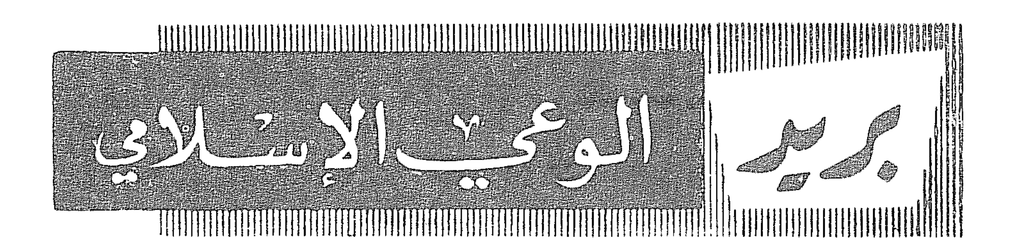
السؤال :

هل يجوز للعامى الذى لا يعرف نحوا ولا صرفا ان يقرأ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اللحن فيه أم لا ؟

الاجابة :

يجوز للعامى أن يطالع كتب السنة للاستفادة منها فان عـوام العـرب يفهمون كثيرا منها فهما صحيحا واذا أراد أن يحفظ حديثا ليرويه ويفيد الناس به فعليه أن يعتمد على بعـض أهـل العلم فى ضبط الفاظه وفهم معناه ودرجته فى الصحة وما يقابلها ..





تعقيب ..

جاء في المقال الذي كتبه الاستاذ أحمد حسن الباقوري في العدد ١٦٢ من هذه المجلة أن جارا للنبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى طعام فأبى الا أن تصحبه زوجه عائشة ، وأنه حضر وليمة عرس فقامت العروس بنفسها على خدمة الضيوف .

وربما حسب كثير من الناس أن الحديثين دليل على أن للنساء أن يختلطن مع الرجال على نحو ما يتم اليوم في السهرات البيتية والاندية الليلية .. وربما ظنوا أن الاستاذ الباقوري يقصد ذلك فاحتملوها منـــه فتوى باطلة بهذا الامر المشين الذي لم يرد به نص كتاب ولا هدى رسول .

ولا ريب أن الكاتب لا يريد ذلك وما ينبغى له ـــ وهو المؤمن بكتاب الله وهدى رسوله ـــ أن يقصد شيئا من ذلك .

ان ذهاب عائشة رضى الله عنها مع النبي عليه الصلاة والسلام الى تلك الدعوة لا يعنى أنها ظهرت سافرة متبرجة أمام الاجانب من الرجال ، وليس بين الأمرين أي تلازم أو اقتضاء . وقد روى مسلم وغيره عن أنس بن مالك أن أم سليم صنعت حيسا (نوع من الحلوى) وأرسلت به الى رســول الله عليه الصلاة والسلام بمناسبة زواجه من زينب بنت جحش ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ، وجلسوا يأكلون ويتحدثون ، ورسول الله جالس وزوجته مولية وجهها الى الحائط الى أن خرجوا .

فتلك هي صورة ما أراد أن يستشهد به الاستاذ الباقوري ، وهي صورة لا تمت بأى نسب كما نرى الى واقع كثير من الناس اليوم .

والعروس التي قامت تخدم الضيوف بنفسها في الحـــديث الآخر لم تكن مزينة بادية الجسم والمفاتن كما هو الشأن اليوم ، وانما كانت كما قال شارح البخاري : متسترة بعيدة عن كل أسباب الفتنة ومظاهر التبرج (فتح الباري : ٢٠٠/٩) واذا كان الشأن في كل من الحديثين كما قد اتضـــح لك فليس في عرضها أي تسويغ للتبرج أو الاختلاط المشين الذي يتم في بعض الأسر اليوم .

واغلب الظن أن الاستاذ الباقوري انما أراد أن يوضح اتساع الشريعة الاسلامية لتلاقى الرجل والمرأة في مثل هذه المناسبات ، اذا توفرت الصيانة والحجاب الاســــلامي الذي نص عليه القرآن في كل من ســـــورتي النور والاحزاب ، كما يتلاقيان على هذا النحو في المســــاجد والمؤسسات العامية ونحوها .

ولكن الواقع السيىء الذى يعيش فيه أكثر المسلمين اليوم ، كان يقتضى من الاستاذ الباقورى التركيز على القيد والشرط أكثر من أن يركز على أصل الفكرة والمبدأ .. المبدأ المجرد عن أى قيد .

د . محمد سعيد رمضان البوطى

.. .. ..

حول مقال :

((الخطر الذى يهدد المصحف .. كيف ندفعه .. ؟))

نشرت (الوعى الاسلامى) الزاهرة فى العدد ٨٦ للسنة الثامنة تحقيقا واسعا حول الاخطاء التى كثر وقوعها فى طبعات المصحف الشريف ، للاستاذ الفاضل محمد مهدى ، جزاه الله تعالى عن قرآنه الـــكريم خير الجزاء ، وقد وردت فى التحقيق العبارة التالية :

((ويطبع ــ المصحف ــ فى لبنان والعراق وتركيا وغيرها بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة التى تكتب كل ما ينطق باستثناء حالات معينة التزم فيها المصحف بالرسم العثمانى ، ويجد مسلمو هذه البلاد صعوبة كبيرة فى قراءة أى مصحف مطبوع بغير خطهم ص ٤١)) أقول إن هذه العبارة مجانبة للصواب وبعيدة عن الواقع خاصة فى ما يتعلق بالعراق من عدة وجوه .

١ ــ أن المصحف الشريف ما طبع فى العراق أبدا بالخط الاملائى الذى يخضع لقواعد الاملاء الحديثة وانما طبع بخط (النسخ) .

٢ ــ طبع المصحف الشريف عدة طبعات تزيد على عشرين طبعة ، وكلها بخط المرحوم الحافظ عثمان التركى الخطاط المتوفى سنة ١١١٠ هـ وكان المرحوم الاعظمى يأخذ احدى النسخ المطبوعة فى القاهرة أو دمشق ويسحب كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها بما فى الصــــفحة الواحدة من الاطار والزخرفة والسجدة ، والحزب والجزء ورقم الصفحة وآياتها وأرقام الآيات .

ابتغاء للدقة والامانة واعتمادا على النسخة المطبوعة فى القاهرة والموقعة من لجنة الفحص ومشيخة المقارىء المصرية ..

٣ ــ أخرج المرحوم الاعظمى طبعة للمصحف الشريف سنة ١٩٦٠ م وكان فى تلك الطبعة حرف واحد مطموس هو حرف (و) فى احدى الآيات الكريمة ــ لا أذكرها ــ وقد انطمس ذلك الحرف لكثرة الطبع حيث لم تحتمل الكليشيهات ذلك ، وقد نبه على ذلك الخطأ أحد عمال السكك الحديدية فى العراق ورفع مذكرة الى رابطة العلماء وقاضى بغداد وديوان الأوقاف .

٤ ــ المصحف الذى طبعته مكتبة المثنى سنة ١٩٦٢ م فى المــانيا ، كان بخط المرحوم مصطفى نظيف قدرغلى الخطاط التركى البارع .

والمصحف مطبوع فى القاهرة وفى تركيا ، ويعرف أيضا باسم (مصحف استانه) وطبع فى ألمانيا بنفس الطريقة وهى كليشيهات مستقلة لكل صفحة بكاملها .

٥ ــ المصحف الذى طبعته مديرية المساحة العامة فى العراق سنة ١٣٧٠ هـ بحجم كبير بخط المرحوم محمد أمين الرشدى التركى الخطاط كتبه سنة ١٢٣٦ هـ وطبع بسحب كليشيهات مستقلة لكل صفحة وقد أتم بعض حروفه المطموسة الاستاذ هاشم محمد الخطاط البغدادى ، وقد أشرف على طبعه بنفسه .

٦ ــ المصحف الذى طبعته رئاسة ديوان الاوقاف العراقية فى ألمانيا سنة ١٣٨٦ هـ هو نفس مصحف مديرية المساحة العامة ، وقد كتب له الاستاذ هاشم البغدادى عناوين السور ، وأرقام الآيات وزخرفة الفاتحة وأول البقرة .

٧ ــ كل هذه المصاحف طبعت بخط النسخ وعلى الرسم العثمانى ، ولم يطبع مصحف واحد بالخط الاملائى أبداً بل أكثر من ذلك أن الكتب المدرسية التى تتضمن نصوصا من القرآن الكريم طبعت تلك النصوص بالرسم العثمانى مغايرة بذلك حروف الكتاب المدرسى نفسه حتى يشعر الطالب بالنص القرآنى ولا يرتبك حين يجد مغايرة فى الكتاب المدرسى نفسه ونسخة المصحف الشريف ولا أدرى من أين استقى الاستاذ الفاضل محمد مهدى هذه المعلومات المغلوطة عن طبع المصحف فى العراق .

٨ ــ المقصود بالرسم العثمانى هنا هو الطريقة التى رسمت بها الحروف وتركيبها فى عهد سيدنا عثمان بن عفان رضى اله عنه ، وطريقتها تخالف الطريقة الاملائية الحديثة طبعا مثل (أمرأت عمران) وسنت الله ، والزكوة ، والصلوة ، والحيوة الدنيا ، وأمثالها .

ثم تطورت الخطوط العربية وتنوعت من الناحية الفنية والجمالية كالثلث والنسخ والرقعة والديوانى والتعليق والاجازة والريحانى والكوفى والمغربى وغيرها ، وهى فى كل الكتابات تخضع للقواعد الاملائية الحديثة الا فى كتابة المصحف الشريف فانها تلتزم بالرسم العثمانى وتكتب مثلا (حاميم) هكذا : حم وتكتب (سنت الله) هكذا أيضا .

ثم جاء دور المطابع وطبعت عدة مصاحف بخط النسخ ، ولكنها على الرسم العثمانى وأشهرها وأجملها وأوضحها مصحف (الحافظ عثمان) ولا يزال الناس يفضلون المصحف المطبوع بخط الحافظ عثمان على غيره ، ولعل الأمر يلتبس عند كثير من الناس فيخلطون ((سيدنا عثمان بن عفان والدولة العثمانية والحافظ عثمان)) ولا يدرون معنى (الرسم العثمانى) لمن يعود من هؤلاء ، والصحيح أنه يعود الى سيدنا (عثمان بن عفان) ومعنى الرسم العثمانى أنه يكتب بالطريقة التى كتب بها مصحف سيدنا عثمان والذى أخذت عنه سائر أقطار المسلمين الى يومنا هذا ، وحتى الخط المغربى فانه على الرسم العثمانى ايضا ، ولا عبرة بنقطة الفاء والقاف لأن التنقيط استحدث بعد ذلك ، ولكن وضع الحروف وتركيبها فى الكلمات سواء مثل (الحيوة الدنيا) فى الخط المشرقى والمغربى سواء ، وحتى فى التعليق الفارسى ، فقد طبع المصحف الشريف فى ايران والهند بخط التعليق و (نستعليق) ولكنه على الرسم العثمانى .

وليد الاعظمى



« الاسلام بين انصاره واعدائه »

من كلمة للدكتور السيد عبد الله عبد القادر تحت هذا العنوان نقتطف ما يأتى :

ان الدين الاسلامى هو الدين الاجتماعى ، ففى القرآن أصول المسائل الاجتماعية التى ينبنى عليها بقاء الامم وفناؤها وسعادتها وشقاؤها ، وهى فى القرآن ابسط من سائر الاشارات العلمية ومع ذلك فقد سئل الدكتور جرينيه الفرنساوى عضو مجلس النواب سابقا عن سبب اسلامه ، فقال : انى تتبعت كل الآيات القرآنية التى لها تعلق بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية وهى التى درستها من صغرى وأعلمها جيدا فوجدت هذه الآيات منطبقة تماما على معارفنا الحديثة فأسلمت لأنى تيقنت أن محمدا عليه الصلاة والسلام أتى بالحق الصريح من قبل أكثر من الف سنة من غير أن يكون له معلم أو مدرس من البشر ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلمه جيدا كما قارنت أنا لأسلم بلا شك اذا كان عاقلا خاليا من الاغراض .

وليست المسائل الاقتصادية فى القرآن بأقل من المسائل الاجتماعية الا ترون كيف نص على تحريم الفواحش الثلاث المضادة للفطرة والمخربة للديار والمذهبة للثروة والمثيرة للبغضاء والحسد والكراهية والوقاحة وهى الزنا والخمر والقمار مع ما فى الزنا من ضياع الانساب وخراب البيوت والأسر وفساد الأخلاق وذهاب الحياء وفشو الامراض التناسلية وقلة النسل وظلم النساء أن يصرن العوبة بأيدى الفساق محرومات من الكرامة البيتية ومن الذرية والحقوق الزوجية وما يتصل بها كالارث والنفقة والحضانة مع أن المتزوجة انما تحاول ارضاء رجل واحد هو زوجها تأخذ منه بايجاب الشرع كل ما تحتاجه من النفقة والكسوة وأسباب الزينة وتصير أم بيت وأسرة وذات ذرية تقر بها عينها الى غير ذلك .

فالزنا هو الذى يفتح باب ظلم المرأة وامتهانها ، والزناة هم الذين يظلمون البيئة الاجتماعية بافسادهم جانبا منها ومثل الزنا فى كونه يفتح باب ظلم المرأة كل ما صار سببا اليه أو حال دون سهولة الزوجية الشرعية . فان كل قيد مانع من سهولة الزواج الشرعى أو حائل دونه يلجىء لا محالة الى اقتحام الرذيلة فانه اذا ضاق على النفوس البشرية جانب الحلال المشروع اقتحمت لا محالة جانب الحرام الغير المشروع .

فالدين الاسلامى سد باب الزنا من كل وجه ووسع للناس فى النكاح الحلال الى الاربع الزوجات أما عكس ذلك فهو السبب فى قلة العفة عند بعض الامم واضطرارهم الى اباحة الزنا أو تخصيص حرمته بالمتزوجة ، ومع ما فى الخمر من ازالته للعقل واضعافه للبدن واتلافه أنسجته بتأثير الكحول كما

أجمع على هذا محققو أطباء العالم وهو مبدد للثروة سائق الى الفجور والى الجنون فى النسل .

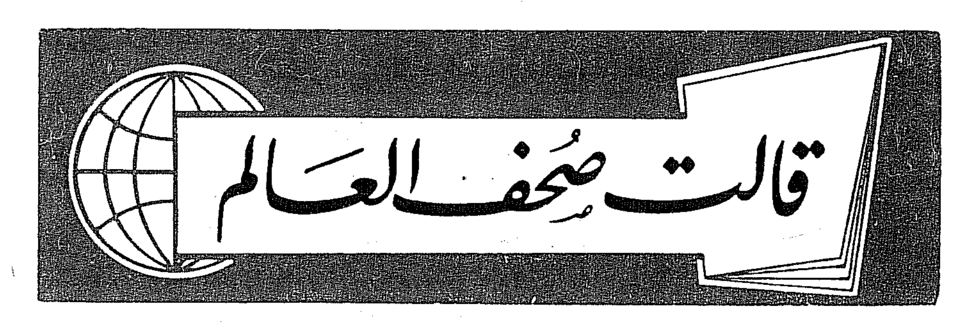
ومعلوم تأثير القمار فى افناء الثروة وافساد الخلق وتقوية خلق الطمع والشراهة الى مال الغير كما تشاهدون ذلك فى بلاد أوروبا أظهر وأظهر وحسبنا فى ذلك قول الله تعالى : ((**انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**)) (المائدة — ٩) .

وتأملوا كيف نهى الله عز وجل عن التبذير وأمر بالاقتصاد وأثنى على أهله فقال عز وجل : ((**ولا تبذر تبذيرا . ان المبذرين كانوا اخوان الشـــياطين وكان الشيطان لربه كفورا**)) (الاسراء — ٢٦/٢٧) .

وكما أشار فى سورة النساء الى فائدة اقتصادية عظيمة نبه بها الى أن ثروة الافراد هى فى الحقيقة ثروة الأمة من حيث تكافلهم وتشريعه الحجر على السفهاء لئلا يضيع مجموع ثروة الأمة بتبذير أفرادها وان المـــال قوام الأمة لا يصلح شأنها بدونه . وذلك فى قوله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكســـوهم وقولوا لهم قولا معروفا**)) (النساء — ٥) . وقال تعالى فى سورة الانعام : ((**وهو الذى جعلكم خلائف فى الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات** (أى فى القوة والثروة والعـــلم وسائر ما يتفاوت فيه البشر) **ليبلوكم فيمـــا آتاكم أن ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**)) (سورة الانعام — ١٦٥) أى ليختبركم فيما آتاكم من النعم التى تفاوت بسببها رفع بعضكم فوق بعض .

وقال تعالى فى سورة الزخرف : ((**نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا ســــخريا**)) (الزخرف — ٣٢) ، فالتفاوت وشعور القوى بقوته عادة ينتج التغالب بالحق والباطل فيما بين البشر أفرادا وأمما بل يكاد يكون عاما فى الاحياء كافة فانك تنثر الحب للطيور فتراها تتزاحم عليه وينقر قويها ضعيفها ، فيطرده ويحرمه ويخرج الاطفال من المدرسة فيتزاحمونَ حول بائع الثلج فيزحم القوى الضعيف بمنكبيه فيغلبه على مكانه حتى قيل إن الظلم من شيم النفوس ومهما كان الحال فان العقلاء غير معذورين فيما خرج فى التغالب عن دائرة العدل والابتلاء الالهى فى قوله تعالى : ((**ليبلوكم فيما آتاكم**)) . انما هو فى كيفيـــة استعمالنـــا تلك القوى مع غيرنا ممن هو أضعف منا بأن تكون هناك حقوق وأسباب وحدود فيما بين الفريقين ولا بد من تحديد المعاملة فيما بينهم لا يبغى قويهم على ضعيفهم ولا يستأثر دونه بقوته ولا يستعملها فى سلب حقه . فهل يوكل الى البشر ايجاب الحقوق ووضع الحدود وأى الفريقين يوكل اليه ذلك وهمـــا إما قوى لا يعدل واما ضعيف لا ينتصف .

لا جرم أن خالق الخلق قد تكفل بانزال هذا القرآن الذى فيه نظام العدل وأصوله الاساسية وفيه فوق ذلك نظام الاحسان والفضل وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ولا يأخذ الضعيف حقه من القوى غير متعتع ، فقد روعى حال ضعفاء الأمة وفقرائها فى شرع الاسلام فأوجب لهم ربع العشر من النقد من مال أغنيائها كل عام ، ومن سائر الانواع الزكوية حصصا متفاوتة لتتم ألفتها واتحادها ولا يبلغ الى حال الاضطرار والفاقة والفقر المدقع فى تحريمه الربا لئلا يستغل ذو الثروة حاجة الضعفاء فتقسوا قلوبهم عليهم ويستولوا بالتدريج على اكسابهم وعقاراتهم وأبدانهـــم فالبطبع يكونون تحت نفوذهم وسيطرتهم يسخرونهم لاغراضهم كيف شاؤوا أو تتراكم الثروة فى يد عدد معدود من الافراد والجماعات .



الاجتهـــــاد

تتبعت منذ بدأت مطالعتى موضوع (الاجتهاد) الذى كان يثور بين الحين والحين فى حياة المسلمين وما استمعت اليه من خلال الاحاديث ومن خلال الصحف وتعمقته من خلال البحث وآمنت به من خلال الممارسة العملية لقضايا الحيـــاة وشؤون المجتمع وادركت أى هوة باعدت بين المسلمين وبين الرقى منذ أن أغلقوا باب الاجتهاد ٠

هل فى وسع الانسان أن يتمثل دعوة أشد على المسلمين أثر سوء من هذه الدعوة ــ الدعوة الى الصمت فى مجابهة صوت الواقع والاذعان فى مقابلـــة التحدى ٠٠

وكيف نقفل باب الاجتهاد فى حياة تفتح لها فى كل يوم بابا وتواجـــه فى كل ساعة حدثا ويكون لها مع كل لحظة الجديد ٠

فى البداية كانوا يقولون ــ أين الذين تكتمل لهم شروط الاجتهاد ؟ حسنا ولكن اقفال الباب شئ والدعوة الى أن يلجه أصحابه والقادرون عليه شئ آخر ٠

ان الاجتهاد ركن من أركان الحياة الاسلامية ولقد ظل المسلمون يتقدمون على طريق الحضارة ما داموا يجتهدون فلما وقفوا وقفت بهم الحياة عند الحدود التى جمدوا عليها وخلفتهم من ورائها أمم كثيرة على الارض ٠

لو لم يكن هناك اجتهاد فى صميم الفكر الاسلامى لكان علينا أن نوجده ، لو لم يكن هناك باب مفتوح لكان علينا أن نفتحه ، وان حركة الحياة لا تقبل جمود الفكر ، وحين نواجه احداث الحياة بتراث لا يتجدد وفكر لا يتحـــرك فاننا نقود هذه الحياة الى حافة الموت ٠ كل شئ فى حياتنا الداخلية والخارجية فى حياتنا المادية والمعنوية فى حياة الافراد والجماعات يشعرنا بالقصور الكبير ويلهب جلود الطبقة المثقفة من العلماء السلفيين والمحدثين بسياط من الاحساس بالمسؤلية ٠

ويؤرق ضميرها ويدعها نهب هذا الاحساس العميق بأن عليها فى الفترة المعاصرة واجبا مزدوجا ــ واجب الخروج من التخلف وواجب مواكبـــة الركب الحضارى ولن يتيسر شئ من ذلك الا من طريق الاجتهاد وبه ٠

لا بد للمسلمين وقد تخلفوا فى كل شئ واختلفوا فى كل شئ ان يلتقـــوا على هذا وان يعدوا له عدته من الفهم والدراية وان يفتحوا بابه على أساس من هذا التفتح للحياة الجديدة بمتطلباتها التى تفرضها وشؤونها التى استجدت فيها وتطلعها الى البعيد الذى تخترق به فى كل يوم طبقا بعد طبق ٠

ما من شك فى أن هناك جهودا كبرى صادقة تبعث على التقدير والاعجاب يقوم بها علماء أعلام بين أطراف الوطن الاسلامى يكتبون بهذا الوضع المتأخر ٠

ولكن عيب هذه الجهود انها جهود فردية حتى فى حدود الوطن الواحد وما لم تخرج هذه الجهود الى عمل منظم له مؤيداته الادبية وسلطانه المعنوى فان هذه الأغلال التى تكبل المسلمين وتشدهم الى التأخر تظل عـلى عنفوانهـا وتحكمها ..

اننى لا أدعوا الى سلطة جديدة فى الاسلام ولكنى أدعو الى أن يـؤمن المسلمون بحقهم فى تجاوز الحاضر الماثل الى المستقبل المأمول .

أليس من صميم هذا الجمع بين الفكر والعمل فى الاسلام أن يكون هـذا الجمع بين الاجتهاد فى معناه المادى الـذى يعنى بذل الجهود وبين الاجتهاد فى معناه الفكرى الذى يعنى التفتح على أبعد الآفاق .

ترى هل غفل المسلمون حتى عن معانى الالفاظ فى حياتهم فأصبحت حياتهم الفاظ دون معان وهيكلا من دون روح ..

عن مجلة الثقافة الجزائرية ..

شعب فى فـراغ

وتلك هى طبيعة الامة الاسلامية عبر التاريخ ولا استغراب .

ان الله سبحانه وتعالى خص هذه الامة بالقيادة والهداية واكرمها بتجديف سفينة الانسانية الى يوم القيامة فكيف يسمح لها بالنكر لدينها والتنكب عن طريقها والخيانة بمادئها والغدر بأهدافها ومراميها والانسانية كلها عالـة عليها ، والدنيا كلها فى حاجة إليها .

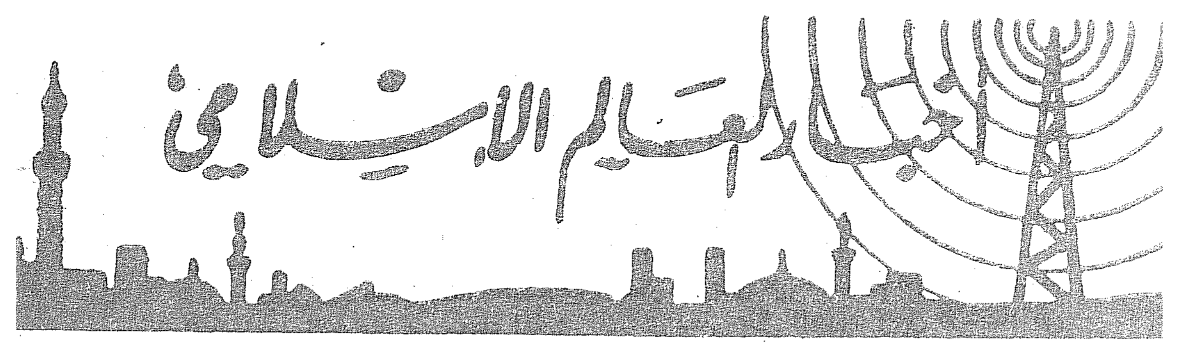
اذا فحرام على هذا الشعب أن يعيش فى فراغ ان يعيش من غير عقيدة وعاطفة وشخصية وحرام عليه أن تكون له عقيدة غير عقيدة الاسلام وان تكـون له عاطفة غير عاطفة الايمان وان تكون له شخصية غير شخصية المؤمن الصالح المصلـح ..

وأذا نفعت استعارة المبادىء وسرقة الافكار وانتحـال الفلسفـات وتقليد القرود والببغاوات بعض الشعوب الآسيوية والافريقية وإنها قطعت بعض الشوط فى النهضة الصناعية والمادية واحسنت المحاكاة والتقليد وربما سبقت معلماتها فى التكنية فى بعض المجالات فانها لا تنفـع الشعب المسلم اينما كان وبأى قميص تقمص ولو تفهد وتنمر لان الله حصر العزة والمجـد والنهضة والاستعلاء فـى دعوته العامة التى لا تفرق بين الاجناس والالوان والاوطـان ومبادئه الخالـدة التى لا تتغير ولا تدور مع الريـاح ..

اننا لا نستطيع أن نعيش فى فراغ ولا نستطيع فى نفس الوقت ان نملأ هذا الفراغ بمبادىء ما أنزل الله بها من سلطان ان الله لم يسمح لنا بالاختيار بين دعوات جاهلية وحركات هدامة من شرقية وغربية أو من حمراء وصفراء والتنقل بين معسكرات وتكتلات ، فيجب أن نملأ هذا الفراغ بمبادىء اسلامية واضحة تسد أبواب الفساد والقلق والحيرة والضياع .

أننا لسنا فى فراغ ولسنا فى جمود فكلاهما مستحيلان فى عالم الحقيقـة والواقع انما نحن فى حالة ما بعد الفراغ وما بعد الجمود اننا نجنى أشـواك الفراغ الـذى وقع بترك المبادىء الاسلامية كالدافع الاقوى ونجنى أشـواك الجمود بايقاف العمل الاسلامى فى المجتمع .

عـن مجلـة البعث .



اعـداد الاستاذ عبد المعطى بيـومى

الكـويت : يقضى حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم فترة الصيف فى لبنـان للراحـة والاسـتجمام .

● أعلن سعادة رئيس مجلس الوزراء بالوكالة ووزير الداخلية والدفاع أن العمل جار بسرعة لتزويد القوات المسلحة الكويتية بالصواريخ والطيارات ومختلف أنواع الاسلحة الحديثة .

● صـدر الجزء الثالث من كتاب المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية وتقـوم وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بتزويد الهيئات العلمية والاسلامية فى العالم به .

● بلغ مجموع التبرعات التى وافقت عليها اللجنة الدائمة للمعونة الاسـلامية الخارجيـة لتسع مؤسسات اسـلامية فى نيجريا ثلاثين ألف دينار .

● ووافقت اللجنة على التبرع لكل من اللجنة النسائية فى الاردن التى تشرف على خـدمة الطالبات اليتيمات ، والمساهمة فى تجديد مسجد الغيل فى المحافظة الخامسة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ومساعدة جمعية غرباء أهل الحديث فى كراتشى لتجديد مسجد الجمعيـة وبنـاء بيت مسكن الطلاب هنـاك .

● تدفق على السفارة الليبية عدد كبير من الراغبين فى التطوع فى صـفوف المقـاومة الفلسطينية .

● انتظمت الدراسة فى جميع مراكز تحفيظ القرآن الكريم التى اقامتها جمعية الاصـلاح الاجتماعى .

القـاهرة : بحث الرؤساء الثلاثة فى مرسى مطروط آخـر تطورات الموقف بعـد العـدوان الاسرائيلى على لبنان .

● قـام وزير الاوقاف وشئون الازهر بزيارة لبنان واجرى مباحثات مع المسئولين اسـتهدفت توثيق الروابط الدينية والثقافية بين البلدين .

● قـام وفـد اسلامى مصرى بزيارة باكسـتان .

السـعودية : أكـد جلالة الملك فيصل والرئيس ذو الفقـار على بوتـو فى البلاغ المشترك الذى صـدر عقب زيارة الرئيس الباكسـتانى للمملكة ايمانهما العميق بأنه لا خلاص للعالم من الضياع الذى يعيشـه الا بالرجوع الى ما نادت به الرسالات السـماوية .

● صرح الامين العـام للامانة الاسلامية لوكالة الانبـاء الاسلامية بان الهزيمة التى واجهها المسلمون فى الشرق الاوسط وشـبه القـارة الهندية كانت أقسى تجربة يعانيها المسلمون فى العصر الحـديث .

● تبرعت السعودية بمبلغ ١٥ ألف دولار للجمعية الخيرية الاسلامية فى ماليزيا كما تبرعت بـ ٥ آلاف ريال لمدرسة التربية الاسلامية فى مالى .

● تبرع جلالة الملك فيصل بالمبالغ التأسيسية لتكوين وكالة الانبـاء الاسلامية وستبدأ الوكالة عملها عما قريب .

الاردن : اجتمع وفـد من الزعمـاء الدينيين الاردنيين مع أمين عـام الامم المتحدة فشرحوا لـه ما يتعرض له العرب فى الارض المحتلة من الظلم واهدار حقوق الانسان .

● بلغ عـدد الفلسطينيين ثلاثة ملايين نسمة بزيادة قدرها مليون و ۸۰۰ الف عن سـنة ٤٨ احصائية عن وكالة الانباء العراقية .

● أعلنت فصائل المقاومة الفلسطينية توحيدها تحت قيادة واحدة وقـد قام الفدائيـون ببعض العمليات داخل الارض المحتلة منها حريق معمل التكرير فى حيفـا .

العـراق : وقفت الدول العربية المصدرة للبترول موقف التاييد المادى بالقروض والمساعدات مع العراق فى موقفها مع شركات البترول المؤممة بعد ان أيدت كل الدول العربية مـوقف العـراق .

● عقدت اتفاقية تجارية بين العراق وافغانستان فى نطاق تدعيم الصلات الاقتصادية بين البلدين المسلمين .

سـوريا : دعا الرئيس الاسد الشعب السورى الى تعزيز الوحدة الوطنية والا فستبقى عرضة لكل الاعاصير .

لبنـان : سيقوم الرئيس اللبنانى بزيارة بعض الدول العربية ومنها دول الخليج فى الخـريف القـادم .

● قام العدو بهجمات انتقامية على جنوب لبنان ومرتفعات الجولان .

● واصل الثوار الفلسطينيون عملياتهم الجريئة فى عمق الوطن المحتل وقد منى العـدو بخسائر فادحـة .

السـودان : صرح الرئيس السودانى أنه فى سبيل تدعيم البلاد اقتصاديا واجتماعيا وايجـاد حلول للمشكلات فى السودان .

● ساهمت مصر وليبيا وقطر فى اعانة توطين العائدين الى جنوب السودان .

ليبيـا : أعلن الرئيس القذافى أن ليبيـا تمد يـد المساعدة لمسلمى الفلبين والمسلمين السود فى أمريكا .

● أصـدر مجلس الثورة الليبى قرارا بانشـاء جمعية الدعوة الاسلامية هدفها نشر الاسلام واللغـة العـربية .

تـونس : أقيم معرض للفكر الاسلامى ضم عديدا من المؤلفات الاسلامية لمفكرين اسـلاميين من الشرق والمغرب وبعض المستشرقين .

الجـزائر : دعا الرئيسان بومدين وبورقيبة الى تجنيد طاقات الامة العربية كلها فى مواجهـة الخطـر الصهيونى .

● استقدمت الجزائر ۱۰۰ مدرس من العراق للتدريس فى مدارس الجزائر .

المغـرب : أصدر مؤتمر القمة الافريقى الذى انعقد فى الرباط فى الشهر الماضى أقوى قرار لادانة اسرائيل لاحتلالها الاراضى العربية كما قرر المؤتمر تقديم المساعدات المادية والمعنوية لمصر .

مـوريتانيا : أعلن الرئيس مختار ولد داده أن اسرائيل هى التى تسببت فى فشل جهـود الحكماء الافريقيين فى التوسط لحل المشكلة العربية الاسرائيلية .

● أعربت الجزائر وليبيا وتونس عن استعدادها لمساعدة موريتانيا فى اصلاح نظامها التربوى .

باكسـتان : قام الرئيس الباكستانى بجولة فى بعض الدول العربية والافريقية استعدادا لجولة المباحثات مع رئيسة وزراء الهنـد .

الفلبـين : اشتعلت فى الشهر الماضى من جديد المذابح بين المسلمين والمسيحيين وقد قتل ۱٥ مسلما بينما انكر الرئيس الفلبينى اشتراك قوات الجيش فى المذابح .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة ١٣٩٢ هـ	سبتمبر ١٩٧٢ م	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الاربعاء	١	١٢	١١ ٣	٥٦ ٤	٥٣ ١١	٢٨ ٣	٥٠ ٦	٢١ ٨	٢٢ ٨	٦ ١٠	٣ ٥	٣٨ ٨	٣١ ١
الخميس	٢	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الجمعة	٣	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
السبت	٤	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاحد	٥	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاثنين	٦	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الثلاثاء	٧	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الاربعاء	٨	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الخميس	٩	٢٠	١٧	٠٠ ٥	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
الجمعة	١٠	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
السبت	١١	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاحد	١٢	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الاثنين	١٣	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	١٤	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الاربعاء	١٥	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الخميس	١٦	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
الجمعة	١٧	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
السبت	١٨	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨
الاحد	١٩	٣٠	٢٦	٦	٥٤	٣٠	٤١	٩	٤٤	٢٥	١٣	٤٨	٢٨
الاثنين	٢٠	٣١	٢٧	٧	٥٤	٣٠	٤١	٨	٤٦	٢٦	١٣	٤٩	٢٧
الثلاثاء	٢١	اغسطس	٢٨	٧	٥٤	٣٠	٤٠	٧	٤٨	٢٧	١٤	٤٩	٢٧
الاربعاء	٢٢	٢	٢٩	٨	٥٤	٣٠	٣٩	٦	٥٠	٢٩	١٥	٥٠	٢٧
الخميس	٢٣	٣	٣٠	٨	٥٤	٣٠	٣٨	٥	٥١	٣٠	١٥	٥١	٢٧
الجمعة	٢٤	٤	٣١	٩	٥٤	٣٠	٣٨	٤	٥٣	٣١	١٦	٥٢	٢٦
السبت	٢٥	٥	٣١	٩	٥٣	٣٠	٣٧	٣	٥٤	٣٢	١٦	٥٢	٢٦
الاحد	٢٦	٦	٣٢	١٠	٥٣	٣٠	٣٦	٢	٥٦	٣٤	١٧	٥٣	٢٦
الاثنين	٢٧	٧	٣٣	١١	٥٣	٣٠	٣٦	١	٥٨	٣٥	١٨	٥٤	٢٥
الثلاثاء	٢٨	٨	٣٤	١١	٥٣	٢٩	٣٥	٠٠	٥٩	٣٦	١٨	٥٤	٢٥
الاربعاء	٢٩	٩	٣٥	١٢	٥٣	٢٩	٣٤	٥٩ ٧	١ ٩	٣٨	١٩	٥٥	٢٥
الخميس	٣٠	١٠	٣٦	١٣	٥٣	٢٩	٣٤	٥٨	٢	٣٩	٢٠	٥٦	٢٥

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأم عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعل الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين

القاهرة : شركة توزيع الأخبار ــ ٧ شارع الصحافـــة .

جـــدة : الدار السعودية للنشر ــ ص.ب ٢٠٤٣ .

الرياض : مكتبة مكـــة ــ شارع الملك عبد العزيز .

الطائف : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٢٢ .

مكة المكرمة : مكتبة الثقافة للصحافة ــ ص.ب ٤٦ .

المدينة المنورة : مكتبة ومطبعـــة ضياء .

عـــدن : وكالة الأهرام التجارية ــ السيد محمد قائد محمد .

المكـلا : مكتبـــة الشعب ــ ص.ب ٢٨ .

مســـقط : المكتبـــة الحديثة ــ السيد يوسف فاضل .

صنعـــاء : مكتبة المنار الاسلامية ــ السيد عاصم ثابت .

دمشـــق : الشركة العامة للمطبوعات ــ ص.ب ٢٣٦٦ .

الخرطوم : الدار السودانية للطباعة والنشر والتوزيع ــ ص.ب ٢٤٧٣ .

الأبيض/السودان : مؤسسة عروس الرمال الصحفية ــ ص.ب ٦٧ .

عمـــان : الشركة الأردنية لتوزيع المطبوعات ــ ص.ب ٢١٥ .

طرابلس الغرب : مكتبة الفرجانى ــ ص.ب ١٣٢ .

بنغـــازى : مكتبة الوحدة الوطنية ــ ص.ب ٢٨٠ .

تـــونس : الشركة التونسية للتوزيع .

بـــيروت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ كورنيش المزرعة .

دبـــى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ السيد غازى بساط .

الكويت : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ــ ص.ب ١٧١٩ .

الدوحـــة : سالم الانصارى ــ الدوحة / قطر .

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

١٠

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت